المسلمون في الصين

من التجذر إلى التمدد

إعداد
د.عبدالله بن عبدالعزيز اليحيى

المعلومات والقضايا المعاصرة عن المسلمين في العالم

ⓒ عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد اليحياء ، ١٤٣٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

اليحياء ، عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد
المسلمون في الصين. / عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد اليحياء .-
القصيم ، ١٤٣٩هـ
١٥٣ ص ؛ ..سم

ردمك: ٤-٦٤٩٦-٠٢-٦٠٣-٩٧٨

١- المسلمون في الصين ٢- الاسلام - الصين أ.العنوان
ديوي ٩١٥,١٠٤ ١٤٣٩/٤٧٣٦

رقم الإيداع: ١٤٣٩/٤٧٣٦
ردمك: ٤-٦٤٩٦-٠٢-٦٠٣-٩٧٨

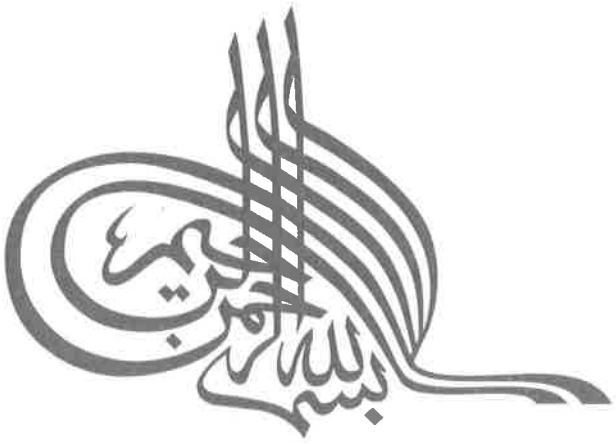
بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله على ما أنعم وينعم وأصلي على خير خلقه وآله وصحبه وأسلم... وبعد:

أضع أمام عينيك - أخي القارئ، أختي القارئة - ملامح وطن عامة، وخطوطه العريضة، ومساحاته الواسعة الممتدة، وقصة احتضانه ملايين المسلمين منذ (١٣٠٠) سنة.

هذا الوطن الكبير والحاضر في جذور التاريخ يتوقع رواد علم استشراف المستقبل أن يمسك بزمام العالم المعاصر ويتربع على قمته.

هذه الدولة المعاصرة أعطت دول العالم ومدنه وقراه وهجره الكثير من صناعاتها، وقدمت لكل جهة العديد من احتياجاتها حتى الدينية، وقد أمّنت للمسلمين في العالم سجاجيد الصلاة والمسابح وبوصلة القبلة وملابس الإحرام.

الصين بشر ومصانع ومزارع تلتقي مع كل الشعوب والدول، ومع العالم الإسلامي والعربي بخطوط بحرية وبرية قديمة، وجوية حديثة، وأيام الألفة بينهما طويلة وجميلة، بل لم يقع بين الطرفين معارك فاصلة، ولا فجوات مؤلمة، وهما - الآن - يمثلان القوة الناعمة (الإسلام) والقوة المادية (الصين)، وبينهما تكامل، فلدى المسلمين المواد الخام والأسواق، ولدى الصينيين المصانع والتنوع الإنتاجي ودرجات الإتقان.

والمسلمون الصينيون أبواب مفتوحة وقاسم مشترك للعرب والمسلمين، وقوة تغذي روابطهم بالحكومة الصينية، وخطوات محبة وألفة وعنوان تقارب ومودة، كما أن الشركات الصينية في العالمين -العربي والإسلامي- رسائل ثقة بين الحضارتين، وخطوات أخوية دافئة، يضاف إليها مواقف الدولة الصينية الإيجابية من القضايا الإسلامية والعربية، واحتمال كونها- فيمابعد - ملجأ للمسلمين من مادية الغرب وعنصريته وظلمه وقوته الخشنة.

الحضارتان - الإسلامية والصينية - يحملان عناصر مشتركة، وقدمتا خدمة جليلة للإنسانية، وفيهما بُعد قيمي يتقدم - دائما - على حظوظ النفس وشهواتها.

فقربهما من بعض، وجذور العلاقة المتينة بينهما، وتداخلهما أحيانا، وتماسهما

الدائم، ولكنه التماس المملوء بالاحترام والمصلحة، والنأي منهما عن وضع الأنف في القضايا الداخلية للآخر، جعلهما في وئام وأُلفة، ونقلهما من الشك إلى الثقة ومن الرهبة إلى الاحترام، ومن المؤكد أن (الإسلام الخالص) يصعب تحقيقه في الدول الإسلامية، فكيف يكون حاله في الدول الأخرى؟ ولكن المسلمين في الصين لديهم محبة جياشة نحو دينهم، وتطلع للحرية، ووعي، وآمال وهي خليط من إيمان صحيح، وفطرة سليمة، وتصوف أصيل، وتقاليد راسخة، وتضخم عاطفي.

والنظرة الصينية للمسلمين هي في الغالب إيجابية، وتتسم بالتقدير والاحترام، ويبقى وجهات آراء شاذة، إلا أن الإعلام المؤدلج ضخمها في بعض اللحظات النادرة، وزعم أنهم غرباء، ويعانون من نقص في الولاء الوطني، ويميلون إلى زوايا المعارضة، ويرد على هؤلاء السيد / هواينغ قائلا [أفادت سياسة أسرة / مينغ المسلمين في حياتهم أنذاك، مما هيأ الظروف لهم لتشكيل جماعة قومية ـ صينية ـ هي قومية خوى[1]] والتقى الإسلام مع خطوط الحكمة الكونفوشيوسية، يقول الإمبراطور الصيني عن كتاب «فلسفة الإسلام» للمسلم الصيني / اليو تشي [إن الكتاب الذي يشرح عقيدة الإسلام كأنه جاء ليضيء مبادئ الكونفوشيوسية،] أما بالأمس القريب فإن المسلمين عانوا من قسوة الحزب الشيوعي، ومن الضغط والاضطهاد، وفرض عليهم الدخول في مراكز التصحيح من أجل التخلي عن دينهم في البداية، وأما الآن فقد وجدوا الاحترام والتقدير، واعتبروا من عناصر الأمة الصينية، وأكد الدستور على حقهم في التمثيل البرلماني (الجمعية الوطنية) وفي (المؤتمر الاستشاري الوطني) وفي (المجالس الإقليمية) ولا يضير هذه الأريحية الطويلة النكسة القصيرة المؤلمة، (الثورة الثقافية) ما بين عامي (١٩٦٦م - ١٩٧٦م) التي قام بوزرها العصابة الأربعة، وقد عالج آثارها قانون حرية الاعتقاد الصادر عام ١٩٧٩م ومن سطوره (يعاقب بالسجن أو بالحبس مدة أقصاها سنتان كل موظفا من موظفي الحكومة يمارس الضغط على المواطنين لحرمانهم من حريتهم في اختيار العقيدة الدينية، وممارسة شعائرهم أو يعتدي على حرمات وعادات وأعراف أبناء الأقليات) ثم عضد له (الكتاب الأبيض حول الحكم الذاتي الإقليمي القومي في الصين)، وأخيرا (القوانين واللوائح الصينية الجديدة لتنظيم النشاطات الدينية) الصادرة في ٣٠/ نوفمبر ٢٠٠٤ الموافق ١٧/ شوال ١٤٢٥هـ ويتكون من ٤٨ مادة قانونية محورها تمتع المواطنين الصينيين بالحرية الدينية ومسؤولية الدولة عن حمايتها.

---

١) مجلة الصين اليوم مقال بعنوان (الحوار الحضاري الصيني العربي)

الصين يشكلها تاريخ عريق، وحضارة متنوعة ممتدة، وقوميات فاعلة مبدعة، تخطت دول وشعوب وأمم، وتفوقت على دول كبرى، وانتقلت - في هذا العصر - من بؤر الفقر إلى قمم الثروة، ومن قيود البقاء إلى آفاق التنمية، ومن محرضات الانغلاق إلى اختراق الآفاق، وكل ذلك في ثلاثين عاما، ومن خلال إرادة سياسية واعية، وتعليم واقعي، ومراكز بحوث علمية، وسمو اجتماعي، وإصلاح وانفتاح وتناغم، فما أحوجنا - نحن المسلمين - إلى أن نتعلم من سيرتها ومسيرتها، وما أحوج العالم العربي إلى فهم الصين، واحترامها، فهي دولة معتدلة، ذات قوة اقتصادية متميزة، حاضرة، ولديها تجربة حية يمكن استنساخها، ورقم مؤثر في الأزمات الدولية.

فالطرفان -الصينيون والعرب- عليهما السعي نحو التكامل بواسط الحوارات بينهما، والندوات، واللقاءات السياسية والاقتصادية والإعلامية، والتبادل الثقافي، والمعارض والعروض، والمنح والترجمة، ومخرجاتها -ولا شك- إلفة وعلاقة، وانسجام وتقارب، ورؤية مشتركة وتعاون، من أزكى ثماره قيم إنسانية عالية الجودة، عالمية التأثير.

وما بين يديك - أخي القارئ أختي القارئة - من صفحات يحتضنها كتاب (المسلمون في الصين ..من التجذر إلى التمدد) لا يتجاوز الإطلالة السريعة على الصين، والأمثلة المختزلة، والمعلومات الأولية، فالإسلام في الصين وأحوال المسلمين فيها، وتاريخهم، وتمكنهم أكبر من المساحات المحدودة.

الدكتور / عبد الله عبد العزيز اليحيى

Y1371@hotmail.com

@Dr_AbuMusa

الباب الأول
إطلالة عامة

الصين... نبذة جغرافية

تعتبر الصين من أكبر الدول مساحة وسكاناً وحدودا، فمساحتها تتجاوز ٩،٥ مليون كم، وترتيبها الثالث في العالم بعد روسيا وكندا في الحجم، وطول سواحلها ٦،٤٦٨ كم، وحدودها البرية ٢٢،٨٠٠ كم، وتشمل ٢٠٪ من مساحة آسيا.

ويقدر عدد سكانها بـ١،٣٢١ مليون نسمة، يشكلون ٢٠٪ من سكان العالم، ٩١،٥٩٪ منهم ينتمون إلى قومية الخان، والبقية تتوزع بين (٥٥) قومية، نصيب المناطق الريفية منهم ٧٤٪ وفي المدن ٢٩٪ وتتكثف الأغلبية في الجهات الشرقية، ويعمل ٧٠٪ منهم في الزراعة، وتتراوح تقسيماتها الإدارية بين ٢٢ مقاطعة و٥ مناطق حكم ذاتي وثلاث بلديات خاصة، إضافة إلى (٥٤٠٠) جزيرة، و (٦٥٥) مدينة، يأكل سكانها مما فيها، ويصدرون الفائض للخارج.

ويحيط بجمهورية الصين الشعبية من جميع جهاتها (١٤) دولة وثلاث بحار، هي:-

من الشرق:-

١- بحر الصين الشرقي.
٢- البحر الأصفر.
٣- روسيا.

من الشمال:-

١- روسيا.
٢- منغوليا.
٣- كازخستان.
٤- اوزبكستان.

من الغرب:-

١- طاجاكستان.
٢- أفغانستان.

٣- باكستان.

٤- الهند.

٥- نيبال.

من الجنوب:-

١- بوتان.

٢- الهند.

٣- بورما.

٤- لاوس.

٥- فيتنام.

٦- بحر الصين الجنوبي.[١]

السطح والمناخ:

إن المساحات الممتدة والواسعة جعلت سطح جمهورية الصين الشعبية متنوع، ومناخها متعدد، فالسطح في الشمال يشبه الجهات القطبية، يتحول إلى استوائي في أقصى الجنوب، ويكون في الشرق سهول خصبة بينما يغلب عليه خصائص الصحاري القاحلة في الغرب، ويتخللها عدد من المرتفعات كمرتفعات (التبت) و (الحدود المغولية) و (الشرقية) و(الوسطى) إضافة إلى المرتفعات الجنوبية، وجبال الهملايا، والجبال أكثر من السهول.

ويكحلها مجموعة من الأحواض كحوض (تاريم) و (جونغقار) و (تشايدام) و(سيتشوان) مع بعض الأنهر والبحيرات كنهر الياتغنسي، والنهر الأصفر، وقناة بكين، وبحيرة يويانغ، ودونغتينغ، وتايهو، وتشينغهاي.

والمناخ انعكاس للسطح والموقع، ففيها المناخ الصحراوي، كما تهب على الصين رياح باردة جافة في الشتاء محملة بالغبار، مع قليل من الثلوج في الشمال، والباردة جداً في التبت، والأمطار -غالباً- صيفية، ويمتاز صيف الصين بالحرارة والرطوبة.

في الصين (١٥٨) نوعا من المعادن، و (٣٨٦٢) نوعا من الأسماك، و (٦٢٦٦) نوعا من الحيوانات الفطرية، وهي تملك أعلى احتياطي نقدي في العالم، وتستهلك ٥٠٪ من اسمنت

١) نبذة عن جغرافية الصين فريق القيادة الوطني ص ٣

العالم وحديده، ٧٪ من البترول العالمي، وارتفع الدخل القومي من ١,٣تريليون دولار عام ٢٠٠١م، إلى ٣,٦تريليون عام ٢٠٠٨م، وفي عام ٢٠٠٢م لم يكن في الصين بليونيرا واحدا، ولكن في عام ٢٠٠٦م أصبح بها ١٥بليونيرا، وعام ٢٠٠٨م قفز الرقم إلى ١٠٦، وتنتج ٨٠٪ من سحابات الثياب، ٥٠٪ من الأرز، والقفزة العجيبة حينما تقوم القيادة ونخب فكرية بنقل ١,٣ مليار نسمة في ثلاثين عاما من التخلف والفقر إلى التقدم والغنى، ويجعلوا الصين مصنعا للعالم.

الصين... نبذة تاريخية

تتجذر مسيرة الصين التاريخية متجاوزة أربعة آلاف سنة، وقد سبقوا الأمم الأخرى في صهر البرونز، واستخدام الحديد، و صناعة الفولاذ، واختراع الورق والبوصلة والبارود والطباعة، وقدموا للبشرية فلاسفة لا يزال أصدائهم تتقاسمها زوايا الأرض أمثال / لاوتسمى و/ كنفو شيـوس و/ سـون وو، ومن خصائصها أنها وفي مسيرتها التاريخية العامة، وطابعها الغالب لا تصادر الأديان والعقائد، والكثير من أديانها جاءت من الخارج، وإن عانت -أحيانا- من عوائق فهي نتيجة:

- ما خلف الأديان، كالاستعمار الغربي.
- العائق اللغوي.
- العزلة الذاتية لأصحاب الدين .

ويعبر عن كل ما سبق مئات الآلاف من الخزف والفخار والمكتوبات الحجرية والنقوش، تحتضنها مئات المتاحف في الصين وخارجها، ونماذج من أنظمة إدارية، وسلسلة من الأسر - الإمبراطوريات - الحاكمة، بدايتها من القرن «٢١» قبل الميلاد حتى عام ١٩١١م وهي :

- أسرة شيا، ما بين القرن ٢١ ق م إلى القرن ١٦ ق م.
- أسرة شانغ، ما بين القرن ١٦ ق م إلى القرن ١١ ق م.
- أسرة جو، من القرن ١١ ق م إلى القرن ٥ ق م.
- الدول المتحاربة، من القرن الخامس إلى القرن الثالث ق م.
- أسرة شين، من عام ٢٢١ ق م إلى عام ٢٠٢ ق م.
- أسرة خان، من عام ٢٠٦ ق م إلى عام ٢٢٠ ق م.
- الممالك الثلاث، من عام ٢٢٠م إلى عام ٢٦٥م
- أسرة تسين، من عام ٢٦٥م إلى عام ٤٢٠م.
- الأسر الشمالية، من عام ٣٨٦م إلى عام ٥٨١م.

- الأسر الجنوبية، من عام ٤٢٠م إلى عام٥٨٩م.
- أسرة سواى، من عام ٥٨١م إلى عام ٦١٨م.
- أسرة تانغ، من عام ٦١٨م إلى عام ٩٠٧م
- الأسر الخمس والممالك العشر من ٩٠٧م إلى عام ٩٦٠م.
- أسرة سونغ من عام ٩٦٠م إلى عام ١٢٨٠م.
- أسرة يوان، من عام ١٢٧٩م إلى عام ١٣٦٨م.
- أسرة مينغ، من عام ١٣٦٨م إلى عام ١٦٤٤م.
- أسرة تشينغ، من عام ١٦٤٦م إلى عام ١٩١١م.

والمتأمل في علاقات الحضارتين العربية والصينية، وتاريخ الصين، يشعر أن السلام والتعاون بينهما قوي، والحروب بينهما قليلة جداً، ونتائجها لم تصل إلى الأعماق الاجتماعية، ولم يتمخض منها جروح غائرة، بل أثمرت نقلة حضارية انعكست على العالم، وذلك حينما أسر المسلمون العديد من الحرفيين، ونقلوهم إلى المدن العربية، وفي طليعتهم (صنّاع الورق)، فأضافوا إلى الحضارات الإنسانية بُعد لا زالت- حتى اليوم- تنعم بثماره، بعد ذلك انتهت عصور الأسر الإمبراطورية، والمواجهات، وجاءت مرحلة القوى الوطنية -الجمهورية الأولى- في ديسمبر برئاسة / سن -يات- سن، الذي جعل من (الديموقراطية والوطنية و رفاهية الشعب) شعارا، إلا أن الحروب الأهلية عام ١٩٢٢م بدأت تلعب في أسسها مع وفاة /سن -يات- سن، عام ١٩٢٥م، إضافة إلى استفحال المعارضة الشيوعية عام ١٩٣١م، ثم العدوان الياباني على الصين عام ١٩٣٧م، وصولا إلى انتصار الشيوعيون عام ١٩٤٩م بقيادة / ماوتسى تونغ، فأخذوا بإحكام قبضتهم بدعم الاتحاد السوفييتي العسكري والاقتصادي، وهروب الوطنيون إلى (تايوان) على أمل أن يعودوا، وبادرت القيادة الشيوعية بإعلان (جمهورية الصين الشعبية) وقامت بتنظيم الأقاليم وإدارة المجموعات وتوزيع أراضي الإقطاعيين الزراعيين على الفلاحين، وتحويلها بعد ذلك إلى مزارع تعاونية، يوازي لذلك تثوير الجانب الصناعي الثقيل، وتراوحت أوضاع القيادة الحاكمة ما بين تقدم وانتكاس، وصدام بين المعتدلين والراديكاليين، فرجحت كفة الأخيرين بتأييد الزعيم/ ماو لهم، وانطلقت على أيديهم ما سُمي بـ: «الثورة الثقافة» المتشددة، ما بين

عامي ١٩٦٦م- ١٩٧٦م، متكئة على الكتاب «الأخضر» لـ/ ماو، وكيل التهم السوداء والتخوين للمعتدلين، ووصمهم بالانحراف عن مبادئ الشيوعية، وتم دفع الشباب إلى اتون الثورة، وتشكل منهم فرق عسكرية عنوانها «الجيش الأحمر» ومات الألوف من المواطنين الصينيين وسجن أضعافهم، وفقدت البلاد الكثير من تراثها على اعتبار أنه من مخلفات الإقطاعيين، وتحولت الثورة إلى كارثة مؤلمة للصين والصينيين، ووصمة عار، وصفحة سيئة تقول أن/ ماو تحول من شيوعي إلى إمبراطور، و في عام ١٩٧٦م فقدت الثورة الثقافية وهجها وسندها حيث مات/ ماو، ورئيس الوزراء/ شو إن لاي، وظهر الصدام قوياً في دائرة السلطة بين المتشددين، ويمثلهم ما يعرف بـ: «عصابة الأربعة»، وهم:

- ـ جيانج كنج- زوجة/ ماو.
- وانغ هون ون ـ نائب رئيس لجنة الحزب الشيوعي المركزي.
- شانغ شون بياو- عضو المكتب السياسي للجنة الحزب الشيوعي المركزية .
- ناو ون يوان ـ عضو السياسي للجنة الحزب المركزية.

وبين المعتدلين بقيادة/ هو جو فنج، فتفتت الثورة الثقافية، وسُجنت العصابة، واختارت الصين النمو والانفتاح والتعايش مع العالم.

التاريخ الصيني الحديث يتراوح ما بين قسوة التحرر ومصاعب البناء، وحفظ الأيديولوجيات وتحريك الانفتاح، والصدام النكد بين الثقافة والإصلاح، حيث انطلق الرفاق يتلمسون طريق وطنهم!.

- ماو : الثورة أولا.
- دينغ : إلى الثروة.
- زيمين : التحديث، التوحيد، السلام.
- تاو : التناغم الداخلي والخارجي.

وتحمل الاثنين ـ ماو ودينغ ـ العبء الأكبر،و تمسكوا بملامح خاصة صنعوها، واتجهوا إلى الاستقلال والاكتفاء، ومن المآسي إلى الإنجاز، ومن الذل إلى الكرامة، ومن التبعية إلى الإرادة،

ومن الفقر إلى الغنى، و نجاحات (دينغ) لا يمكن فصلها عن أخطاء (ماو)، ماو المؤسس و(دينغ) الباني، إنه محرر الاقتصاد من السياسة والإيديولوجيا، ومُعيد روح الأمل والعمل للشعب الصيني.

ومن الأشياء الجديرة بالذكر، أن آمال الأمم والشعوب المستضعفة ترجوا أن لا تقع الصين بعد نجاحاتها - أو بسببها - في أنياب التعالي وأظفار القوة، بل تتمنى أن يبقى التوازن الصيني الدقيق بين تلطيف الماركسية وتحجيم الرأسمالية، وأن تستفيد من اعتدال الإسلام وقيمه وواقعيته، ومن نتائج جشع الغرب واستهتاره، وتلك الأمم والشعوب المضطهدة تنظر إلى خطوات الصين نحو بعض أقلياتها، كاليويغوريين والمغول، والتبتيين، فسلوكياتها نحوهم دليل أسود، أو أبيض، ولن تكون بعيدة عن تعاملاتها مع المجتمعات والشعوب الخارجية، ولا شك أن الحكومة الصينية المعاصرة حكيمة، وتدرك أهمية الدين، وتستعين به في تحقيق نموها الاقتصادي، وتمددها السياسي، ويؤكد ذلك قيامها بتجديد المساجد داخل الصين، وترميم المصاحف، وصناعتها ملابس الحشمة، والطعام الحلال، بل وبنائها للمسلمين في النيجر مسجداً يقيمون فيه صلواتهم.

الصين... نبذة ثقافية

منظومة الفكر الصيني التقليدي تنطلق أسسها من الكونفوشيوسية والبوذية، وأخيراً الطاوية، وأقصى ما كُتب عن الصين يرجع إلى ١٧٦٦ ق م، وفي عام ١٠٠ ق م كتب المؤرخ/ سيماكيان بعض المعلومات عن تاريخ الصين، ونمى لدى الصينيون منذ القدم الاهتمام بأيامهم، ووضعوا سجلات نادرة لأحداث محدودة الزمن والمكان والتفاصيل، أما المهارة الأدبية فهي من أبرز مؤهلات الإنسان الناجح في الصين حتى بدايات القرن العشرين، وأدبهم يعم أكثر مما حدده الغرب للأدب، فهو يشمل التاريخ والدين والسياسة والفلسفة والعلوم، ويُنظر إلى الصين - اليوم- من خلال أعماقها الأخلاقية والثقافية والفنية على أنها مهيأة أكثر من غيرها لحمل راية الألفة ما بين الطبيعة والإنسان وبين الإنسان والإنسان، واستمرار الحياة بالقيم، وتحقيق جوهرها الأخضر (الإيكولوجي)، والوقاية من التلوث، وحفظ حق الأجيال القادمة من استنزاف الثروات،وحماية الفضاء النباتي، وتحقيق جودة الغابات والمياه والهواء، والعودة إلى أجواء التمتع الأخلاقي والروحي، والتربية على الآداب والفنون، والأنماط الروحية العادلة، والنأي بالإنسان و الكون عن فلسفة الغرب المادية الخانقة للطبيعة،و اللاهثة خلف الاستهلاك الترفيهي المدمر، هذا إذا لم تقع مسيرة الصين المعاصرة في حمى الرأسمالية وعبثيتها وأنانيتها. ويمكن إجمال أسس منظومة الفكر الصيني في النقاط التالية:

١- الألفة بين الإنسان والطبيعة، فمحبة الصينيون لأشجار الصنبور والخيزران وزهور (ميهوا) والتفاعل مع خصائصها ظاهرة ملموسة، ويفضلونها لتميزها بالحيوية والنشاط وهي في أعلى درجات البرودة، حيث تبقى خضراء قوية ذات رائحة جميلة، فيستلهمون منها الصبر والنبل والشجاعة والثبات والبركة والسلامة والتواضع والكبرياء، ويأتي بعدها أزهار الأقحوان والسحلب واللوتس لتكون مثلاً أعلى يُقتدى به، والوجه الآخر يكمن في صدامهم الحقيقي والأسطوري مع الظواهر الطبيعية، ثمارها لمسات رومانسية في الأدب، انعكست على الكثير من جوانب الحياة، ومن هذا العنصر يتأكد في ثقافتهم وحدة الإنسان والطبيعة المؤدية إلى استمرار الحياة، والتناغم بين التنمية والحب من أجل البقاء.

٢- تهذيب وترقية الذات، فقد تم تشكيل أول (نظام أخلاقي) منفردا بذاته، على الأرض في الصين يدعو إلى (إنسانية السلطة وآداب السلوك) وينطلق من (بر الوالدين أولاً) لما فيه من إحساس بأداء الواجب وتأكيد الأمانة، ووجوب الرحمة، يضاف إليه أن الصينيين أول من

فعَل الخطوات الإنسانية لتحرير التعليم من الطبقة العليا لتشمل الجميع، وقد أثرت هذه الخاصية في تنمية المجتمع واستقراره، وتحولت إلى ثروة فكرية صينية نادرة تشد كل أصحاب الفكر والثقافة إليه.

٣- ترجيح فهم الحكمة والتناغم مع الجمال على المعطيات المنطقية، ولذا نجد أن لديهم توجه لترويض القوة باللين، مؤمنون بأن الضعف الظاهري يحمل القوة في جوهره والأزهار - في النهاية - تنتصر على الأشواك.[١]

٤- العلاقة الدافئة والمنسجمة بين اللغة الصينية والأدب الصيني ولوحات الفن والزخارف والخط والخزف، وكأنها جميعا تشكلت من منبع واحد لهدف واحد وإن اختلفت آلياتها وميادين استعمالها وجهة تمثيلها.

إن هذه الأسس والأركان هي أول المؤثرات على فكر وثقافة المجتمع الصيني حتى الآن، وتظهر في عدة زوايا، فالفن حينما تصيغه اليد الصينية رسما أو نحتا أو تطريزا أو خطا أو تصويراً يعلو ويتميز، فالتطريز - مثلا - أخذ أبعاد تاريخية وحضارية وتقليدية وثقافية، وتم ترويض الوافد منه، واصطبغ بملامح الصين، وإبداعه، وآلياته، فصار منها أنواع وأحجام، وما هو على وجه واحد أو وجهين، والمسطح، والمطرز بالخطوط العشوائية، وباليد، وما بين المهارة والدقة والإبداع، وتبقى صفات مشتركة ما بين الصغير والكبير، والقليل والكثير، فالمعالم الكبرى حاضرة، وأبرز المعالم الثقافية والتاريخية والدينية هي:-

١- القصر الإمبراطوري في بكين.

٢- سور الصين العظيم.

٣- المعبد السماوي.

٤- القصر الصيفي.

٥- الأضرحة الإمبراطورية

٦- كهوف موقاو.

٧- قصر بوتالا.

١) نبذة عن ثقافة الصين فريق القيادة الوطني ص٩

ويوجد في الصين ٢٧٩١ مكتبة عامة فيها (٥٠٠) مليون كتاب، و ١٦٣٤ متحفا فيها (٢٠) مليون قطعة أثرية، وفيها ألف صحيفة تطبع أكثر من مائة مليون نسخة يوميا، أهمها (الشعب) و(بكين)، ومن المجلات يصدر سنويا (٣) مليارات نسخة، و(٦) مليارات نسخة من الكتب.

ويهم القارئ من الزاوية الثقافية في موضوع (المسلمين في الصين) مرحلة أسرة تانغ (٦١٨-٩٠٧) المكتشفة والمفعلة للمصطلحين (المسايرة) و(الترويض) في التعامل مع الأديان ويعبر عنها دخول البوذية للصين، وصبغها بالألوان الصينية، فهي مثال حي على تمازج الأديان والتيارات وقبولها وتعايشها، مع احتفاظها ببعض خصائصها، وكأنها طبعة جديدة اسمها البوذية الصينية، ونجاح أسرة نانغ في مسايرة وترويض أهم المذاهب والأديان الموجودة، وتغلغل هذا المنهج جعله من ملامح المجتمع الصيني الثابتة حتى الآن، فهو يحتضن مجموعة من العقائد الدينية المختلفة والمؤتلفة - غالباً - ومن أبرزها الإسلام والمسيحية والطاوية والبوذية والشامانية وغيرها، ولكل دين معابده ومدارسه وعلماؤه وجمعياته وصحافته ووسائله الإرشادية، وقد منحت الحكومة الصينية - أخيراً - لهؤلاء حرية الاعتقاد الديني، والحماية القانونية.

ومن مظاهر الثقافة في الصين النظرة إلى الأشياء، والتعامل معها، واستلهام الرؤى منها، ويتضح أبعاد ذلك من خلال المقارنة المختزلة بين نظرت الصيني والغربي للمواضيع الآتية:

الصيني	الغربي
الزهد في الألوان	الإسراف في الألوان
الثلج يوحي بالصمت والصبر	للتزحلق واللعب
الحديقة عطاء الطبيعة	صناعة الإنسان
الصيني صغير أمام الطبيعة	الغربي كبير أمام الطبيعة
الإنسان جزء من الكون	الإنسان هو الكون
جمال روح الإنسان	جمال شكل الإنسان
الورع الأخلاقي	التعلق المادي
التصوير هدف	التصوير وسيلة
الاندماج مع الربيع	استنزاف الربيع

إن مكونات الثقافة الصينية نابعة من أسرة متكافلة، وشعب زراعي، يقتدي بالطبيعة، ويربط بين السماء والأرض، ويهتم بالكل، ويركز على الجوهر، فهو إلى الرومانسية أقرب، فيه نكهة من الأسرار والسحر، يلتقي مع لغته التي تميل إلى تصوير الأفكار، وتعانق الزخرفة، وتمزج الصورة بالمشاعر وكأنها غاية، الصيني مطمئن لأنه جزء من كل، غير منتهي، لا يخشى الموت، مندمج بالكون، يعبر عنه القصيدة والزخرفة والصورة المخلوطة بالخيال الرائع والأحاسيس الإنسانية، فتراها أو تسمعها وقد شع منها روحانية منحنية، وكأنها صلاة صادق تحمل زخما متناغما من اللمحة والإيحاء.

الثقافة الصينية وما في معيتها من أديان وجغرافيا وتاريخ، في ظل نهضات كبرى مميزة تشير إلى الرفق مع الآخرين، وبعدها عن كل أنواع الهيمنة، ولن تفعل مصطلح (التصيين) مقابل مصطلح (التغريب)، ولن تضع أنفها في (مناهج التعليم) للدول، أو تسهم في مقاييس ومواصفات ملابس المرأة متجاوزة أديان وتقاليد الشعوب، وإن هي فعلت - ولن تفعل - فهي ستخرج من جلدها، ومعنى هذا أن أيامها قليلة.

اختارت الصين مصطلح (العالم المتناغم) المتطابق مع ثقافتها الشرقية، وانسجام الإنسان مع ذاته وأخيه والطبيعة، المبني على روعة الاعتراف والتعايش والحوار والسلام والتسامح، ومعنى هذا أنها في صدام مع (صدام الحضارات)، وفي تنافر مع (نهاية التاريخ)، وفي معزل عن (البقاء للأقوى)، وفي استهجان لنظرية (الغاية تبرر الوسيلة) وهذا ما يتطابق مع رأي معالي الشيخ العبودي في (أن الإسلام الذي دخل إلى هذه البلاد الصينية بطريق الإقناع والاقتناع قبل ١٣٠٠ سنة قد أصبح جزءاً من التراث الثقافي للصين الشعبية)[1].

ويمس الثقافة في الصين (مراكز البحوث) فيها، والإشكالية أن العالم العربي يعرف أسماء مراكز الدراسات البحثية في الغرب، ويتألم من نقصها في العالم العربي، ويتساءل عنها في الصين، فهي المعبرة عن اهتماماته، والكاشفة لخريطة تفكيره، والمشيرة نحو مستقبله، وخططه، وماذا يرصد؟ وماذا يريد؟. والانطباع العام أنها دولة شيوعية، مؤدلجة، محصورة في قالب واحد، محدودة التفكير، تكره الإبداع، وتحطم الفرد، أو هكذا قال الغرب لنا، أو كانت بالأمس، ثم نرى رأي آخر، نرى أنها دولة كبرى، عملاق اقتصادي، ترهبها أمريكا، وفي قلق منها، وإنها قوة اقتصادية متميزة، وقادمة، وقد غزت جميع دول العالم بصناعاتها وشركاتها، ولا يفك الاشتباك المتقاطع

١) فوق سقف العالم - محمد العبودي ص ٢٢٧

بين النظرتين إلا رصد المراكز البحثية في الصين، واهتماماتها، وعدد العلماء فيها، ودراساتها، وتأثيرها، واستمرارها.

ومن أهم المراكز البحثية في الصين:

١- الأكاديمية الصينية للعلوم الاجتماعية، في بكين، حيث تهتم ب٢٦٠ حقلا بحثيا اجتماعيا، ولها ٥٠ فرعا، يخدمها أكثر من أربعة ألاف باحث متفرغ.

٢- معهد الصين للدراسات الدولية.

٣- مؤسسة شنغهاي للدراسات الدولية.

٤- معهد بحوث الشرق الأوسط، كان اسمه الأول (معهد البحوث الإسلامية).

٥- معهد دراسات الثقافة الإسلامية.

٦- معهد بحوث قومية هوى والإسلام.

٧- المعهد الصيني للعلوم الإسلامية.

٨- مركز الدراسات للعلاقات بين الصين والدول العربية.

ثم يأتي في ميدان الثقافة الصينية المعاصرة مكانة اللغة العربية فيها، حيث أن مدينة (نينشيا) عاصمة اللغة العربية، وفي الصين ما يتجاوز ٤٤ جامعة تعلم اللغة العربية، غير المعاهد، وتم تأسيس (مجمع اللغة العربية بالصين للتدريس والدراسات) عام ١٩٨٥م، ولا شك أن الإسلام والقرآن كان لهما الدور الكبير في تمدد اللغة العربية في أرجاء الصين، ثم جاءت التجارة الحديثة والبعثات المتبادلة، مما دفع الباحثة السعودية/ نسرين قوص بإصدار أول منهج لتعليم اللغة العربية في الصين، كما أشرف (مركز الملك عبدالله لخدمة اللغة العربية) على نشر كتاب (اللغة العربية في الصين)، وآخر عنوانه (دليل علماء اللغة العربية في الصين).

إذن، لابد من أن نعيد النظر، والدراسة والتفكير في التيارات الفكرية في الصين، ونبحث عن دوائر اليسار الجديد، واليمين المعاصر، ونتأمل حركات إصلاحها السياسية البطيئة، والاقتصادية السريعة، وديمقراطيتها المتأرجحة، وانفراد الحزب الشيوعي بكل شؤونها، وتأمينه للاستقرار لمئات الملايين من البشر في أكبر مساحة، والأمن الخارجي المتميز، والقوي، رغم مكر وكيد الرجل الأبيض.

الصين... نبذة سياسية

قدمت الصين لنفسها وللعالم درسًا رائعًا في السياسة والاقتصاد، و أول ملامحه «السلم» مما يسر لها الانتقال من مرحلة التشبث بالبقاء إلى عالم التنمية الواسع، ومن الانكفاء الداخلي إلى الحضور العالمي، ومن دعم المقاومة وتقوية المضادات إلى دروب التمدد والتعاون مع الشعوب والحكومات، واتكأت في تطلعها للمستقبل على رؤية سياسية واضحة، وتعليم وبحث وخطط، وضربت - بيد من حديد- على المفسدين، فخرجت من الفقر إلى الغنى، ومن العزلة إلى الانفتاح، ومن الضعف إلى القوة، وتحولت من عبء إلى منقذ في أقل من ثلاثين سنة، وظهرت تساؤلات في كتب وبحوث (هل تقود الصين العالم؟)، و(متى ستحكم الصين العالم؟)، و(بأي ذهنية ستحكم الصين العالم؟)، و(هل تحكم الصين العالم؟)، و(عندما تحكم الصين العالم)، و(الصين تحكم العالم)، و(حينما تحكم الصين العالم)، ولم يكن كل ذلك بأماني سفيه أو مخادع، ولا بقفزة جاهل مغامر، ولا بمواعيد حاكم مستبد، ولا بخطط نخب فاسدة، ولا بغفلة عن مكر الغرب، وإنما بنزاهة القيادات، وإرادة سياسية حقيقية، وقرار أصيل داخلي، أسهم في صناعته الأجهزة التالية:

أ- الحزب الشيوعي الصيني.

تأسس عام ١٩٢١م في شانغهاي، ويعتبر قوة مركزية فاعلة تصدت للإمبريالية، وهو طليعة الطبقة العاملة الصينية لجميع القوميات، ومحور وحدتها، ويبلغ عدد أعضائه خمسين مليون عضو، هدفه إقامة مجتمع شيوعي، وتحقيق الدكتاتورية الشعبية الديمقراطية، والوصول بها إلى الاشتراكية، والبناء الداخلي، والاعتماد على الذات، ويتشكل الحزب من الأقسام التالية:

- مجلس الشيوخ الوطني.
- اللجنة المركزية.
- الدائرة السياسية.

والحزب يفتح أبوابه لكل صيني وصل عمرة إلى «١٨» سنة، ولديه الرغبة بالانضمام

إليه، وقبول قراراته، ودفع رسوم العضوية، ويتولى «المؤتمر الوطني» و «اللجنة المركزية» القيادة العليا للحزب، ويجتمع كل خمس سنوات.

ب- رئيس جمهورية الصين الشعبية:

يعتبر عنصر أساسي في هيكل الدولة، وقد صدر نظام رئاسة الدولة عام ١٩٥٤م، وتم إلغائه عام ١٩٧٥م ثم أعيد العمل به عام ١٩٨٢م. ومهمّة رئيس الجمهورية إصدار القوانين، وتعيين وعزل رئيس مجلس الدولة ونوابه، وأعضاء مجلس الدولة والوزراء، و رؤساء اللجان، ويقوم بمنح الأوسمة و الألقاب الفخرية، وقرارات العفو الخاصة، وإعلان الأحكام العرفية، وحالة الحرب، والتعبئة العامة، وتحديد وإرسال السفراء إلى الدول، والمصادقة على الاتفاقيات والمعاهدات والعقود مع الدول.

ورئيس الجمهورية ونائبه يتم اختيارهما من قبل المجلس الوطني لنواب الشعب، ومدة تكليفهما خمس سنوات.

جـ- المجلس الوطني لنواب الشعب:

يعتبر أعلى مؤسسة رسمية يمارس الشعب الصيني من خلاله سلطة الدولة، ومن أهم مهامه سلطته التشريعية، وسن القوانين، وتفسير القانون، وتعديل الدستور، ومراقبة تطبيقه وعلى المجلس أعباء مساءلة الهيئات الإدارية والقضائية والنيابية والعسكرية وغيرها من المؤسسات الأخرى.

د- المؤتمر الاستشاري السياسي للشعب الصيني:

يتشكل المؤتمر من الحزب الشيوعي الصيني والأحزاب والشخصيات اللا حزبيين، والمنظمات الشعبية ومندوبي الأقليات القومية، وممثلي مواطني تايوان وهونج كونج وماكاو، والمغتربين الصينيين العائدين، ومن أبرز وظائفه التشاور والمراقبة وتنظيم الأحزاب والمنظمات، ويعقد اجتماعاته بناء على اقتراح من الحزب الشيوعي الصيني، واللجنة الدائمة للمجلس الوطني لنواب الشعب.

هـ- جيش التحرير الشعبي الصيني:

تأسس عام ١٩٢٧م، وقام بمقاومة الاستعمار الياباني ما بين عامي (١٩٣٧-١٩٤٥م)، وحرب التحرير (١٩٤٥م -١٩٤٩م)، ولا شك أن له دور مهم وأساسي في حماية سيادة الصين،

والدفاع عنها من أي عدوان، ويتشكل من قوات برية وبحرية وجوية، ويحتضن جيش التحرير الدوائر التالية:

- أركان الحرب.
- الشؤون الإدارية.
- التسليح.

وسارت الصين بخطى ثابتة قوية لتدخل العصر الحديث من أوسع أبوابه وكأنها إمبراطورية حديثة نجحت في تكييف المبادئ الرأسمالية وليس التكيف معها، واستطاعت أن تجذب العديد من الدول إلى إقامة علاقات دولية، ففي عام ١٩٥٥م كان عدد الدول التي أقامت علاقات معها (٢٣) دولة ووصلت إلى (١١٦) دولة عام ١٩٧٩م، والآن تجاوز العدد (١٧١) دولة.

الصين والديمقراطية:

لم يكن مصطلح الديمقراطية غائباً عن أروقة القيادة العليا في الصين، لقد أراد/ سن يات سين بعد عام ١٩١١م - نهاية آخر الأسر الصينية الحاكمة- أن يتبنى ديمقراطية الغرب في الصين على مراحل، تنطلق من ثلاث سنوات من الحكم العسكري ثم الدخول في مرحلة (الوصاية السياسية) لمدة ست سنوات، تكون مقدمة تمهيدية نحو (جمهورية دستورية كاملة) إلا أن / ماوتسى تونغ قاد المسيرة عام ١٩٤٠م، واتجه إلى ما أسماه (الديمقراطية الجديدة) وهي خليط من الدكتاتورية للطبقات المعادية مع ديمقراطية للحزب الشيوعي، أما/ دينغ، الثائر على الثورة الثقافية عام ١٩٧٨م -فأرادها دكتاتورية سياسية يوازيها ديمقراطية اقتصادية، تمتد إلى السياسة بالتدريج، مع احتفاظ الحزب بمكانته وخصائصه، وقناعته التامة بتطوير النظام الاشتراكي ديمقراطياً، وحفظ خطط التنمية القومية من فجوة الانتقال المفاجئ، ومال الحزب الشيوعي الصيني في مجمله إلى الديمقراطية المنتقاة، والمتمثلة في انتخابات محلية تنطلق من القرى - يصل عددها إلى ٧٠٠ ألف قرية- إلى المدن ثم المقاطعات ثم المحافظات، وتصل فيما بعد إلى السلطة، إضافة إلى السماح بدعم متخذي القرار بالآراء المتميزة من الصفوة، دون الدخول في منافسات على السلطة في ظل تربص خارجي وأكثر من (٥٦) قومية صينية، يشكلون مليار وثلاثمائة مليون نسمة، مقتربين جدا من (الديمقراطية) المتكئة على المتميزين والمتخصصين من أهل الإنجازات، ومقتربة -أيضاً- من الأعراف الصينية القديمة في الحكم،

ولعل المسيرة السياسية الشعبية في الصين هي كأي مسيرة أخرى يخدمها تنوع المجتمع والرغبة بالانفتاح، فيكون ترقيها - مع الزمن- شيء لازم، والديمقراطية تحتاج إلى بذور وجذور وبيئة وتربة ووقت لا يمكن استيرادها، ومن الصعوبة -أيضا- إنزالها على أرض الواقع بدون مقدمات، وديمقراطية الغرب ليست -أيضا- مقدسة، أو هي النمط الوحيد في التجارب البشرية.

ومن يسبر أركان الديمقراطية العامة يجد أنها تقوم على ركنين متناقضين (الحرية والمساواة) ومن المستحيلات العقلية الجمع بينهما، ولذا جاءت ديمقراطية الغرب متكئة على الحرية، واتجهت الشيوعية إلى معانقة المساواة، ومن هذا الانشطار النكد تخلخلت فيها أمراض مستعصية بدأت تظهر أعراضها الكبرى، والإشكالية الأخرى في أمر الديمقراطية أنها لم تخضع في مسيرتها إلى إجراءات تطوير وترميم فاعلة من كلا الطرفين -الرأسمالي والشيوعي- أما العلاقات السياسية الصينية الإسلامية فهي تسير بخطى قوية وثابتة على المستويين الرسمي والشعبي، يعضد لها في العالم الإسلامي الأسباب التالية:

١- المشتركات الثقافية الإنسانية بين الطرفين، فالمشتركات الأخلاقية بينهما كثيرة ومتجذرة وأصيلة.

٢- الصينيون في ذاكرة المسلمين أمة مسالمة ومحبة ومنتجة، وهم أهل فن وصياغة وزخرفة وألوان، بعيدون كل البعد عن الصدام والذكريات المريرة.

٣- معاناة الطرفين من عنجهية الغرب واستعماره واستغلاله وقسوته وظلمه وأنانيته. إضافة إلى أنها دولة تضج بالحياة، وتتغير في كل لحظة، وتبهر، وتستحق المتابعة، وفيها الكثير من الدروس والعبر[1].

والخلاصة أن الصين لا تملك القوة الأيديولوجية العالمية، ولا الدين المتميز الشامل، بل إنها ليست شيوعية بالمفهوم العميق، ولكن بالرؤية الواسعة، وصورتها السياسية المعاصرة تتشكل من عدالتها الخارجية واقتصادها، وهذا ما يهم الشعوب والأمم الأخرى، وما هو ظاهر منها في السنوات الأخيرة، حيث تجمع ما بين اليد القوية الداخلية، والوجه الخارجي المشرق.

أما موقف الغرب منها فهو يتراوح ما بين الاحتواء، أو الارتباط، أو الإعاقة، أو المواجهة، وبعد معاناة وعجز، وثبات الصين ونمو قوته فلا مفر للغرب من احترامها، والتعاون معها،

١) تطور المجتمع الصيني ليو، زاي ص ٧

ومقاسمتها الثروات ما استطاعت إلى ذلك سبيلا، وهي تدرك هذا، وصرح به رئيسها / هوجينتاو، في خطابه أمام قادة الحزب الشيوعي في أكتوبر عام ٢٠١١م، قائلاً: (علينا أن نرى أن القوى الدولية المعادية تكثف المؤامرات الاستراتيجية لفرض قيم غربية على الصين، وتقسيمها، وتسللها يركز على المجالين الإيديولوجي، والثقافي)، فأمريكا الرسمية، الممسكة بزمام العولمة، المتطلعة لـ (القرن الأمريكي الجديد) في قلق من محورية الصين لآسيا، وتوجهها السريع نحو القمة، لذا ظهرت أعراض مرض (الصينفوبيا) في أمريكا، وأخذت بالانتشار على يد وسائل الإعلام المنحازة، وبالمقابل لا نجد رهبة صينية من أمريكا، رغم قواعدها العسكرية القريبة، وتحالفها مع اليابان، وكوريا، واحتلالها لأفغانستان، ولعل الحكمة الكونفوشوسية، وما فيها من عمق إنساني، وصبر صاغت السلوك الصيني، وجعلته في حالة هادئة من جشع وتوحش الرأسمالية الغربية، مما جعلها وبعد بضع سنوات تتجاوز كيد الغرب ومكره، وتجذرت، وأصبحت عصية على الترويض، والاختراق، والإعاقة، بسبب استقلالها، وثباتها، وإدراكها للعبة السياسية العالمية، وانفتاحها الاقتصادي المتميز، وإبداعها في هذا الشأن، واحترامها للشعوب والدول، حتى أن كل مجتمع وشعب وأمة يجدون في الصين، ومنه المواقف المعتدلة، والاحترام، وما يناسبهم من الصناعات، ودرجاتها، فبين يديّ المسلمين منها سجاد صلاتهم، وملابس إحرامهم، والفوانيس والسبح، ومن الألعاب إلى السيارات والقطارات، ثم إنها- حتى الآن- دولة سلام، خاصة إذا ما قورنت بالغرب، وأمريكا خاصة، وما يقومون به من عنف وإرهاب ضد (الحجاب)، وفي الصين يبدعون في تطويره، وانتاجه وتصديره.

أما السياسة الصينية الداخلية فأرى أعماقاً أكبر من أن السلطة (حزب شيوعي)، يستأثر بالحكم، ويهيمن على الشعب، والحقيقة أن فيها قومية (الهان) الكبيرة والمنتشرة، ولها رغبة أكيدة، ومقبولة في التحكم والعلو على القوميات الأخرى، وفي المقابل يجب وضع نضال بعض أفراد القوميات الصغيرة في دائرة (التحرر الوطني) وليس الديني، ويمثلهم أصدق تمثيل كل من التركستانيين، والمغول، والتبتيين، واستقلالهم عن وطنهم الكبير يحمل الكثير من الأخطار، ولكن حصولهم على الحكم الذاتي، والحقوق الأساسية من لوازم إنسان القرن الحادي والعشرين، وأعتقد أن الحكومة الصينية على وعي بهذه الزاوية.

الصين نبذة عن الأديان

التدين ظاهرة إنسانية فطرية، يحتاج إليه الناس سواء كانوا بدو في الصحاري والكهوف أو متحضرين في المعامل وناطحات السحاب، وهو إلحاح داخلي قبل أن يكون تفسيراً خارجي، وضرورة بشرية تسبق حاجتهم إلى الأمن والغذاء، وتحتاجه المجتمعات قبل احتياجها للأسوار والجيوش والحكومات.

دخلت الأديان إلى الصين في زمن متقدم، فمع بداية القرن الأول الميلادي وصلت الكتب البوذية، وفي عام ٦٣٥م أخذ المنصر النسطوري / ألو بن ابرهام بترجمة (الإنجيل والتوراة) إلى الصينية، ويبقى بعد ذلك ضآلة الانتشار، فدخول الأديان و وجود كتبها لا يعني تمددها، وذلك يرجع إلى هيمنة الكونفوشوسية، وصعوبة اللغة، والممانعة الاجتماعية الصينية، وموقف بعض الأسر الحاكمة، مما دفع المنصر الإطالي / مايتو ريتشي إلى إطلاق لحيته، واستعمال ملابس البوذيين، واتخذ اسما صينيا هو / لي مادو فأسماه الصينيون (الراهب الغربي) .

ومن المؤكد أن الأديان في الصين المعاصرة حاضرة ومؤثرة حتى في سنوات المكابرة والتجبر الشيوعي وإن اختفت رسمياً، وتمت محاربتها في كل مربعات السطح وزواياه فغابت عن الظهور، ولكنها بقيت متشبثة بجذورها وتتمدد تحت الأرض، أو تنتظر فرص التمدد، وقد أدرك الحزب الشيوعي الحاكم أن الأديان لا تموت، وليست من هوامش عصور الظلم والتخلف والاحتكار والطبقية، ولمس- أيضاً- أنها حاجة بشرية لازمة، ونداء فطري أصيل، ومحور من محاور الحياة، فانتقلت الحكومة الصينية من أطرف اليسار إلى الوسط، وقفزت من هدم المعابد والمساجد إلى بناءها أو المساهمة في البناء، فوصلت شعوب وحكومات العالم - نتيجة ذلك -رسائل عملية على إنفتاح الحكومة الصينية وتقديرها لشعبها وإحترامها لحقوق الإنسان، وفتحت الأبواب للاديان لتؤدي دورها في حياة الشعب، وتتفاعل مع أصولها في الخارج أو جذورها في الداخل، وتسهم في الثقافة والتواصل والتنمية.

عاش في ربوع الصين خلال آلاف السنين مئات الأديان، وحكمت وحُكمت، وبذلت وبذل لها، وبرز على السطح منها (الكونفوشسية) و(البوذية) و (الطاوية) و (المسيحية) و(الإسلام)، ومنحت الحكومة الصينية أصحابها حرية الاعتقاد الديني، وسمحت لهم بممارسة طقوسهم التعبدية، وشعائرهم الدينية تحت إشراف رجال الدين لديهم، وتأمين الحماية القانونية لهم.

الكونفوشيوسية:

ظهرت الكونفوشيوسية في القرن السادس قبل الميلاد في الصين، وهي قيم وفلسفة وضعية صينية بعيدة عن مفهوم الدين وإن عاشت في دوائره، تدعو إلى مجموعة تعاليم تهتم بالأخلاق والتقاليد القديمة، واحترام روح الاجداد، والسعي لإرشاد الناس وهدايتهم، وتهيئة الاجواء لمدينة فاضلة واقعية، فيها طاعة الوالد والأخ الأكبر والحاكم، والترغيب في الأمانة والعلم واللين، المؤدية إلى «السيد المحترم»، ومن حسناتها على الصينيين أنها احتضنت تراثهم، وصاغت حضارتهم، وأسهمت في تشكيل المجتمع الصيني، وبنت الشعور القومي والوعي الفكري له، والكونفوشيوسية تؤيد الملكية الفردية، وتعترف بالفروق بين الطبقات وهذا مايقلق الشيوعية في إبان عنفوانها، وتهتم بالمصلحة العامة، وتقدر الفنون المفيدة، ليس فيها آلهة، ولا يعنيها الموت ولا ما بعده، ولا تعتقد بالبعث ولا بالجنة والنار، والعقوبة والثواب لديها يكونان في الدنيا، وسلوك الحاكم الفاضل أفضل من كل القوانين، ويرى البعض أنها دعوة إلى الفضائل بالحكم والأمثال وليست دين، وقد اتخذت الصين « الكونفوشيوسية » ديناً رسمياً منذ عام ١٤٠ق م إلى عام ١٩١٢م، وامتدت إلى كل الدول القريبة من الصين، ومن أقسى نتائجها أنها أبعدت الكثيرين من المؤمنين بها والقريبين إليها عن الأديان السماوية.

عاش « كونفوشيوس » مابين عامي (٥٥١ق م - ٤٧٩ ق م)، وينتسب إلى أسرة عريقة، جدّه كان والياً، ووالده ضابطاً متميزاً، وحينما بلغ ثلاث سنوات توفي والده، وعمل في الرعي وتزوج مبكراً، وأنشأ مدرسة درَّس فيها أصول الفلسفة لثلاثة آلاف طالب، تميز منهم «٨٠» طالباً، تولى عدد من الوظائف منها مستشار وقاضي وحاكم ووزير ورئيس للوزراء في مقاطعة «لو»، عُرف عنه محبته للبحث والتأمل، ودماثة الأخلاق، وإجادته للحديث والخطابة، وإتقانه للرماية وقيادة العربات، وقد وضعت « اليونسكو» كونفوشيوس في قائمة مشاهير المثقفين العشرة في العالم،[1] ومن المعالم البارزة في الكونفوشيوسية أن فيها عناصر مهمة تلتقي مع الإسلام، فالمسلمون لم يتسللوا إلى الكونفوشيوسية، بل أحسنوا في علاقاتهم معها، وتحويلها إلى نصير مخلص في بعض المنعطفات القاسية، وإلى محايد حكيم، وهذه المنزلة جاءت ثمار روحانية الإسلام فقدمها المسلمون للكونفوشيوسية في وقت كانت في أمس الحاجة إليها، كتب نائب الإمبراطور في مقدمة كتاب (فلسفة الإسلام) للمفكر المسلم / ليوتشي، قائلا:

١) الموسوعة الميسرة الندوة العالمية للشباب الإسلامي ص ٤١٧

(كثير ما تعرضت العقيدة الكونفوشيوسية العريقة لمحاولات التقويض من أطراف البوذية والطاوية، ولكن ها نحن مع كتاب (ليوتشي) هذا نجد أنفسنا مرة أخرى على هدى حكمائنا القدماء (ياو) و (شون) و (كونفوشيوس)، على هذا النحو فإن كتابه رغم أنه جاء ليقدم عقيدة الإسلام، فإنما هو يضيء في الحقيقة مذهب الكونفوشيوسية).

ومن وصايا زعيمهم الملهم/كونفوشيوس، والتي نلمس أثرها اليوم مقولته الرائعة(لا يجب أن يُخشى عدد السكان، ولكن يُخشى عدم تحقيق توزيع عادل للثروة على هؤلاء السكان)

البوذية:

ديانة هندية وصلت إلى الصين في القرن الأول قبل الميلاد عن طريق التجار من الهند، وعانت في الصين من الحصار أربع مرات، وازدهرت - أولاً- بغربها، وتمددت في عصر أسرة تانغ، ويقدر عدد المؤمنين بها « ٧٠»، أي ٦٪ من سكان الصين، ويصل عدد معابدها إلى «١٣٠٠٠» معبد، وتأثرت بالكونفوشيوسية والطاوية، وابتعدت عن الأصل حتى قيل فيها (البوذية الصينية).

أنشأ البوذية/ سدهارتا جوتاما، الملقب بـ«بوذا» (٥٦٠-٤٨٠قدم) في الهند، وفي حياة المؤسس كانت البوذية أخلاق وتصوف ومحبة وتسامح، وعناية بالانسان، وخشونة، ثم تحولت بعد وفاته الى وثنية بسبب الغلو في بوذا وتأليهه، وزعمهم أنه إبن الله، وماحوله من تفاصيل تشبه ماوضعه النصارى في عيسى عليه السلام، تؤمن البوذية بالتناسخ والتقمص، وترى أن الرذائل تعود إلى الاستسلام للشهوات وسوء النية والغباء، ولا يوجد فيها معبودٌ أو خالق، وتتلقى مع الكونفوشيوسية في اهتمامها بالإنسان وقيمه وتعامله مع الالآم، ومن ظواهر بوذا والبوذية أن بوذا جاء ليخلص الانسان من عبادة الانسان فعبده بعض أتباعه، ووصاياه تعبر عن عقل راجح وقلب صادق، ومنها (لا تقضي على حياة حي، ولا تسرق أو تغضب، ولا تشرب المسكر، ولا تزن، ولا تكذب أو تقول غير الحق، ولا ترقص أو تحضر رقصاً أو حفل غناء، ولا تكذب، ولا تتخذ طيباً، ولا تسعى إلى ذهب أو فضة، ولا تنام على فراش لين، ولا تأكل طعام قبل أوانه أو نضجه) والالتزام بالبوذية يصل المؤمن بها إلى الإشراق المؤدي إلى النصر على الجهل والكراهية والجشع، وهذا واضح في (البوذية التبتية) حيث أنها إلى الأصولية أقرب، ووصلت البوذية ذروتها في الصين في منتصف القرن التاسع وانسجمت مع الثقافة الصينية، وأصبح العديد من

معابدها تراث ومعالم سياحية صينية.[1]

والانطباع العام عن البوذية أنها دين تعبد وتأمل، وبعيدة عن الصراع السياسي وممارسة الإرهاب، إلا أن عنفها في بورما، ومشاركتها الثورة في تايلاند، وحزبها الداعي إلى العنف وحمل السلاح في الهند تتعارض مع أصولها والانطباع العام.

الطاوية:

الطاوية ديانة وضعية صينية، تحمل معنى الطريق أو الحقيقة، يرجع تاريخها إلى القرن السادس قبل الميلاد، وضع أسسها/ لوتس (ولد عام ٥٠٧ ق م) في كتاب (كاو- تي تشينغ) ومعناه «طريق القوة»، والتقى بكونفوشيوس، وأخذ الأخير عنه بعض الأفكار وخالفه في أخرى، والملفت للنظر أن الديانتين ولدتا في زمان واحد ومكان واحد.

تدعوا الطاوية إلى تنظيف النفس من الشبهات والشهوات والمشاغل والشوائب من أجل أن يتحقق لها الوصول إلى الحقيقة المجردة، المنبعثة في كل شيء على اعتبار أن الخالق والمخلوق وحدة واحدة، فهي تشبه « الصوفية الحلولية» حيث الإله عندها هو أصل الموجودات وروحه حالة فيها، ومع هذا فهي لاترى البعث ولا الحساب، والجزاء عبارة عن صحة تامة وعمر طويل، أما المسيء فنصيبه المرض والوفاة العاجلة، والجميل في الطاوية سعيها في ربط الإنسان بالطبيعة وإبراز قوة اللين أمام ضعف القوة، والعبرة -دائماً- في خصائص الجوهر وليس في تماسك المظهر، ويقدر عدد المعابد الطاوية في الصين بـ(١٥٠٠) معبد، ويميزها إيمانها بالقوتين، وكأنهما السالب والموجب، والقوة الزوجية العامة، الأسود والأبيض، والليل والنهار، والنور والظلمة، والموت والحياة، والخير والشر، ثم تأتي العناصر الخمس، الماء والأرض والنار والخشب والمعادن، مع كم من الأساطير لتكمل البناء الافتراضي لها[2].

والمتأمل في الأديان الثلاثة يلمس اندماجها في الصين، وتأثرها وتأثيرها بثقافة وتقاليد المجتمع الصيني ومفاهيمه الأخلاقية، ويرى في معابدها وتماثيلها وطقوسها وكلماتها فنون وأفكار وآداب صينية متجذرة، ويدرك أن وجودها في الصين حال بينهما وبين التدين بمعناه الحقيقي والدين بأبعاده وزواياه، حيث أن الصينيين لا يعرفون الدين الكامل، لذا الأديان فيها لمسات أو جزئية، وأصبحت أقرب ما تكون إلى المناهج الفلسفية والمواقف الفنية والإبداع الأدبي.

---

١) دليل الجيب إلى الصين الدار العربية للعلوم ص ٣١

٢) المسلمون في الصين د / عبد العزيز حمدي ص ١٦

المسيحية:

ديانة وافدة، لم تستقر أو تتجذر رغم حجم إمكانياتها وضخامة دعمها، ولذا فهي عبر مئات السنين تتسلل وتندثر، وقد تكررت حالتها هذه ثلاث مرات.

الأولى- وصلت المسيحية إلى الصين في القرن الثامن الميلادي، وأطلق عليه (دين النسطورية)، وبقيت ثلاثة قرون ثم تبخرت.

الثانية- عادت إلى الصين عام ١٢٩٤م على يد بعض الدعاة الإيطاليين، وانتهت مع نهاية أسرة يوان عام ١٣٦٨م، ورغم أن وصولها في ظل هذه الأسرة كان ضعيفا، وكانت تحاول الاختراق من خلال رسائل (البابة) إلى (الإمبراطور) من أجل تنصير الصينيين، وقد جاء في رسالة الإمبراطور للبابا (ولماذا؟ هل تعتقدون بحق بأنكم تملكون زمام التواصل مع الله؟، لقد عرفنا الله -يعني من خلال الدين الإسلامي- ولا نعتقد أنه سيختار شعبا مثلكم يتيه كبرياء وتعجرفا كأولياء له).

الثالثة- دخلت المسيحية الصين في آخر القرن السادس عشر، ووصلت إلى بكين، وتم بناء أقدم كنيسة فيها وبقيت المسيحية قليلة العدد وإن تضاعفت الموارد المالية والوسائل إلى بداية العصر الحديث ووجدت مقاومة بسبب خلفيتها الاستعمارية، واحتقارها لموروثات المجتمع الصيني،مما دفع الشعب الصيني إلى الثورة ضدها وضد أي خطوة أوروبية على أرضه، وذلك عام ١٩٠٠م والتي تعرف بـ(ثورة الملاكمين الكبرى) ترتب عليها جيوش غربية احتلت الصين وأساءت للصينيين، وآذت كل شيء، ورفعت شعار (الانتقام من أعداء المسيح)، ومابين عامي ١٩٢٢- ١٩٢٧م رفع المجتمع الصيني بقيادة المثقفين شعار (لا للمسيحية)، فسعت مسيحية الصين إلى الانفصال عن مسيحية الخارج، واعتمدت على ذاتها، وارتبطت بالوطن، ووقفت مع الشعب، فخطت خطوات صغيرة بطيئة وتوقفت أثناء الثورة الثقافية عام ١٩٦٦م حيث أحكمت الشيوعية قبضتها، ووصمتها بـ(الدين الأجنبي) وتم ربطها بالاستعمار والرأسمالية وجرائمهما، يقول / عبد الرشيد إبراهيم (لا يمكن أن يوجد صيني واحد اعتنق المسيحية مستحسنا إياها بمحض إرادته، إلا أن الذين يقبلون المسيحية اتقاء شر المبشرين كثيرون)[1] وانطلقت بعد ذلك، في عصر الانفتاح، ووصل عدد معاهد علوم اللاهوت في الصين إلى (١٨) معهداً، وتقدر المعابد البروتستانية بـ(١٢) ألف كنيسة، والمعابد الكاثولكية بـ(٤٦٠٠) كنيسة

١) العالم الإسلامي عبد الرشيد إبراهيم ص ٢٦٣

وتعاني - الآن - من شيخوخة القساوسة، ومن اللغة الصينية، ومن مناهج التعليم، إلا أنها استفادة من الانفتاح الصيني وقانون حرية الأديان أكثر من غيرها من الأديان، وكأنها في أفضل أيام حياتها، وأضحى الإقبال على المسيحية قوياً للأسباب التالية:

١- الإعجاب الشعبي بالغرب.

٢- إمكانيات التنصير المالية والسياسية والتقنية.

٣- عدم وجود دين ينتمي إليه المجتمع الصيني.

وضعيفا للأسباب التالية:

١- ضئالة الجانب العقلي في المسيحية.

٢- روح الاستعلاء في المنصرين المتسللة من عقلية الرجل الأبيض.

٣- ارتباط التنصير بالاستعمار.

والجدير بالتنويه أن المسلمين في الصين ميدان مهم للمنصرين أكثر من غيرهم لما لديهم من وعي بالأديان السماوية، ولما في دينهم من تقدير واحترام لعيسى وأمه عليهما السلام، إضافة إلى ضعف عوامهم في الفهم الديني، مع قدرات التنصير في التدليس وتوظيف الآيات القرآنية في خدمة دعوتهم.

والملفت للتفكير أن رئيس إدارة شؤون الأديان الصيني يرى (أن الدين الأول في الصين هو الإسلام)[1] وربما كان قصده أن ما قبل الإسلام من أديان لا تحمل مقاييس ومواصفات الدين كاملة، أو أن أغلب المنتمين إليها غير ملتزمين بالتدين.

١) داخل أسوار الصين محمد العبودي ص ٢١٢

الباب الثاني
الصين
والعالم الإسلامي

العلاقات العربية الصينية

لعلها من أقدم العلاقات في التاريخ وأدومها، ومحورها وبدايتها التجارة، وأقدم ما سجلته الوثائق نجاح ملك «أكاد» في جلب البضائع إلى عاصمته عام ٢٣٠٠ ق.م، وحيث إن الجزيرة العربية وبلاد الشام تستهلك وتصدر البضائع الصينية إلى أوروبا والمتمثلة في العود والغضار والقرفة والبخور والعطور والحرير والديباج والمسك والتحف الفخارية والنحاسية، فقد كان لها طريقين من الصين، بري وبحري، فالصينيون شقوا الطريق البري إلى البلاد العربية على يد / قان ين، المبعوث الرسمي لحكومة الصين إليها عام ٩٧م، بينما العرب اكتشفوا الطريق البحري إلى الصين بواسطة السفن العمانية، حيث كانت بدايتها الخليج العربي مرورا بشبه جزيرة الهند وسيرلنكا، ثم جزر الملايو وصولا إلى الصين.

فالبري (طريق الحرير)، ينطلق من الصين ولا يقف إلا في أسبانيا، ويقدر طوله بثمانية آلاف ميل، ولم يكن مؤشر على عمق الحضارتين الصينية والعربية فقط، بل هو لوحات متواصلة بطول الطريق تشير إلى التفاعل الحضاري الإنساني من خلال حضارات أخرى كالهندية والرومانية والفارسية واليونانية منذ عام ٢٧٠٠ ق م إلى يومنا هذا، وهو وإن كان تجاريا إلا أن فيه هوامش أكثر من المتن في الجوانب الفكرية والثقافية والدينية، مع زخم حي من الحب والصدق والوفاء، وقصص وتراجم أدبية متميزة.

أما المسار البحري (طريق البخور) فبدايته من ميناء مدينة (كانتون، واسمها عند العرب خانقو) الصيني ويتجه إلى سواحل الهند الجنوبية متجها إلى الغرب ويتفرع منه مسار نحو الخليج العربي وآخر يتجه إلى أفريقيا ماراً باليمن وسواحل الحبشة، وربما دخل البحر الأحمر (وكان للعرب دراية واسعة بخطوط التجارة البحرية مع الصين، ودونوا ذلك في مؤلفاتهم، وتناولوا هذه التجارة من جميع جوانبها، وسجل بعضهم وصول السفن الصينية إلى مرافئهم العربية حتى القرن التاسع الميلادي)[1] ومن المؤكد أن في الطرق التجارية هوامش للمغامرين والسائحين والباحثين، ورسائل وقضايا واتفاقيات وثقافات، بل إن التاريخ يؤكد على وجود صراع بين الفرس واليونانيين والرومان والبيزنطيين على احتكار التجارة الواردة من أقصى الشرق، إضافة أن للعرب دورهم ومدنهم الساحلية التي تستقبل البضائع الصينية، وتصدر إلى الصين اللبان واللؤلؤ، والعاج والكافور، مع تميزيهم في صناعة السفن التي تعبر المحيطات

١) مجلة التسامح شمس الدين الكيلاني عدد ١٩

ومعرفتهم بالطرق البحرية، و خبرتهم بالممرات المائية والتعامل مع الشعب المرجانية، وهذه الخصائص جعلتهم رقما مهما في هذا الميدان، وجعلت من ميناء (صحار) العماني في الخليج العربي (بوابة الصين) [1]

أما في العصور الإسلامية الأولى فمصادر التاريخ الصينية والإسلامية لا تذكر إلا نتف يسيرة هي إلى الألفة بين الطرفين أقرب فقد تعامل الصينيون مع دولة الإسلام الأولى برفق واكتفوا بمتابعة الأخبار والعلاقات السلمية مع رغبتهم في استقرار الأوضاع الاقتصادية واستمرار التبادل التجاري، ودخل الطرفان في علاقات تجارية مباشرة حيث وصل كل واحد منهما إلى ميناء الآخر، وأول خطوات الاتصال إشارات متقطعة تؤكد أن الصينيين رفضوا مساعدة/ فيروزبن يزدجرد لمحاربة المسلمين وأن الخليفة/ عثمان بن عفان رضي الله عنه استقبل رسول إمبراطور الصين وأرسل معه وفدا أثناء عودته واستقبلهم الإمبراطور وأكرمهم، وإن مجموعة من التجار المسلمين وصلوا مدينة (كانتون) البحرية الصينية واستقروا بها، إضافة إلى رجوع القائد المسلم / قتيبة بن مسلم من الحدود الصينية دون دخولها برضى منه، ومحملا بهدايا من ملك الصين، وفي عام (١٠٨هـ٧٢٦م) وصل الصين رسول من الخليفة/ هشام بن عبد الملك والتقى مع/ هسون تونج (الإمبراطور الصيني) وهو نفسه الذي ساعده أبو جعفر المنصور (الخليفة العباسي) في إخماد فتنة قامت ضده بطلب منه، وقد استقر الجنود المسلمون في الصين بعد نجاح مهمتهم ونالوا التقدير والمعاملة الخاصة[2].

وكتب التراث العربي نوهت بالكثير من الصادرات الصينية للبلاد العربية، كالحرير الصيني، والماعون الصيني، والورق الصيني، والمسك الصيني، والفخار الصيني، واللبود الصيني، والمخروط الصيني وغيرها.

واستعرضت قدرات وتخصصات البلدان، فقالت: حاكة اليمن، ولصوص طوس، وحكماء اليونان، وصناع الصين.

أو ثياب مرو، وسيوف اليمن، وتفاح الشام، وآنية الصين.

أو كتاب السواد، وكواغد سمرقند، ورماة الترك، وطرائف الصين.

---

١) الاتصالات الودية تشانغ زون يان ص ٥

٢) انظر: (تاريخ العلاقات التجارية بين الصين والجزيرة العربية) أ.د/ علي الغبان .

ونسبت بعض العلماء والشعراء والقادة إليها، ك: الشاعر طاهر بن الحسين الصيني، وجيش ابن موسى الصيني، ومحمد بن أبي الغريب الصيني، وأبو بكر الصيني، وصفي الدين جوهر الصيني.

وجاء فيها ـ أيضا ـ الصوافي الصينية، والبط الصيني، والكلب الصيني.

وتروى ـ أحيانا قصصا منسوبة إليهم، كقصة (الخاتم الصيني والخليفة المنصور)، ومن عجائب ما قرأت أن كتاب (الصلة في التاريخ) ذكر (المسجد الصيني في قرطبة) وهو يعبر عن حجم تواصل الأمة الإسلامية من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب، أما كتاب (نهاية الأرب في فنون الأدب) فهو أكثر كتب التراث العربي التي تكرر فيها ذكر الصين والصينيون والصيني والصينيات، وجاء فيه (قال أحمد بن أبي يعقوب: أفضل المسك التبتي، ثم بعده المسك الصفدي، وبعد الصفدي المسك الصيني، وأفضل الصيني ما يؤتى به من خانقو وهي المدينة العظمى التي هي مرفأ الصين الذي ترسي فيه مراكب تجار المسلمين، ثم يحمل في البحر إلى الزقاق، فإذا قرب من بلدة (الأبلة) ارتفعت رائحته فلا يمكن التجار أن يستروه من العشارين).

إن ملامح ومعالم التجارة بين الطرفين قوية وواضحة، ووصل عدد التجار العرب والمسلمون في بعض المدن الصينية المهمة إلى أرقام كبيرة، وبلغت ثرواتهم درجة أوصلتهم إلى مناصب عليا وتأثير قوي، وأدت إلى تمدد الإسلام وانتشار المسلمين، وتخللت تأثيراتهم الكثير من جوانب الحياة الصينية، خاصة في ميدان الثقافة والطب والفلك والاقتصاد، أما منزلة الصين وسكانها في بلاد المسلمين أيام العصور الوسطى فهي أفضل من هذا العصر، رغم وسائل النقل وتقنية الاتصالات، كانت في تلك الأيام واضحة ومعروفة وحاضرة، ولدى كل طرف من الطرفين تصور واقعي عن الآخر، إضافة إلى أنه لا يمكن إنكار دور الحضارة الإسلامية العربية على الحضارة الصينية، خاصة في ميدان الطب والفلك والرياضيات، والمجتمع المسلم من خلال آدابه وتاريخه عبر عن إعجابه وتقديره للصين والصينيين وأثنى عليهم، وعلى حكمتهم وتجارتهم وقدراتهم الفنية في الرسم والخط والزخرفة، جاء في كتاب (نهاية الأرب ...)[ملوك الصين ذوو آراء ونحل إلا أنهم مع اختلاف أديانهم غير خارجين عن قضية العقل، وسنن الحق في نصب القضاة والأحكام، وانقياد الخواص والعوام إلى ذلك]، ووصل الانسجام بينهما إلى بنيتهما الحضارية، والتقائهما في:

١- أن الحضارتين الإسلامية والصينية من أهم الحضارات البشرية، بل في مقدمتها.

٢- فيهما مساحات واسعة للأخلاق والجمال والخير.

٣- أنهما تأذيا من الحضارة الغربية، ولا يزالا.

٤- أن بينهما ألفة وود، ولم يسجل التاريخ صدام طويل وسيء بينهما، وعلاقاتهما ببعض. نموذجا يحتذى في العلاقات الدولية والحضارية والدينية والتجارية.

٥- أنهما أطول الحضارات حضوراً وتأثيراً وسلاما وخدمة للإنسانية.

وملامحها المشرقة في العصر الحديث تتضح من مجموعة من الاتفاقيات والعقود واللقاءات والمواقف، ففي عام ١٩٧١م وفي الدرة (٢٦) للجمعية العامة للأمم المتحدة تقدمت عشر دول إسلامية من (٨١) مشروع إعادة الصين إلى مقعدها في المنظمة الدولية وصوت (٢٢) دولة إسلامية لصالح القرار (ثلث الدول المؤيدة) مما أقلق القوى الغربية، وأخذت من ذلك الوقت تفكر بـ (التهديد الإسلامي) و(التهديد الصيني) وتمخضت التدابير والخطط عن (نظرية صدام الحضارات)، وتتضح ـ أيضا ـ في العديد من المشاريع المشتركة، والشركات الصينية العديدة في العالم الإسلامي، وفي الأعداد النامية من الطلاب الذين يدرسون في الصين من الدول الإسلامية، وفي الدول الإسلامية من الصين، وفي المواقف الرسمية الصينية من القضايا العربية وخاصة فلسطين، وعبر عن كل ما سبق ما قدمه / تشيان تشى تشن، ـ نائب رئيس مجلس الولة حين كان وزيرا للخارجية عام ١٩٩٧م ـ من نقاط لتطوير العلاقات الصينية العربية من منبر الجامعة العربية، وهي (الاحترام المتبادل، والتعامل على قدم المساواة، والإبقاء على الحوار والتعاون، وتعزيز التعاون المتبادل المنفعة، والعمل على التنمية المشتركة، وتبادل التأييد في الشؤون الدولية).

ومن البديهيات أن خطوات الصين التجارية والسياسية مع الدول الإسلامية والعربية تستدعي تفعيل وتقدير المسلمين الصينيين، وفتح الأبواب لهم، مع احترام الدول، يقول الرئيس البوتسواني / نستوس موغاي (الصين تعامل الدول الإفريقية على قدم المساواة، أما الدول الغربية فتعاملنا كمستعمرات سابقة).

أما نقاط التشابه بين الصين والجزيرة العربية، فهي من محرضات التنسيق والتعاون، ومن دواعي اللقاءات الاستراتيجية بين الطرفين، للأسباب التالية:

١- قيام الطرفين على القيم الإسلامية والكونفوشيوسية المتشابه.

٢- العلاقات القديمة بينهما، وتواصل الشعبين منذ آلاف السنين.

٣- حاجة كل منهما للآخر في مجال التجارة والصناعة.

٤- العمق السكاني للجزيرة العربية يشمل مليار ونصف مليار مسلم، والصين قريبة من هذا العدد.

٥- تأذيهما من الغرب ومكره، واستعماره اللاإنساني.

الرحلات المتبادلة

الرحلات المتبادلة بين العالم العربي - قلب المسلمين - والصين متعددة ومتنوعة، وهي أمثلة حية على عمق العلاقات، وتجذر الصلات، ووجود حاجات متبادلة بينهما، والإطلالة على بدايتها من المستحيلات أو هي في دائرة الرؤية الضبابية، ومن الصعوبة لملمة جميع أجزاءها وتشكيل هيكلها، خاصة أن العرب والصينيين من أسبق الأمم في كتابة الرحلات، وفي الأسطر الواردة محاولة جمع بعض المتناثر منها من خلال نماذج مختزلة للرحالة من الصين إلى البلاد العربية ثم الرحالة من العرب إلى بلاد الصين.

أ - الرحالة من الصين إلى البلاد العربية.

من إبداعات الصين في التواصل إنشائهم طريق الحرير البري و الذي كانت بداياته عام ٩٧م، وأخذ بالنمو والتطور حتى جاءت الاكتشافات البحرية، وأسرة يوان الذي كانت وفاته على يديها، وحمل هذا الطريق والطريق البحري العديد من الرحالين الصينيين إلى البلاد العربية، ومن أقدم الرحلات الصينية إلى البلاد العربية رحلة / تشانغ تشيان ـ توفي عام ١١٤ق م ـ حيث كان موظفا في البلاط الإمبراطوري، وكانت بدايتها عام ١١٩ق م، حيث وصل إلى غرب آسيا وما بين النهرين، وتجاوزهما إلى الشام والإسكندرية، وفي عصر الإمبراطور / بان تساو ـ ٣٢م، ١٠٢م ـ أرسل الضابط / قان ينغ عام ٩٧م إلى بلاد الشام، ومن الرحلات بعد الإسلام .

١- رحلات / دوهوان

وقد كان / دوهوان من الأسرى الصينيين الذين وقعوا بيد المسلمين نتيجة معركة (تالاس) ٧٥١م، وبقي في البلاد الإسلامية ما يقارب اثنا عشر عاما، تجول فيها، وعاد إلى الصين عام ٧٦٣م عن طريق البحر، وسجل مشاهداته في كتابه (مشاهدات في الرحلات) ويطلق عليه أيضا (رحلة إلى بلاد الكتاب) أو (مذكرات في ديار الغربة) ويعتبر أول كتاب صيني يتحدث عن الإسلام والمسلمين من خلال المشاهدة والمعايشة، وعرّف الشعب الصيني بالقرآن والإسلام [1] في ذلك الوقت، وأصل الكتاب مفقود حتى الآن وما بقى منه إنماهو نتف في كتب اخرى تقلتها عنه.

١) المسلمون في الصين جين جيون ص ١١

٢ - رحلات / تشنغ خه

وهو البحار الصيني المسلم الذي كلفته حكومته (أسرة مينغ) بالإبحار في ٦٢ سفينة كبيرة عليها ٢٧ ألف بحار، وقام بسبع رحلات مابين عامى ١٤٠٥م و١٤٣٣ م زار خلالها ٣٥ قطر في آسيا وإفريقيا خلال ٢٨ سنة، سجل بعض المرافقين زوايا من مشاهداتهم في الكتب التالية:

١ - (الاستطلاع الشامل لشواطئ المحيط) ل / ما هوان

٢- (ملاحظات عن البلدان الأجنبية في المحيط الغربي) ل / كنج شن

٣ - (الاستطلاع الشامل لسفينة النجم) ل / في سين

وجاء فيها وصف للعرب (تميز رجالها بأنوف كبيرة ولحى سوداء، ويحملون خناجر من الفضة في أغماد فضية، ولا يشربون الخمر، ولا يعرفون الموسيقي،أما النساء فلهن بشرة بيضاء، ويلبسن خمارا عندما يخرجن من بيوتهن، ولديهم معابد ضخمة، ويخطب ملكهم في رعيتهم مرة كل أسبوع من منبر عال في المعبد بهذه الكلمات أن من مات على يد العدو يرفع مرة أخرى إلى السماء، ويعيش من قهر العدو في سعادة، وهؤلاء هم التاشي - العرب - فرسان شجعان يصلون خمس صلوات يوميا إلى الأرواح السماوية)[1] والملفت للنظر أن ضخامة الأسطول الصيني وكثرة من يستقلونه، وتكرار الرحلات، لم تؤدي إلى اضطهاد أو احتلال أو إلزام بمشاريع تجارية مع أي دولة مر عليها الأسطول أو توقفت في ميناءها، كل ما جنوه استعراض ومعلومات وهدايا متبادلة.

٢- الرحلات العلمية:

فيما مضى كانت الرحلات الصينية إلى بلاد العربية فردية سواء كانت للحج أو لطلب العلم، ومن ذلك رحلة / محمد كاشغر (١٠٠٨م-١١٠٥م) حيث اتجه إلى آسيا الوسطى ومنها إلى بغداد وأقام بها فترة، وفي عام (١٨٤١م) رحل / ماده سين إلى مكة المكرمة ثم زار عدد من الدول العربية ودرس بها، وعاد إلى الصين بعد ثمان سنوات يحمل العلم والقدرة على التعليم والتأليف.

١) رحلات الصينيين الكبرى إلى البحر العربي، عبد الله محيرز، ص:٢٧

ثم تلى ذلك الوفود التعليمية، تحت مضلة مصطلح «البعثات» لتلقي العلوم الإسلامية وتعلم اللغة العربية،وكانت البعثة الأولى وصلت مصر في ٢٠ ديسمبر١٩٣١م مكونة من:

١- محمد إبراهيم شاه كوجين

٢- يوسف جانغ يوجينغ

٣- عبد الرحمن ناجونغ

٤- سعيد لينغ جونغ

٥- محمد مكين

ثم جاءت البعثة الثانية إلى القاهرة في ٣١- ديسمبر١٩٣٢م وتشكلت من ستة أفراد، وبعدها الثالثة في ٢٠ مارس ١٩٣٤م، والرابعة وصلت في ١٩ مايو ١٩٣٤م، وتوالت البعثات وامتدت إلى السعودية والسودان وسوريا وباكستان وماليزيا، وكان لها الأثر الكبير على نشر الإسلام وتعليم المسلمين في الصين، وأصبح المتميزون من أفراد البعثات الأساس العلمي لبداية التعليم الجامعي للعلوم الإسلامية واللغة العربية في الجامعات والمعاهد الصينية، وأسهموا في ترجمة الكثيرمن الكتب العربية إلى اللغة الصينية، وترجمة العديد من الكتب الصينية إلى اللغة العربية، وقد ألف / محمد يانج (١٣٧٧هـ-١٩٥٧م)كتابا عنوانه (تسع سنوات في مصر).

٣- رحلات الحج:

في البدايات كانت رحلات الحج فردية، يتمخض من بعض أفرادها ذكر وعلم، وتأثر بإخوانهم في مكة المكرمة والمدينة المنورة، ويعلق بها - أيضا- توجه علمي، وقد زخرت كتب الرحلات والسير والتاريخ بالعديد من قصص هؤلاء، ومن الصعوبة حصرهم، ولكن منهم:

١- الشيخ / مالاى تشى، من مقاطعة قانسو، اتجه إلى مكة، وأقام بها ثلاث سنوات، وعاد معلما وناشرا للاتجاه الخفي.

٢- الشيخ/ ماميغ شن (١٧١٩م- ١٧٨١م) ذهب إلى مكة لأداء فريضة الحج، ومنها إلى اليمن، ودرس على الشيخ الصوفي/ ابن الزيني، ونقل شيء من التصوف إلى الصين.

٣- الشيخ/ ماده شين (١٧٩٤م- ١٨٧٤م) من أسرة علمية خلط بين العلم والأسفار، كانت تنقلاته الأولى داخلية ثم انطلق عام ١٨٤١م إلى مكة المكرمة وصلها بعد «١٨» شهرا ثم اتجه إلى القدس والقاهرة والإسكندرية والقسطنطينية وبغداد ثم عاد إلى جدة ومنها إلى سنغافورا، وفي عام ١٨٤٩م عاد إلى الصين، وقد دون مشاهدته باللغة العربية، وقام تلميذه بترجمتها إلى الصينية في كتاب عنوانه: (ما شاهدته في طريقي إلى الحج).

٤- الشيخ/ ماوان فو - الحاج البستاني (١٨٤٩- ١٩٣٤م) وصل إلى مكة، وأنهى الركن الخامس، وتلقى شيء من العلم بها، وعاد إلى الصين ملتزما توجهات أهل السنة و الجماعة، وداعيا إلى «الاتجاه الإخواني»[1].

ثم يأتي بعد ذلك حملات الحج، ومنطلقاتها (دبلوماسية الحج)، والتي كانت سبباً في العلاقات السعودية الصينية، ومنذ عام ١٩٥٥م، ومن خلال مؤتمر (باندونغ) في إندونيسيا، حيث التقى الملك فيصل ممثل المملكة العربية السعودية في المؤتمر بوزير خارجية الصين/ شو إن لاي، واتفقا على فتح الباب أمام الحجاج الصينيين، واستمر هذا الاتفاق إلى قيام الثورة الثقافية الصينية عام ١٩٦٦م، والتي من معالمها تهميش الدين، والقضاء على التقاليد البالية كما تدعي، فتوقفت رحلات الحج الصينية إلى عام ١٩٧٩م، ثم تأكدت رسمياً، وبإشراف الدولة، وبوجود بعثة رسمية منذ عام ١٩٨٥م، وأخذ أعداد الحجاج بالنمو كل عام إلى يومنا هذا، وكان لها أثرها القوي والملموس على المسلمين في الصين، وتواصلهم مع إخوانهم، والاطلاع على أحوالهم، ومعرفة قضاياهم، واحتياجاتهم، وحقيقة حالهم.

٤- رحلات الوفود:

ب- الرحالة من البلاد العربية إلى الصين:

من إبداعات العرب في التواصل إنشائهم لطريق البحر (طريق البخور) من أجل التواصل مع الصينيين، وكان للسفن العمانية فضل البدايات المنطلقة من الخليج العربي متجاوزة شبه القار الهندية وسريلانكا مرورا بجزر الملايو من أجل الوصول إلى الصين، وقد كانت

١) الثقافة العربية والإسلامية في الصين، د/ كرم فرصات، ص: ٥٢

معاناة البحارة كبيرة ومؤلمة بسبب:

١- الكوارث الطبيعية.

٢- قطاع الطرق والقراصنة.

٣- المناطق السواحلية المضطربة أمنيا.

٤- تعطل السفن، والضياع، ونقص المال والمؤن والمتوقع أن رحلات العرب إلى الصين كثيرة جدا، ومتنوعة، ومتواصلة، وما تم تسجيله قليل جدا، وما وصل إلينا منها إلا اليسير.. ومن ذلك:

أ- رحلة أبو عبيدة عبد الله بن القاسم، انطلقت من عُمان في (١٣٣هـ،-٧٥٠م)وهي - إلى الآن- أقدم رحلة تم تسجيلها من قبل العرب.

ب- رحلة سليمان التاجر، حيث قام برحلته عام ٧٣٢هـ - ١٥٨م، وسجل مقتطفات منها في كتاب: (عجائب الدنيا وقياس البلدان) وذكر فيه أن السلطات الصينية (قد عينت في مدينة خانقو قاضيا من المسلمين يتولى إدارة شؤونهم الدينية والاجتماعية، ويحكم بينهم بما أنزل الله عزوجل).[1]

جـ - رحلة أبو زيد السيرافي في عام ٣٠٤هـ ٩١٦م وهي تشبه الرحلة السابقة، وقد وضع كتابا يتحدث عن بعض خطواتها سماه: (من أخبار الصين والهند).

د- في عهد الخليفة الواثق (٢٢٧هـ- ٢٣٢هـ / ٨٤١م - ٨٤٦م) أرسل مجموعة من الرحالين إلى البلاد الصينية تعرف برحلة (سلاّم الترجمان) ضمت ما يقارب من خمسين شخصا معهم (٢٠٠) بغل عليها زادهم، وفي منتصف القرن الثالث قام/ ابن وهب القرشي برحلة إلى الصين، أورد المسعودي في كتابه: (مروج الذهب) حوار/ ابن وهب مع / إمبراطور الصين.

هـ- رحلة ابن بطوطة ٧٠٣هـ - ٧٧٩هـ / ١٣٠٤م - ١٣٧٧م، وهي مشهورة متميزة،سجل أحداثها في كتاب عنوانه: (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، ترجم إلى عدة لغات، تحدث فيه عن أحول الملوك ومجتمعاتهم، وعن المسلمين في الصين، وقال عنهم: (في كل مدينة من مدن الصين مدينة للمسلمين ينفردون بسكناها، ولهم فيها المساجد لإقامة

١) عجائب الدنيا، سليمان التاجر، ص: ١٨

الجمعات وسواها، وهم معظمون محترمون).[1]

و- رحلات العبودي، وهو رحالة معاصر، لا أعلم مثله أو ما يقاربه تجول كتجواله وكتب ككتبه من ناحية كثرتها وما فيها من معلومات ووصف عن الدول التي زارها، ذهب إلى الصين مرات، وكتب الكتب التالية عنها:

١- داخل أسوار الصين جزءان في ٥٧٢ صفحة.

٢- فوق سقف الصين في ٢٣٥ صفحة.

٣- العودة إلى الصين في ٣١٥ صفحة.

٤- في مهد الترك.

٥- في جنوب الصين.

٦- في وسط الصين.

٧- في أعماق الصين الشعبية.

لقد عززت الطرق والبضائع المتبادلة، وطلب العلم والحج الرحلات بين الطرفين، وصنعت معالم في مقدمتها انتشار الإسلام واللغة العربية والترجمة، ووجود أسواق مخصصة للسلع الصينية في بغداد خلال القرن الثامن والتاسع الميلادي، والزيارات المتبادلة السبع للبحرية الصينية بقيادة المسلم الصيني / اتشنغ خه، وهيمنة تجارية عربية في ميناء(كانتون)الصيني.

٥- رحلات اللاجئين:

وهي وإن كانت قسرية إلا أنها شكلت بنية للمسلمين الصينيين عالمياً، وجعلت منهم علماء، ودعاة، وممثلين، وخلقت روابط بين ما هم فيه وما كانوا عليه، وأبرزت وجودهم على السطح العالمي، وكانوا نعم السفراء للمسلمين في الصين، ومن تلك الرحلات هروب أعداد من المسلمين الصينيين إلى دول إسلامية، وخاصة السعودية، وإلى دول أخرى، ومنها اليابان، حيث أسهموا في بنية وبداية الإسلام فيه، وكانت ذروة رحلاتهم في منتصف الثلاثينيات من القرن الماضي، ثم في عام ١٩٤٩م حينما تقدمت جيوش / ماوتسي تونغ.

---

١) رحلة ابن بطوطة، محمد بن عبد الله الطنجي، جـ ٢، ص:٢٢٣

٦- رحلات العمل:

وتتكون من أفراد وجماعات، وتظهر قوتها وكثرتها من خلال الشركات العملاقة الصينية المعاصرة (بعد الانفتاح)، والتي تعمل بعقود باهظة في العديد من الدول الإسلامية، وخاصة دول الخليج العربي، وتشكل منها نوافذ مهمة على الإسلام، والمسلمين، وكانت من أسباب إسلام العديد من الصينيين، والاطلاع على هذا الدين، ومعرفته.

من تاريخ المسلمين في الصين:

المسلم الحقيقي منهج الله العملي على الأرض، وحياته عطاء متميز من أجل سعادته في الدنيا والآخرة، وأمن الآخرين، وخطواته تاريخ إنساني لأنه الوحيد الذي يخضع لله سبحانه وتعالى، ويتناغم مع أخيه ومع الحيوانات والنباتات والجمادات كما يريد خالقه جل وعلا، وهذا سر تواجده المعنوي المتجاوز لوجوده المادي، وتمدده في زوايا المعمورة.

المسلم في أي أرض وتحت أي سماء في داخله أفاق مشرقة، وأمامه مساحات واسعة، ولديه رسالة إنسانية شفافة، ويتجه إلى أهداف نبيلة، لأن خطواته تستقيم بتعاليم رب العالمين، ووسائله تتحرك من خلال القيم.

المسلمون وإن كانوا أقلية هنا، أو جالية هناك، أو أفرادا لا يتجاوزوا أصابع اليد الواحدة في سفح جبل أو منعطف وادٍ فإنهم يملكون آلية التواصل مع ذاتهم ومع المسلمين ومع غيرهم، يتحاورون ويتعارفون ويتعايشون، يؤمنون أن الاختلاف بين البشر لازمة من لوازم الحياة، وأنهم - جميعا - من أصل واحد، وأن الإيمان قضية إرادية مستقلة، واختيار حر، لا يجوز - مهما كانت الظروف - فرضها على الآخر، وملامحهم - تلك- جعلت منهم سطر بارز في كتاب الحياة، وعلامة فارقة في دروبها، و رقم لا يمكن تهميشه، وأمل للبشرية حينما تقع بين الجهل والطغيان، كما أن عوامل النسيان والتجاهل والتعرية لا تتقاطع مع خطوطهم لقوتها وواقعيتها وعدالتها ووسطيتها.

المسلمون أهل عمل وأخلاق ونظافة، يقدرهم الآخرون، ويذكروا محاسنهم، يقول الصحفي/ فان تشانغ جيانغ (بيوت المسلمين وحقولهم منظمة ومرتبة، ويبذلون جهوداً جبارة في الري واستئصال الأعشاب من الحقول، وحياتهم زاخرة حيوية ونشاطا، ويمكننا أن نجد الإناء معلقا على عارضة وراء باب كل بيت وخندقا ضيقا تحته، وبجانب الخندق إبريق، وهم

يستعملون الإبريق في غسل الوجه واليد بدلاً من الطست، وفوق كل بئر غطاء، والدلو الصغير معلق على الجدار، مغطى بالقماش الأبيض، والدلو الكبير يوضع مقلوبا حتى المغارف والملاعق في الدولاب توضع معكوسة أيضا)[1]

لقاءات رسمية:

المسلمون في الصين يمثلون دينهم، ودينهم للبشرية كلها وإن لم يدخلوا فيه، دين كل مكان وزمان، وقد سبق وصولهم إلى الصين صلة العرب ببلاد الصين، وصلة الصينيون ببلاد العرب، والمصادر تؤكد التبادل التجاري بين الإقليمين، فثغر (سيراف) في الخليج العربي وميناء (الإبلة) نقطة توزيع تجاري للبضائع الصينية، وبعض السفن الصينية تتجاوزه إلى (الحيرة) عن طريق نهر الفرات[2]، ويرى د/ كرم فرحات (أن مصر في العصر المسيحي كانت متصلة بآسيا الوسطى والأقاليم الغربية في الصين)[3]، ولدى الصينيين معلومات تؤكد أن الصلة الأولى بينهما كانت في عهد الإمبراطور / وو دي، في عام ١٣٩ قبل الميلاد، وصل وفد إلى العراق في ذلك الوقت[4]، ولكن صلة المسلمين بالصينيين من الصعوبة - أيضا - أن تحدد خطواتها الأولى، فقد تكون من تاجر أو عالم أو مجاهد أو داعية، أو رسالة، أو رسائل أو رسل متبادلة، أو من خلال تقرير سري من إحدى الحكومتين طواه الزمن ولفه النسيان، والمؤرخون العرب سجلوا تاريخ الملوك والدول، ولم يلتفتوا إلى تاريخ المجتمعات والأفراد إلا إذا تخللها أحداث كبيرة أو غريبة، أما بداية الإسلام في الصين عند مؤرخيهم فهي مفصلة، وسابقة لإخبار المؤرخين العرب.

وأقدم ما تشير إليه المراجع والمصادر حول الطرفين هي روايات صينية عن لقاءات بين المسلمين والصينيين، بدايتها أن الإمبراطور الثاني/ بتايتسونغ - حكم ما بين ٦٢٧-٦٤٤م من أسرة (تانغ) رأى في منامه رجل وقور يصد عنه حيونا مفترسا، وأولت له بأن نبي قد ولد في جزيرة العرب وبركته ممتدة، واستقرار الصين مرتبطة به، فأرسل الإمبراطور وفدا يتقصى الأمر، فأرسل إليه الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاثة من أصحابه لم يصل منهم إلا واحد هو سعد بن أبي وقاص، وقيل: خالد بن سعد، فاستقبله الإمبراطور وأحسن إليه، وسمح له ببناء مسجد في العاصمة (مسجد هوايشنغ)، والمعنى: الشوق إلى النبي، وفي رواية أخرى أن الإمبراطور الأول، والمعروف بـ /بونتي رأى في ليلة من الليالي نجما ساطعا فأخبره الكهان أنه مؤشر على خروج رجل

١) داخل أسوار الصين محمد العبودي ص ٧
٢) مروج الذهب، المسعودي، جـ ١، ص ٦٢ .
٣) الثقافة العربية والإسلامية في الصين، كرم فرحات، ص ٢٢ .
٤) الإسلام في الصين، فهمي هويدي، ص ٤٠ .

عظيم في جزيرة العرب فأرسل الإمبراطور رسولا وصل بعد سنة وعاد ومعه أربعة من الصحابة منهم /خالد بن سعد بن أبي وقاص[1]، ورغم الشك في الروايتين، وسكوت المصادر الإسلامية عنهما، إلا أن أمر البعثة المحمدية حدث عالمي كانت إرهاصاته تتوالى عند أصحاب الديانات والدول والممالك بأنواعها، وفي الكثير من زوايا الأرض مبشرات لها .

ومما ترويه المصادر الصينية - وبتحديد تاريخي دقيق - إرسال عثمان بن عفان رضي الله عنه وفدا إلى إمبراطور الصين في ٢/ ١/ ٣١ هـ - ٢٥/ ٨ / ٦٥١م، حيث قابله في عاصمة الصين حينذاك (تشانغان)، وذكر الجاحظ في كتابه (الحيوان) أن رسالة من إمبراطور الصين كانت ضمن أوراق معاوية بن أبي سفيان كشف أمرها بعد وفاته رضي الله عنه .

ونقل الطبري في تاريخه[2] أن إمبراطور الفرس /يزدجرد بعد هزيمته من المسلمين وهروبه أرسل وفدا إلى إمبراطور الصين يطلب العون منه ... وحاوره وقال لرئيس الوفد:-

- قد عرفت أن حقا على الملوك إنجاد الملوك على من غلبهم، فصف لي صفة هؤلاء القوم الذين أخرجوكم من بلادكم، فإني أراك تذكر قلة منهم وكثرة منكم، ولا يبلغ أمثال هؤلاء القليل الذين تصف منكم فيما أسمع من كثرتكم إلا بخير عندهم وشر فيكم.
- سلني عما أحببت.
- أيوفون بالعهد؟
- نعم.
- ما يقولون لكم قبل أن يقاتلوكم؟
- يدعوننا لواحدة من ثلاث، إما دينهم، فإن أجبناهم أجرونا مجراهم، أو الجزية أو المنابذة .
- وكيف طاعتهم أمراءهم؟
- أطوع قوم لمرشدهم .
- فما يحلون وما يحرمون؟

١) نظرة جامعة إلى تاريخ الإسلام في الصين، محمد مكين، ص ٦ .

٢) تاريخ الرسل والملوك، ابن جرير الطبري، جـ ٤، ص ١٦١ .

- فأخبرته .
- أيحرمون ما حلل لهم أو يحلون ما حرم عليهم؟
- لا .
- إن هؤلاء قوم لا يهلكون أبدا حتى يحلوا حرامهم ويحرموا حلالهم .

ثم كتب إلى /يزدجرد:

[إنه لم يمنعني أن أبعث إليك بجيش أوله بمرو وآخره بالصين الجهالة بما يحق علي، ولكن هؤلاء القوم الذين وصف رسولك صفتهم لو يحاولون الجبال لهدوها... فسالمهم وأرض منهم بالمساكنة، ولا تهيجهم ما لم يهيجوك]

وفي عام ٩٦هـ - ٧١٤م تواصلت رايات الإسلام في وسط آسيا، واستطاع/ قتيبة بن مسلم أن يصل إلى (سمرقند) و(بخاري) ويحيط بحدود الصين الغربية والشمالية، ومن مدينة (كاشغر) أرسل وفداً إسلامياً تحت إمرة/ هبيرة بن الشمرج الكلابي إلى إمبراطور الصين / يوانغ تشوانغ، فاتفقا على أن يدفع الإمبراطور الجزية[1].

قال الفرزدق ٣٨هـ - ١١٠هـ / ٦٥٨ م- ٧٢٨م:-

ولما رأينا المشركين يقودهم قتيبة زحفا في جموع الزمازم
ضربنا بسيف في يمنك لم ندع به دون باب الصين عين لظالم

وفي عهد الإمبراطور /شوان زوينغ (٧١٢م - ٧٥٦م)التقى الجيشان - الإسلامي والصيني- عام ٧٥١م في معركة (تالاس) وانتصر فيها المسلمون، وتعتبر هذه المعركة الأولى والأخيرة بين الطرفين، وقد أثمرت - نتيجة الأسرى الصينيين - انتقال صناعة الورق إلى آسيا الوسطى وبلاد الرافدين والشام حتى وصلت إلى أوروبا، وبدأت الصين -بعد تلك المواجهة -تقرأ عن الإسلام والمسلمين وأخذت المؤلفات تنتشر باللغة الصينية عنهما، وعنها يقول السيد الحميري (١٠٥هـ-١٧٣هـ ٧٢٣ م-٧٨٩م):

أعطاكم الله ملكا لا زوال له حتى يقاد إليكم صاحب الصين

وفي نهاية الثلث الأول من عهد أسرة/ تانغ (٦١٨ - ٩٠٧م) اضطر الإمبراطور/ سوتونغ

١) تاريخ ابن الأثير، حوادث سنة ٩٦هـ .

عام ١٣٩هـ - ٧٦٢م إلى طلب العون من الدولة الإسلامية لإخماد اضطرابات ضده، وجاء إليه جيش خرساني من المسلمين في عهد أبي جعفر المنصور، ونجح في مهمته، واستقر - الغالب منهم - في الصين بعد قمع الثورة، واندمجوا، وتزوجوا من الصينيات، وإليهم تنسب قومية (الخوى)، وقد وافق الإمبراطور الصيني على مطالبهم المتمثلة باستقلالهم في إدارة شؤونهم الخاصة، وإشهار عبادتهم، إلا أنه فرقهم في العديد من المدن وألزمهم بعموم سياسته، وقيل إن الدولة تمنح كل أسرة مسلمة (٥٠٠) أوقية من الفضة كل سنة[1]، ونالوا تقدير الإمبراطور وزوجه، ودعا المواطنين إلى احترام هؤلاء، وكتب إرشاداته في هذا الأمر على الحرير الأزرق، ومن يومها والمسلمون يضعون الستائر الزرقاء على أبواب بيوتهم وستائرهم، وأصبح يعبر عنهم ويميزهم عن غيرهم من القوميات الأخرى، إضافة إلى اللون الأخضر الخاص بهم والمستعمل - غالبا - في المساجد والقبب والأضرحة والبنايات الإسلامية.

يوازي ما سبق الوفود المتبادلة بين الطرفين والتي يقدر عددها بـ (٨٦) وفدا خلال ستة قرون، منها (٣٩) وفدا ما بين عامي ٦٥١ إلى ٧٩٨م، وكانت نهاية الوفود وصول المغول إلى سدة الحكم، ثم التبادل التجاري والاحتكاك العسكري والزواج، وجميعها أدت أدوارها الملموسة في تأصل الإسلام في الصين، كما أن لأسرة (تانغ) الإمبراطورية فضل البداية للمسلمين، ولأسرة (سونغ) حسنات الانتشار لهم، ولأسرة (يوان) نعمة التمكين، ففي عام ١٣٣٥م أصدر الإمبراطور بيانا يعترف فيه بالإسلام والمسلمين، ويطلق عليه «الدين الحق الطاهر» - تشينغ تشن، وهذا المصطلح الصيني لا يزال يستعمل حتى الآن.

واتفق علماء التاريخ والاجتماع والسياسة أن المسلمين تجذروا في العهد المغولي، وانتقلوا من العزلة إلى الانفتاح، وتمكنوا في الجيوش، وبلغ من تولي مراكز عليا - وزراء وولاة مقاطعات - بـ (٤٩) شخصا، وهي كثيرة عليهم، وقد أحرجتهم هذه المنزلة، ووضعتهم بين قوتين فاعلتين قوة (السلطة) وقوة (الشعب)، فالمجتمع الصيني في العهد المغولي تشكل من:

١- الحكام (المغول).

٢- الجهاز الإداري، وزمامه بيد (المسلمين) حيث عاشوا قمة تواجدهم في الصين، ونال العسكريون منهم معاملة خاصة، ولهم إمامهم وقاضيهم، والعلماء والأدباء وأهل التميز منهم تبوؤا المناصب الكبيرة، فتمكنوا تجاريا، مع شيء من الصراع الخفي مع قومية

١) الثقافة العربية والإسلامية في الصين، كرم فرحات، ص ٤٢.

الخان الكبيرة، ومع ذلك تحقق الاندماج مع الشعب الصيني، وأفلحوا في:

أ- زيادتهم العددية.

ب- قوة تأثيرهم.

ج- إسهامهم في بناء الصين.

٣- الشعب (قومية الخان) وهم أصل الصين، والأكثرية، إلا أن المغول وضعوهم في الدرجة الثالثة، لأن تمكنهم مع كثرتهم يشكل خطرا على النظام.

وبعد نهاية العصر الذهبي للمسلمين في الصين في ظل الأسرة المغولية جاءت أسرة مينغ (١٣٦٨م - ١٦٤٤م)متمسكة - في البدايات - بمواقف وطنية متشددة، صانتها بالعزلة، فتوقف التواصل والتفاعل بين المسلمين في داخل الصين وخارجها، وتقلصت الهجرة المتبادلة بين الطرفين، واتجه المسلمون الصينيون إلى البناء الذاتي، وتربية وتعليم أبنائهم على ما لديهم من معالم وعلوم إسلامية متواضعة، وسعوا إلى حفظ مجتمعاتهم الصغيرة من رياح التغيير ومشاريع التذويب، ووظفوا التسامح والحوار وحرية الاعتقاد الإسلامي في اختراق البنية الثقافية الصينية.

لقاءات شعبية:

خط آخر من خطوط التواصل بين المسلمين والصينيين مرتكزاته التجارة بين الطرفين والدعوة والسياحة، والهروب من الاضطهاد الديني والسياسي والصراعات الداخلية المختلفة، ولكن عموده الأول النشاط الاقتصادي المتكئ على طريقين:-

الأول: الطريق البري، طريق الحرير، ربط بين الشرق والغرب، ويمر بوسط آسيا وبلاد فارس والعراق حتى بلاد الشام ونهايته في بلاد العرب إنطاكيا وبيروت من جهة وبدايته مدينة (شيان) العاصمة الصينية القديمة، وتم تفعيله في عصر الدولة العباسية، ومات على يد التسلط المغولي.

الثاني: الطريق البحري، طريق البخور، وهو ما بين مدينة (كانتون) - وتعرف الآن بـ (قوانغتشو) الصينية، ومدن (الإبله) و(الحيرة)، وثغر (سيراف) في الخليج العربي.

واستمرت الرحلات التجارية البرية والبحرية بينهما حتى يومنا هذا، وعبرت بعض القصص والحكم والأمثال عن الكثير من المواقف والصور التجارية، ومنها قول / إسماعيل بن

عمار الإسدي ٦٠هـ - ١٤٠هـ / ٦٧٩ - ٧٥٧م:-

نمشي وأرجلنا مطوية شللا مشي الأوز التي تأتي من الصين

وقال محمد الوراق ٢٢٠هـ / ٨٤٠م

وكم أزعج الحرص من راغب إلى الصين والرزق في بيته

وقال / عاصم البرجمي ٢٣٩هـ / ٨٥٣م يصف إناء

صينية الحسن حين أبدعها مصور الصين بالتصاوير

وجاء في كتاب (نهاية الأرب..) وصف لقدرات الصين الفنية حيث إن (أهل الصين يصور مصورهم الإنسان فلا يغادر شيئا إلا الروح، ثم لا يرضى بذلك حتى يفصل بين ضحك الشامت وضحك الخجل، وبين المبتسم والمستغرب، وبين ضحك المسرور والهازئ، ويركب صورة في صورة)، وينقل التوحيدي في كتابه: «المقابسات» أن الحكمة نزلت على رؤوس الروم، وألسن العرب، وقلوب الفرس، وأيدي الصينيين، ومن صور تغلغل المسلمين في الصين ما أورده كتاب(تاريخ سلالة سنغ)الصيني، أن الشيخ / عبد الله عاش في مدينة (قوانتشو) عشرات السنين، وكانت له ممتلكات وفيرة بلغت قيمتها عدة ملايين، وقد تجاوزت هذه الثروة دخل الصين السنوي في أوج ازدهارها، إذ لم تتعد المليونين، وغادر الصين سنة ١٠٧٢م عائداً إلى بلاده، وقدم له الإمبراطور الصيني هدايا...)[١]

وقد أسهم الطريقان في التعريف بالإسلام ونشره، يضاف إليهما النزوح الجماعي أحيانا والفردي - غالبا - نحو وسط الصين وأطرافها من حدود الدولة الإسلامية، فكان الاختلاط والتجارة والزواج وتسامح السلطات الصينية عوامل مهمة وفاعلة في استقرار المسلمين بها، ودخول بعض الصينيين في الإسلام، وأسهم التزام المسلمين بثقافتهم وتقاليدهم في تميزهم واتضاح خطوطهم الخاصة في الأعياد والزواج والقبور وبناء المساجد، والملابس والأطعمة، فالمسلمون ينظرون إلى الموت بشكل طبيعي، حيث التواضع في الإجراءات، والسرعة بالدفن، إلا أن عشوائية المقابر وكثرتها جعلت الجهات المعنية يفكرون بطريقة أخرى، فهم يرون أن نسبة الوفيات تصل إلى ٦،٥٪ سنويا، وتقدر بمليون وثلاثمائة ألف متوفى مسلم، يحتاجون إلى (٢٤٠٠) هكتار من الأرض، وهي مساحة يمكنها أن تغذي ثلاثة ملايين نسمة في السنة لو زرعت بالحبوب، ومع هذا فالحكومة سعت في تطوير مقابر المسلمين، وتشجيرها، وكم هو جميل وجيد ابتعاد ذوي الميت عن الإسراف أثناء الدفن، والتنازل عن رفع القبر المعبر عن مكانة العائلة، وترك وضع الحوائط الإسمنتية والخشب حوله.

١) رحلات الصينيين الكبرى عبد الله محيرز ص ٢٩

والنتيجة المؤكدة الواضحة أن تاريخ المسلمين في الصين عبر جميع المراحل له حضوره ونكهته، إلا أن فترة التعايش كانت الأطول، تليها أيام المهادنة، ويبقى بعد ذلك لحظات قليلة قاسية، تخللها مواجهات دامية، وصلت في بعض منعطفاتها إلى الإبادة والتهجير والاضطهاد، ففي قمة العنفوان الشيوعي كانت الأحكام الرسمية عن الدين أنه عقائد بدائية بالية، وأنه من مخلفات الماضي، ويجب استئصاله، إلا مؤسسات قليلة تحت مظلة الحزب وعين الحكومة، وعدد يسير من المساجد لتكون لوحات إعلامية، وبعض المدارس لتقوم بتنشئة رجال دين يدعمون الشيوعية والشيوعيين.

المسلمون في الصين... تفاعل وعطاء

تمخض من اللقاءات الرسمية بين البلدين (الصين والدولة الإسلامية)، ومن اللقاءات الشعبية على أرض الصين، والمصاهرات والزواج، تجذر إسلامي وحضور المسلمين المتميز، حتى أصبحوا جزءا من النسيج الاجتماعي، ومعالم في منعطفات سياسية صينية عديدة، وتواجد تجاري هام، أسهمت خصائصهم ومكونات المجتمع الصيني وحكامه في تشكيل مساحات للمسلمين في ربوع الصين وأقاليمه، فمجيء المسلمين إلى الصين لم يكن من أجل الدعوة، ولم تكن الدعوة التوجه الظاهري الأول لهم، بل التجارة ومتطلباتها في التعامل، والتودد، والإقناع، والبشاشة، ثم بنية الطرفين العقلية، والنفسية، والاجتماعية أسهمت في انسجامهم، وكان العامل الأول في المسلمين الإسلام، وفي الصينيين الكونفوشوسية، ففيهما محبة ولين، وتسامح وانفتاح، وحوار وتعايش، يضاف إليهما نقاوة التاريخ من الصدامات بينهما، ومن عُقد الصراع، وعلل التنافس، ويعبر عن ذلك المساجد المتواضعة في الصين فهي لم تحمل هم نشر الإسلام بقدر محافظتها على إسلام المسلمين، وهذه المنهجية السلوكية وسعت دائرة المسلمين، وساعدهم الزواج من الصينيات، وخففت حساسية الدعوة المباشرة.

والتاريخ الصيني يقدم صور دخول الإسلام وانتشار المسلمين وتمكنهم من خلال المراحل التالية:

أ- دخول الإسلام:

فتحت أسرة تانغ (٦١٨-٩٠٧) الأبواب للمسلمين، وأخذوا بالتسرب شيئا فشيئا عن طريق البحر والبر، وألفة الدولتين - الإسلامية والصينية - إلا أن آثارهم نادرة، والمعلومات قليلة، وما ذلك إلا لبساطة الطليعة الأولى، وانشغالهم بأنفسهم، وضعفهم، وقلتهم، وما يرافق المبتدئين من خطوات متبعثرة، ووجود هامشي، وإن كانوا على علم بما هم عليه فهم على جهل بما هم فيه، ولذا لم يبق من تلك المرحلة إلا معلومات يسيرة، وخمس مساجد هي:-

- مسجد تشينغجينغ .
- مسجد تشنجياو (مسجد العنقاء) .
- مسجد شيانخه (الكركي) .

- مسجد نبوجيه[1].

ب- انتشار المسلمين:

ثم جاء زمن الانتشار، ويمكن حصر هذه المرحلة - تقريبا - في عهد أسرة سونغ (٩٦٠-١٢٧٩) التي اعتمدت في سياستها على احترام الآخر وتشجيع التجارة الخارجية، واحتل المسلمون مقدمة هذا النشاط وتمخض منه ثلاث خصائص:

الأولى: زيادة عدد المسلمين.

الثانية: أصبحوا قوة اجتماعية فاعلة.

الثالثة: تجازوا نشاطهم الاقتصادي إلى ميادين السياسة والثقافة[2].

وحينما وصل الإسلام وسط الصين، وانتشرت مساجدهم بين الصينيين، فضل المسلمون تخفيض قامة المآذن، وتحجيم صوت المؤذن، مراعاة لهم وتسللت فنون معمارية صينية على المسجد، وتتبع أمثال تلك المواقف والمؤثرات المتبادلة، يوحي بأن روح التسامح، والإيمان بالاختلاف، و الاعتقاد إرادة حرة داخلية في ا لإسلام، سهلت الامر وجعلته خطوة من خطوات التكيف الإسلامي في الصين، ولمحة من ملامح انفتاحه، وليس كما يظن البعض (تنازلا جوهريا من قبل المسلمين) بل إنه أعلى درجات التعايش في الوطن الواحد، وأفضل أنواع التعامل مع أديان مختلفة.

جـ- تمكن المسلمين:

حينما توجهت أسرة (يوان) إلى الصين، واستولت على الأمور فيها، بدأت مرحلة التمكين، حيث كان عضدها الأيمن مجموعة من المسلمين، عرب وفرس، وآخرين من سكان آسيا الوسطى، كانوا جنود وأصحاب حرف في معية جيش الأسرة، وتجاوزوا حدود الصين الغربية والشمالية الغربية ووصلوا إلى الموانئ التجارية ووسط الصين ومقاطعة شنشي، وغربي النهر الأصفر، وتزوجوا بالصينيات وعملوا في بيع الأطياب والأحجار الكريمة والسجاد، إضافة إلى بيع اللحوم وتأسيس المطاعم والعمل بها، ثم وجدوا ألفة من إخوانهم المسلمين المستقرين فتسنموا مراكز عليا في الدولة، واعتمدت الأسرة الحاكمة الجديدة عليهم من أجل حفظ

١) المساجد في الصين، ص ١٢.
٢) المسلمون في الصين أسئلة وأجوبة، ص ٢.

وجودها واستقرار ملكها، ويؤكد السيد/ ليوشو شيانغ -نائب رئيس الجمعية الإسلامية الصينية- إسهام (المسلمون الصينيون إسهاما بارزا في خدمة العلم والاقتصاد والسياسة منذ القرون الوسطى في عهد أسرة يوان (١٢٧١م - ١٣٦٧م) فظهر «١٧» رئيسا مسلما للوزراء من بين «٥٠» رئيسا و «٣٢» وزيرا مسلما بالإضافة إلى كثير من العلماء المشهورين)[1]، وعزز انتشار الإسلام في نواحي الصين تنقل المسلمين بسبب التجارة والرعي والاضطرابات، وأصبحت لهم صورة جميلة مؤثرة في القرى النائية والأرياف الزراعية والمراعي الخصبة.

ولقد عبر عدد من النخب الصينية عن مشاعرهم نحو الإسلام والمسلمين بما يؤكد تغلغلهم وتأثيرهم وأهميتهم، فالإمبراطور / تاي تسو من أسرة (مينغ) ألف بنفسه كتابا بعنوان (تشيشنغ بابتسيتسات) مئات الكلمات لتمجيد الإسلام المقدس - جاء فيها (أعمال المسلمين الخيرية تنتشر في كل البلاد، أخلاقهم الحسنة مستمرة منذ قديم الزمان، أسهموا في مقاومة الطغيان، وتأسيس أسرة (مينغ)، اسم دينهم الإسلام، محمد صلى الله عليه وسلم أعظم مقدس)، ومن قراراته [لا يجوز جمع الرسوم من المسلمين عند المعابر]، ويقول الإمبراطور / وو تسونغ [كل عقيدة ليست كاملة إلا الإسلام الذي ينبع من الحقيقة، وهذا سبب خلوده]، وفي العصر المغولي تم إعفاء المسلمين من الضرائب وأعمال السخرة، وكان لهم (دار قضاء) خاصة بهم، بنيت عام ١٣١١م وجدد بناؤها عام ١٣٢٨م، وأسس لهم إدارة للأرصاد الجوية تيسر لهم أمور عبادتهم، وأدارها الفلكي المتميز المسلم / جمال الدين، في عهد أسرة يوان (١٢٧٨م-١٣٦٧م).

وفي العصر الحديث مزج رائد الثورة الصينية الديمقراطية / سون يان سن عام ١٩١١م بين القوميات في الصين وخاصة قومية (خان) الصينية و (خوى) المسلمة، وجعل الأخيرة جزء مهم من مكونات الشعب الصيني، واعترف بمعاناتهم وحقوقهم، وأنهم جزء من الثورة، ويقرر / تناكا (لا أحد ينكر أن الصين لها حضارة عظيمة، لكن حضارة الشرق الأوسط التي انتقلت عبر صحراء وسط آسيا إلى الصين كان لها دور في جعل حيات الصين أفضل وأحسن)[2] ويقول المؤرخ الصيني / تشي يوان (إن للإسلام جاذبية قوية يصعب تصورها) وهو يرى أن انتشاره في الصين جاء نتيجة عدم معارضته للمدرسة الكونفوشوسية، وروعة تعاليمه، وبعده عن التعصب، وأساليب الدعوة إليه.

---

١) مجلة الصين اليوم، عدد ٢ فبراير ٢٠٠٢م

٢) تناكا إيبيه جامعة تاكشوك ٤٠٤

ومع هذا وجد الإسلام وأتباعه المعاناة القاسية من الحزب الشيوعي الحاكم، كأي دين أو توجه لا ينسجم مع الحزب، أو يشكل خطراً محتملا عليه، وبلغت قمتها أيام الثورة الثقافية عام ١٩٦٦م، ويعبر عنها ذلك المنشور الموجه للحرس الأحمر، جاء فيه:

يا رجال الحرس الأحمر: "لا يمكن أن ندع عدواً من أعدائنا يهرب وعلينا من الآن فصاعداً أن نهاجم أكثر الأعداء تخفياً -المسلمين- الذين يقومون بنشاط ضد الحزب وضد الصينيين تحت قناع الدين المزعوم من الآن فصاعداً لن يسمح لكم بأن تضعوا قناعكم الديني على وجوهكم سنطردكم وندمركم، ومن الآن فصاعداً لن يسمح لكم بأن تأكلوا لحم الأبقار؛ لأن الأبقار تخدم الشعب، يجب أن تأكلوا لحم الخنازير، ولا يمكنكم من الآن فصاعداً أن تضيعوا وقتكم في الصلاة يجب ألا تتكلموا اللغة العربية التي هي ضد اللغة الصينية. ولن يسمح لكم بأن تقرأوا ما يسمى بالكتاب المقدس- القرآن-. اسمعوا أيها المسلمون: - دمروا جوامعكم- حلوا المنظمات الإسلامية، أحرقوا القرآن، ألغوا الحظر الذي وضعتموه على الزواج المشترك. -كفوا عن الصلاة-، -ألغوا الختان-، -ادرسوا أفكار ماو-، -إذا لم تندمجوا سنطردكم وندمركم، يجب أن نسحق جحور الجرذان الدينية وندمرها معكم. -فلتحيا الثورة الثقافية الكبرى-، -فليحيا طويلاً طويلاً الرئيس ماو[1]). إلا أن الجميل منها أنها كانت تجربة، وقصيرة، جاء بعدها الانفتاح، والحرية، والاعتراف بالأديان، واحترامها، حتى وصلت إلى صناعة الأطعمة الحلال الصينية، وانتشار المطاعم الإسلامية، وإنتاج ملابس الحشمة المنسجمة مع تعاليم الإسلام، وأحكامه، وأصبحت تجذب المليارات من الدولارات للاقتصاد الصيني.

١) أساليب الغزو الفكري جريشة، الزيبق ص١٣١.

التيارات الإسلامية في الصين

دخل الإسلام إلى الصين من عدة جهات، وكل جهة حملت ملامح تختلف قليلاً عن الأخرى، وتولى الإمامة والتدريس والفتوى أشخاص تلقوا العلم من أماكن مختلفة، من مكة والعراق واليمن والداخل، فنمى التنوع والتعدد، إلا أن الخطوط الأساسية واحدة، والأصول ثابتة، والانتماء إلى الطائفة السنية هو الغالب، وبقي بعد ذلك التمسك بالمذهب الحنفي، والتشتت حول التفاصيل، يظهر حيناً ويختفي أحياناً، ثم أُضيف إليه وبعد المسلمين الصينيين عن عواصم العالم الإسلامي ومراكز العلم، مع معاناتهم في بعض الفترات، وما لديهم من عواطف جياشة نحو دينهم جعلهم - فيما مضى - غنيمة للتصوف المذموم، وربما أدخلهم دائرة النوافل على حساب الفروض، وأبعدهم بدرجات متفاوته عن الخالص والصائب من الإسلام، ويمثل هذا المزلق تفضيلهم الاحتفالات بالمولد النبوي على الصلاة والصيام وميلهم في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم إلى الترجيع والتغريد، وظنهم أن المسلم من أعرض عن لحوم الخنازير فقط، والمشكلة الكبرى حينما يتصدى بعض العلماء أو تلاميذهم لهذه السلوكيات فتخرج الفتن من جحورها وتنمو التيارات والاتجاهات والحركات، ويقع الصدام والخصومات، يقول السفير الصيني في السعودية/ يانغ لين: (الصين تحتضن قرابة (٢١) مليون مسلم، هم يمارسون شعائرهم الدينية كاملة، وبحرية مطلقة، وقد كفل لهم الدستور الصيني كامل حقوقهم، والواجبات، أسوة بغيرهم)[1].

في البداية لم يكن الإسلام في الصين إلا سلوك لإفراد جاءوا وآخرين دخلوا فيه، قريبون إلى العمل به، والألفة فيما بينهم، لم تشغلهم التأويلات، ولم يغرقوا في التفاصيل، ولم تكن غربتهم وأقليتهم إلا حبلهم المتين مع دينهم ومنهاجهم الجميل مع إخوانهم، وبعد ذلك انتشروا في الأقاليم، وتشكلوا في دوائر متنوعة متعددة، وظهرت فيهم آثار دينية من وسط آسيا وأخرى من غرب الصين وثالثة من مسلمي الساحل الجنوبي ورابعة من اجتهادات داخلية، فبرزت على السطح اتجاهات تنازعت الانتماء، وادعت الحق من أهمها:

١- الاتجاه القديم، وهي أسبق الاتجاهات وجوداً في الصين، حيث كان المسلمون الصينيون من قومية خوى يتبعون هذا التوجه، وبقي متفرداً عدة قرون، وأُسسه عربية وفارسية، وهو امتداد لحال البدايات وتم إطلاق اسم « القديم» عليه حينما جاءت أسماء

١) صحيفة الجزيرة ١٤٢٩/٩/١١هـ

أخرى، بقيت نمطيته السنية يعبر عنها «مساجد» الأحياء،وتحولها إلى مراكز تخدم المسلمين في خصوصيتهم الدينية والسياسية والاقتصادية والتعليمية والاجتماعية، ويديرها « التوالي الثلاثي» والمقصود به (الإمام ونائبه والمؤذن) حيث يتحمل الأول والثاني مهمة الخطابة والتعليم والفتوى، ورغم الطابع الإلتزامي والتمسك التقليدي لدى المنتمين إلى القديم إلا أنهم يتعاملون مع « الصوفية» و« السلفية» باحترام وتسامح[1]، وقريب منهم « السلفية» و« شيداوتانغ» و «أهل الحديث»

٢- الاتجاه الصوفي، ودخل الصين عام ١٦٦٢م وتآلف مع الكونفوشسية[2] وكانت البدايات - تقريباً- من وصول الشيخ / عبد الله إلى الصين قادماً من مكة المكرمة من أجل نشر الإسلام ثم صادق الجنرال / ماتسمى يون- قائد قوات الجناح الأيسر بشمال شيتشوان- ومنحه لقب «الاستاذ المحترم» وبقي في ظله إلى وفاته عام ١٦٨٩م فقام تلميذه / ان تشي جينغ يي ببناء زاوية مقببة تخليدا لذكراه، وسعى إلى حماية الزاوية، ويسر سبل العبادة والاعتكاف بها، وتهذيب النفس، وتحولت هذه الأنشطة إلى نواة للاتجاه الصوفي في الصين، فانتشرت، وساعدها أديان الصين القديمة، وتمخض منها عدة طرق من أهمها « القادرية» و « منهوان» و « ايشان» و«الحنفية» و «الجهرية» و« الكبرية» ومراكزها لا تتجاوز الشمال الغربي من الصين، وتسمى- أحياناً الصوفية الغربية، مع وجود تسربات لا يعبأ بها في المناطق الداخلية[3]، ومن منطلقاتها تأويل تعاليم الإسلام، وشرح علمائها كتب الشيخ الصيني / ليوجي « الفلسفة الإسلامية» و«سيرة النبي العربي» و صوفية الصين ادخلوا إلى عمارة المساجد فن « القبب» وانتشرت، ومن أشهرها قبة مسجد «بابا» في محافظة «لانغتشونغ»، وقبة الشيخ / كمال الدين، وهو يمني جاء إلى الصين للدعوة.

٣- الاتجاه الجديد وهو يدعو إلى اتّباع الأثر، والالتزام بالكتاب والسنة، ووصل إلى الصين في القرن التاسع الميلادي، وانطلق من منطقة «ختشو» (لينشيا) اليوم، في مقاطعة «قانسو» وقام الشيخ / نوح ماوانغ فو(١٨٤٩م -١٩٤٣م)، من قومية دونغشيانغ بتجديده بعد مجيئه من أداء فريضة الحج على نهج دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، حيث (درس العلوم الإسلامية في السعودية وتمكن من العربية والفارسية .. ودعا إلى اتباع القرن الأول وتغيير

١) القوميات المسلمة في الصين تشونينغ ص١٦ .
٢) المسلمون في الصين من هم وأين هم ماتونغ ص١٠٥
٣) المساجد في الصين محمود يوسف لي هواين ص٥٨

التقاليد والعادات على ضوئه، والحزم في أداء الأركان الخمسة) وأوصى أتباعه بوصايا تلامس ما في المجتمع الإسلامي الصيني من تجاوزات، حيث نهاهم عن قبول الهدايا على قراءتهم للقرآن الكريم، أو إحراق البخور وإشعال الشموع أثناء التلاوة، وأوجب عليهم رفع إصبع السبابة عند ذكر الشهادة في الصلاة، ووجوب الحجاب الكامل للمرأة، وابتعادها عن المناسبات المختلطة، وتحريم تقديس (قبة) الشيخ وقبور الأولياء، وغير ذلك، ثم أكمل المسيرة تلميذه هو سونغ شان، وكان (شخصية وطنية تقدمية مشهورة بين أوساط المسلمين في الصين كلها لما اشتهر به من مستوى عالي في اللغة العربية والفارسية والصينية، ومراعاته للتضامن بين مختلف الطوائف الدينية، والعمل على تنمية التعليم وخوض النضال العنيف ضد العدوان الياباني)[٢]

والمتأمل في التيارات الإسلامية الصينية يلمس -بدون جهد- أنها جميعاً وافدة من بلاد العرب والفرس ووسط آسيا، باستثناء هوامش صينية تحيط بتيار «شيداوتانغ» الذي أسسه / ماتشي شي، فأصحاب هذا التيار يرون أنفسهم أنهم سنه، ويلتزمون مذهب الأحناف وإن نُسبوا إلى «التيار الإسلامي الصيني»، كما أن التيارات الإسلامية تأثرت جميعاً - وبنسب متفاوته- بالثقافة الصينية، وهذا يسر لها الانسجام مع بعضها ومع غيرها رغم التباينات بينها في قضايا عقائدية وفقهية.

ويوجد في الصين أعداد متواضعة من الطائفة الشيعة الإثنى عشرية في محافظة «يارقند» بين (الويغوريين)، ومن الطائفة الإسماعيلية بين قومية (الطاجيك).[١]

والملفت للنظر أن التيارات الإسلامية في الصين ضاعت حدودها وخصائصها في سنوات الحكم الشيوعي، ووجدت نفسها في سنوات الثورة الثقافية أنها كتلة واحدة جمعها الألم وألفت بينها المصائب، ثم صحت مع الانفتاح الجديد وقانون حرية الأديان الصيني، وتراوحت مابين ثلاث تيارات هي:

١- الموالي للوطن والحكومة، وهم الغالبية الكبرى.

٢- المهمش للحكومة، المحترم للوطن.

٣- المعادي للحكومة، والمطالب بالاستقلال

وأرى أن التيارين الآخرين في طريقها للذوبان في الأول بعد بضع سنوات، يساعدهما توجّهات الدولة الصينية نحو الديمقراطية، وصدق مواعيدها للأقليات، والمتمثلة في :

١- التعامل مع كافة القوميات الصينية بالعدل.

٢- منهج حرية الاعتقاد.

٣- تشجيع المتميزين من الأقليات.

٤- تحقيق حقوق الإنسان على أرض الواقع.

ويمكن رؤية التيارات الإسلامية المعاصرة في الصين، وبعد الثورة الثقافية والتغيرات السياسية من زاوية إقليمية، تتباين فيها التعاملات الرسمية مع المسلمين الصينيين، وتتراوح ما بين ثلاثة أقاليم:

١- المسلمون في البر الصيني الكبير، وهؤلاء تعايشوا - بواقعية - مع الحكومة الشيوعية، حيث أنهم جزء من الشعب منذ مئات السنين، ويشاركون الشعب الصيني معاناته وتطلعاته البطيئة المؤكدة نحو الديمقراطية والحرية.

٢- المسلمون في هونج كونج، وقد عرفوا واجباتهم وحقوقهم في ظل الاستعمار، ومارسوها، وهم الأفضل بين الجميع

٣- المسلمون في شينغيانج (تركستان الشرقية)وترى منظمات قليلة منهم أنهم في ظل احتلال صيني، فتورم الوضع بينهم وبين الحكومة، حركته ظروف داخلية ودولية، فأصبح كل مسلم في هذا الإقليم متهم حتى تثبت براءته، وأرى أن مؤشرات الالتقاء بينهم أقرب وأفضل وأكثر من محركات التصادم، خاصة إذا تجرد كل طرف من المحرضات الخارجية، والمبالغة في التحرر أو التصدي.

ويبقى بعد ذلك هامش صغير، حيث يقيم في (التبت) (٢٩٨٧) مسلم حسب إحصائية عام ١٩٩٠م، جاءوا من وسط الصين، ومن مقاطعات تشيغهاي، وقانسو، وسيتشوان، ومن خارج الصين، من الهند، وباكستان، ونيبال، ونسبة قليلة ينتمون إلى السكان الأصليين- التبتين-، و٨٠٪ منهم يقيمون في (لاسا) عاصمة التبت، حيث لهم فيها مسجد ومقبرتان، ومما يذكر لهم- رغم قلتهم- أنهم ثاروا في وجه الشيوعية.

والموقف العام والشعبي وصل بالإسلام والمسلمين تعميم مقولة (الإسلام في الصين مال إلى الكونفوشوسية) وإن علق بهذه العبارة سوء فهم إلا أن فيها معنى القرب والاندماج،والذى

بقى شذاه إلى يومنا هذا، ودفع دولة سلطنة عمان عام ١٩٨١م لتذكير الأمتين العربية والصينية بما بينهما من لقاءات وعلاقات بإطلاقها (سفينة صحار) من (مسقط) إلى (قوانغتشو) حاضرة الجنوب الصيني، من أجل إحياء الماضي وربطه بالحاضر.

الباب الثالث
المسلمون في الصين تجذر وتمدد

القرآن الكريم في الصين

للقرآن الكريم عند المسلمين مكانة متميزة، واحترام واسع، وإجماع على تقديس نصوصه وإيمانا بتمامه وكماله، وبعده عن التحريف والتشويه والتصحيف، وأنه لم يعتريه زيادة أو نقص منذ نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة والمدينة حتى يومنا هذا، بل وإلى أن تنتهي المسيرة البشرية في هذا الكون .

ومكانته في نفوس المسلمين تنبع من الزوايا التالية :

١- أن القرآن الكريم من الله سبحانه وتعالى، نقله / جبريل عليه السلام مشافهة إلى / محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .

٢- أن القرآن الكريم رسالة من الله جل وعلا إلى المسلمين خاصة وإلى البشرية عامة، يؤشر إلى سعادة الدارين ويرشد إلى منهج الله جل ثناؤه، لا يسبقه أو يوازيه كتاب يدعو إلى العدل وكل متعلقاته، ويمنهج حياة الناس بما يتوافق مع قدراتهم وغرائزهم وتوازنهم وفطرتهم واحتياجاتهم الأمنية والغذائية والاستمرارية.

٣- يقرأه المسلمون كما نزل من السماء.

٤- أن القرآن مقدس طاهر محفوظ .

وما سبق - وغيره - يجلي سرّ اهتمام المسلمين بالقرآن العزيز، وقصصهم الكثيرة والمتواترة عن جمعه، وكتابته، ونزوله، وقراءته، وحفظه، وتجويده، وعلومه، وتفاسيره، وتراجم معانيه، ومحبته، والمحافظة عليه، والرحلة به ومعه، وصفته، وعدد أوراقه، وسوره، وآياته، وحروفه، إلى أن يصل إلى الجلد الذي يضمه، والزخارف التي تحيط به.

والمسلمون في الصين لا يخرجون عن هذا الإطار، ولذا يمر الحديث عن القران الكريم في الصين بكل تلك المشاعر والمواقف، ويمكن تلمس خطوطه وحظوظه الأساسية من خلال المفاصل الثلاثة التالية :

أ- القرآن المخطوط في الصين.

ب- معاني القرآن في اللغة الصينية.

ج- القرآن المطبوع في الصين.

أ- القرآن المخطوط في الصين:

من الصعوبة ترتيب نسخ القرآن الكريم المخطوطة في الصين حسب التاريخ، وإن كان هناك ضرورة ملحة لمثل هذا العمل فيمكن أن يكون من خلال التقدير التقريبي للمجموعة الأولى ثم الثانية ... وهكذا .

فمن المتفق عليه ولها وجود، النسخة النادرة المخطوطة للقرآن الكريم في محافظة (شيونهوا) حيث تجاوز عمرها ألف عام، وتدور حول وصولها إلى المحافظة قصة في بعض فقراتها تضخيم عاطفي أوصلها إلى الأسطورة، ملخصها:

أن الأخوين/ قاله مانغ و/آخه مانغ قادا قومية (سالار) للهجرة من تركمانستان إلى الصين وخصصوا جملا أبيض لحمل هذه النسخة، واستقروا بمقاطعة (تشينغاي) محافظة (شيونهوا) عام ١٢٠٧م تقريبا، ولا زالت النسخة محفوظة في صندوق معدني في مسجد (جيهتسي) بالمحافظة، وهي في خمسة عشر مجلدا، وفي ٨٦٧ صفحة، والحكومة الصينية اعتمدت مبلغ ١٨٠ ألف دولار لصيانتها وحفظها، ويسهم في الإشراف عليها وحمايتها والعناية بها (دائرة الآثار) مع اللجنة الإدارية للمسجد .

ومن النسخ المخطوطة للقرآن الكريم ما سطرته يد المسلم الو يغوري/ رحيم نيازي عام ١٢٦٩م في ثلاثين مجلدا مقاس ٢٥سم x ١٩سم، وتوجد في مكتبة المعهد الصيني للعلوم الإسلامية في بكين .

ونسخة أخرى كتبها/ محمد بن أحمد بن عبد الرحمن سراي عام ٧١٨هـ - ١٣١٨م، ومقرها مسجد (دونغسي)، وفي المسجد نفسه نسخة أهداها الإمام الكبير/ ليو جينغ مينغ، ويضمها مجلد واحد .

ومن نوادر النسخ ما كتبها/ هوا بابا من أئمة المسلمين في عصره عام ١٨٠٥م، وقد قدمها / ماسونغ تينغ هدية إلى الملك فؤاد الأول ملك مصر عام ١٩٣٢م .

وفي معهد الصين للعلوم الإسلامية مخطوطة نادرة للقرآن الكريم يطلق عليها (النسخة المعطرة)، وتقول أقوى الروايات عنها أن الإمبراطور/ تشيان لونغ (١٧٣٦م - ١٧٩٥م) أهداها إلى محظيته الإيغورية المسلمة، وقد كتبت بالحبر الذهبي، وأحيطت صفحاتها بالزخارف الفاخرة .

ومن آخر اكتشافات نسخ القرآن المخطوطة في الصين (مصحف الجيب) عام ١٩٩٣م، حيث يعتبر أصغر مصحف في العالم، وتذهب بعض التوقعات أنه جاء مع البحار الصيني المسلم / تشنغ خه من أحد الدول العربية أو الإسلامية، والنسخة وزنها ٤,٦ غرام، وسمكها سم واحد، وحجمها ٢,٧سم X ١,٣سم .

والحقيقة أن النسخ المخطوطة المجهولة التاريخ كثيرة في الصين، ومنها نسخة في مسجد قرية (لانديا نتشانغ) من ضواحي بكين، يضمها ثلاثون مجلدا، ويقدر تاريخها ما بين ١٨٨٠م - ١٨٩٠م، ولم يكتشف حتى الآن جميع النسخ القرآنية، ولا الكثير منها، وما تلف وضاع أضعافه إذا قيس بالتمدد الإسلامي الطويل، ولا شك أن وجودها مؤشر على خدمات مسلمي الصين للقرآن، وتفاعل الصينيون مع الإسلام، وحجم انتشار اللغة العربية، كما أنها تعبر عن علوم الزخرفة وصناعة الورق، وأنواع الخطوط، وتدرجات الألوان، ومستوى الرسوم التي تميزت بها الصين، وقد ورد في كتاب (الرسالة) لـ / جاحظ:

[وأما سكان الصين فهم أصحاب السبك والصيانة، والإفراغ والإذابة، والإصباغ العجيبة، وأصحاب الخرط والنحت والتصوير، والنسخ والخط، ورفق الكف في كل شيء يتولونه ويعانونه، وإن اختلف جوهره وتباينت صنعته وتفاوت ثمنه] .

ومن مظاهر اهتمام المسلمون الصينيون بالقرآن أن الشيخ /دو ون شيو أكمل كتابته على ألواح خشبية عام ١٨٦٢م، وتمت إعادة المحاولة مرة أخرى على يد الخطاط الصيني الخبير بالخط العربي / تيان جيابي، بتكلف من العالم المسلم / ماليان يوان (١٨٧٠م-١٩٤٤م) وقد استعان الخطاط بنحاتين من أجل النقش على ألواح الخشب، واستغرقت المهمة ما يقارب السنتين، واستكملها عام ١٨٩٥م، والألواح توجد - الآن - في مسجد (نانتشنغ) في مقاطعة (يوننان)، وقد قامت الحكومة الصينية عام ١٩٨٥م باعتماد ميزانية لإعادة طبع هذه النسخة عن طريق التصوير ونشرتها.

وفي عام ٢٠٠٦م أنهت أسرة مكونة من أربعة أشخاص كتابة القرآن الكريم على الحجر، حيث بدأت العمل عام ١٩٩٢م، وبلغت اللوحات الحجرية ٥٢٨ لوحا، كل حجر مساحته متر في نصف متر، وتصل سماكته ٣سم، ويبلغ وزن الأحجار الإجمالي ٢٦ طنا، وتم الاحتفال بهذا الإنجاز في مسجد (دونغشى) يوم الجمعة ١٤٢٧/٧/٩هـ الموفق ٤ أغسطس ٢٠٠٦م .

ب- معاني القرآن في اللغة الصينية:

لا يستبعد المتابع وجود نسخ كثيرة من معاني القرآن الكريم في لغات ولهجات صينية متعددة قديمة، بعضها يعرض آيات حول موضوع محدد، أو سورة أو سور، أما أقدم ترجمة لمعاني القرآن للغة الصينية معروفة فتعود إلى عام ١٥٠٠م لبعض آيات وعدد من السور، وكان لـ / ماتشى بن ترجمة في القرن التاسع عشر بعنوان (تفسير ختم القرآن) وجاء بعده / مافو تشو حيث قدم (تفسير القرآن) الكريم باللغة الصينية، وكلاهما لا يعتبر عملهما ترجمة بالمعنى المفهوم، ولم يقدما عملا كاملا، ومع نهاية القرن التاسع عشر وصلت إلى الصين معاني للقرآن باللغة الإنجليزية مع الاستعمار الغربي، وأقدم ترجمة كاملة ترجع أصولها إلى اللغة اليابانية، وإلى السيد / كه لان جينغ، وقام بإعدادها للغة الصينية / لي تيه تشنغ - غير مسلم وطبعت عام ١٩٢٧م، ثم تلها أخرى عام ١٩٣١م ومترجمها غير مسلم، نقلها عن اللغة الإنجليزية / جي جيويه مي ونشرتها (دار النشر في شنغهاي)، وفي عام ظهرت أول ترجمة معاصرة، حيث كلف رئيس (جمعية التقدم الإسلامية الصينية) السيد/ هاوني شان الشيخ/ سعد إلياس - وانغ ون تسينغ - بترجمتها إلى الصينية، وهي أفضل من السابقات، إلا أن الأستاذ/ ماتسون المشهور بـ /ماجون تو - مدير مصلحة المعارف - في ولاية (شانسي) لم تعجبه الترجمة فطلب من الشيخ/ يانغ جونغ ينغ أن يقوم بالمهمة، ويساعده الأديبان المسلمان/ ماشون أي، و/ بن كونغ يو[1].

وبدأ المسلمون الصينيون بمحاولة ترجمة معاني القرآن الكريم من العربية مباشرة في العقد الثاني من القرن العشرين، فقد كان من برنامج (جمعية الأدب الإسلامي) في الصين - تأسست عام ١٩٢٥م - وضع ترجمة لمعاني القرآن باللغة الصينية وتوزيعها[2]، ولم تستكمل جهودهم إلا في عام ١٩٤٦م فقد أسهم الشيخ/ وانغ جينغ تشاى في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الصينية، واستغرق عمله عشرون سنة وصدر بثلاث طبعات، الأولى في بكين عام ١٩٣٢م وكانت ذات لغة صينية كلاسيكية، والثانية في عام ١٩٤٢م وهي ذات لغة صينية عصرية، وفي عام ١٩٤٦م صدرت الطبعة الثالثة في شانغهاي بعد المراجعة والتنقيح، وتوجت - أخيرا - جميع التراجم بترجمة الشيخ/ محمد مكين عام ١٩٨١م، وصدرت الطبعة الثانية منه عام ١٩٨٦من الكويت، وفي عام ١٩٨٧م تم طبع الترجمة في المملكة العربية السعودية، واعتمدها مجمع الملك فهد لطباعة القرآن، وفي عام ١٩٨٨م صدرت ترجمة القرآن الكريم بـ (نظام القوافي)، للأستاذ/ يحيى صنوبر لين سونغ، وأصدر- أيضاً- الأستاذ/ قونغ داو تشانغ تفسير للقرآن الكريم باللغة العربية والصينية، وفي عام ١٩٩٨م صدرت (ترجمة القرآن) للأستاذ/ ماتشن وو، ويضاف إلى

١) القوميات المسلمة في الصين تشولينغ ص ١٠٥

٢) المسلمون في الصين شيويوان ص٢٧.

اللغة الصينية العديد من الترجمات لمعاني القرآن المجيد باللغات اللويغورية والقازاقية، وامتد هذا الاهتمام إلى ميدان زخرفة النسخ وتصميمها، ورسم بعض الآيات في لوحات.

جـ- القرآن المطبوع في الصين:

ربما تكون أول خطوة عامة ورسمية لطباعة القرآن الكريم ونشره في العالم ما قام به المسلم الصيني /دو ون -١٨٢٧م - ١٨٧٢م، حيث طبع ونشر القرآن الكريم في المناطق التي حكمها، وهذه الطبعة تتكون من ثلاثين مجلدا، ويوجد نسخة واحدة منها في المعهد الصيني للعلوم الإسلامية، أما باقي النسخ فقد تمت مصادرتها بعد القضاء عليه، وبعضها احترق أثناء الحروب التي أدت إلى نهاية حكمه.

أما في ظل النظام الشيوعي فقد طبع القرآن الكريم ثلاث مرات باللغة العربية: الأولى: جاء ذكرها في تقرير الجمعية الإسلامية في توفمبر عام ١٩٥٥م وتم اعتبارها من أهم أنشطتها، وطبعت في المطابع الحكومية وكان يحيط بها تفسير لها باللغة الصينية، وعلق/ بدر الدين جي عليها قائلا:

[إن التفسير الذي وضعه أولو الأمر في الجمعية للقرآن الكريم وفقا للنظريات الماركسية، والمبادئ الشيوعية، هو بالذات سلاح حاد، يستخدمه الشيوعيون في هدم أركان الإسلام على أوسع نطاق][1].

الاهتمام بقراءة القرآن وتجويده:

في السنوات العشر الأخيرة أخذ علم تلاوة القرآن الكريم وحفظه مكانة متميزة بين المسلين في الصين، وأصبحت مادة التجويد تلقى الاهتمام من قبل المدارس والمعاهد الإسلامية، كعلم جديد لم يكن له مكان فيما مضى، وربما أن الجوائز والمسابقات الداخلية والخارجية واهتمام مسلمي الخارج به أسهم في إحياء هذا العلم داخل الصين، وقد انطلقت الدورة الوطنية لتلاوة القرآن في الصين عام ١٩٩٥م من الجمعية الإسلامية الصينية - كل سنتين دورة -، ومن دروس خاصة بمعهد العلوم، والمعهد الصيني للعلوم الإسلامية، والبارزون في الدورة يتم إرسالهم للمسابقات الخارجية، وامتدت الاهتمامات بفن القراءة والتجويد إلى الجمعيات والمدارس المحلية، ووصلت إلى المقاطعات والمناطق كـ (مسابقة الهواة لتلاوة القرآن) في مدرسة (كاييوان الثانوية العربية) في مقاطعة يونان، ومن المقرئين المتميزين في الصين / يعقوب علي لي جيانغ.

١) نظرات جامعة إلى تاريخ الإسلام في الصين، محمد مكين، ص ٦٥.

المساجد الإسلامية في الصين

إن العلاقة بين المسلمين ومساجدهم عضوية، لأنها ليست - فقط - دار عباده، إنها مكتبة ومدرسة، ومقر رابطة أخوية تجمع جميع ألوان الطيف للمسلمين، فيها تتجدد الرؤية للقضايا، وتنمو خطوات الوعي، وتتبلور المواقف، ويتم التعارف، ويتشكل الرأي العام، وتتحاور الفئات وتتفق وتختلف وتتسامح، ويتجهون - جميعا - إلى أهداف عليا واضحة ومحددة.

في مساجد المسلمين تقام الصلاة، وتظهر الزكاة والصدقات، ويبرز التكافل الاجتماعي، ويقرأ القرآن الكريم، ويتم الاعتكاف، وتسمع الأحاديث والفتاوى، وترى التعازي والتهاني، ويتنافسوا في دروب التقوى، ويطلبوا المطر، ويستعيذون من الفتن، ويحسوا بالعيدين ورمضان، ويبكي العاصي، ويستغفر المذنب، وتشهد الجماعة على الفرد، ويؤتم بإمام، ثم يبقى - بعد ذلك - للمساجد عند المسلمين وظائف كثيرة، أنها جزء من الحياة، ولكنها الرأس، فتحديد مكانها يكون قبل الاستقرار في البيوت، حيث يكون المسجد في وسطهم، وقريب من الجميع، يُختار له المواد القوية والجميلة، والسجاد الفاخر، والإمام المتميز، وقد تختفي أخبار الناس وتبقى معالم المسجد تشهد بأن في هذا المكان كان مسلمين، وهو إن كان مؤقت يطلق عليه (مصلى)، وإن اجتمع حوله قلة مستقرة يطلق عليه (مسجد)، وإن احتضن عدة أحياء وأقيمت فيه صلاة الجمعة صار (جامعا)، ومنه، وأنواعه، وبناؤه، نتلمس مكان المسلمين وعددهم ودورهم، وأمانتهم، وامنياتهم، وإمكانياتهم.

ومساجد الصين - في مراحلها الأولى - كانت متواضعة، قليلة الكلفة، بسيطة التأثيث، تعبر عن عدد المسلمين ومستواهم وزهدهم، وبعدهم عن المظاهر، وكونهم أقلية لا تلفت الانتباه ولا تؤثر في الحياة، ولذا تكون أعمار المساجد قصيرة، وبعيدة عن السجلات ولوحات التأسيس والتدوينات الخاصة.

ومساجد المسلمين بالصين علامات فارقة على عمقهم وتوسعهم، ومؤشر صادق على انتشارهم وتمكنهم، ففي الصين ما يقارب من مئة مسجد دخلت التاريخ، واستظلت بإدارة الآثار وحمايتها، وأصبحت معالم تزار، وماضيا يتكلم، ووثائق من الطين والحجر والخشب، يدور حول بعضها القصص والطرائف والأساطير، وتتقاطع مع بعضها الآخر في الأخبار و الروايات الكثيرة، ويتبع كل مسجد - غالبا - ساعة لتحديد الوقت، ومأذنة أو برج لتحديد الشهور الهجرية عن طريق الهلال، ويقدر عدد المساجد في الصين بـ «٣٠» ألف، يوجد منها في مدينة

«لينشيا» ٢٧٥٧ مسجد، ومن أبرز المساجد في الصين:

١- مسجد هوا يشنغ (الحنين إلى النبي)

ويطلق عليه أحيانا (مسجد قوانغتا) أي (المنارة) ويقع في وسط مدينة (قوانغتشو) على الساحل الجنوبي للصين، تم بنائه على يد الجالية الإسلامية الأولى، ورواية صينية تزعم أن مؤسسة الصحابي / سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وربما يكون اللبس جاء من تشابه الأسماء رغم ما يحمله اللوح الرخامي في المسجد من كلمات عربية تقول هذا هو أول مسجد في الصين بناه سيدنا وقاص رضي الله عنه، إذ دخل هذه الديار لإظهار الإسلام بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم جدده المتأخرون مرة بعد مرة، قد حفظه الله تعالى إلى الآن سليما من الآفات، وهو في الصين مبدأ الإسلام ومنبع العلوم، فينبغي لمسلمي الصين أن يزينوا ظاهره بالعمارة الحسنة، ويصلحوا باطنه بإقامة الجماعة... التوقيع: سليمان عبد الكريم) والحقائق تؤكد أن المسجد كان موجودا عام ١١٩٢م، ومنارته ولدت في عهد أسرة / تانغ ويبلغ ارتفاعها عشرات الأمتار، ويطغى عليها فن العمارة الإسلامي.

٢- مسجد اتشينغ جينغ (الصفاء والنظافة)

يقع في مدينة (تشيوا نتشو) الساحلية الجنوبية الشرقية للصين، والتي أسماها / ابن بطوطة (مدينة الزيتون) والمسجد تم إنشاؤه عام ١٠٠٩م، على مساحة تقدر بـ (هكتار) واحد، ويتشكل من ثلاث مباني، تتعدد الآيات القرآنية على الكثير من مداخله وجدرانه وقبته، ويقول اللوح الحجري الخاص به (هذا أول مسجد للمحليين يسمى (المسجد القديم) المبارك، كما يسمى (مسجد الصحابة) وقد بني في سنة ٤٠٠ هـ (١٠٠٩م) وبعد ٤٠٠ سنة من ذلك تم ترميمه وتوسيع بنائه على يد / أحمد بن محمد المقدسي، وقد بنيت له هذه البوابة الضخمة والممر المسقوف الشاهق، كما أضيف إليه الأبواب والشبابيك الجميلة الجديدة وذلك ابتغاءً لوجه الله جل جلاله، ولدى بعض علماء الآثار احتمال في أن الحجر التعريفي المثبت نقل من مسجد آخر في المدينة اندثرت معالمه، ومع هذا تبقى أهميته وجذوره التاريخية.

٣- جامع تونغشين

يقع في محافظة (تونغشين) من منطقة (بنينغشيا) حيث أن نسبة المسلمين فيها تصل إلى ٨٠٪ من السكان، وقد تعرض للهدم والإحراق في عام ١٨٦٥م على يد جيش الحكومة، وكان

له دور شعبي وسياسي وثوري حيث كان مقر للثوار المسلمين عام ١٨٦٤م، وأعلن فيه تأسيس حكومة ذاتية الحكم لقومية خوى عام ١٩٣٦م، ومن المفارقات الجميلة أنه لم يتعرض للتخريب سنوات جنون الثورة الثقافية.

٤- مسجد نيوجيه:

تجاوز من العمر ألف سنة، وتم بناؤه في عام ٩٩٦م، ويقع في شارع بهذا الاسم، جنوب العاصمة (بكين) وحوله أسر مسلمة تنتمي إلى (٢٣) قومية، ومرَ بعدة ترميمات في العصر الحديث.

الأولى: عام ١٩٥٥م.

الثانية: عام ١٩٧٩م.

الثالثة: عام ١٩٨٦م.

وقد كلفت ما يقارب من ثلاثة ملايين يوان (حوالي ٣٦٠ ألف دولار أمريكي) تحملتها الحكومة الصينية، وقبل ذلك كان محل تقدير من الأسر الإمبراطورية الحاكمة، فقد أهدى الإمبراطور /كانغ شي؛ هديا لمسجد نيوجيه منها:

أ- قدر نحاسي لإعداد طعام الرز للمسلمين في أيام الأعياد والمناسبات.

ب- لوحة بخط الإمبراطور كتب عليها بخط يده (المسجد المشيد بأمر الإمبراطور).

ج- لوحة أخرى - وبخط يده أيضا - تحمل العبارات التالية (الصراط المستقيم إلى السماء).

د- تبرع بإنشاء رواق مدخل القاعدة الرئيسية.

٥- المسجد الطاهر:

تحتضنه مدينة (تشوان تشو) التي يقيم فيها عدد من المسلمين ينتمون إلى العرب والفرس منذ عصر إسرة (سونغ)، والمسجد مشهور، وقديم البناء، تم إنشاؤه عام ١١٤١م، ويشير نصب حجري عليه كتابات صينية تذكر أن تاجر عربي اسمه / عجيب مظهر الدين قد اشترى أرض المسجد وقام ببنائه، و خصص له وقفا عقاريا، وقد زار هذا المسجد ابن بطوطة.

٦- مسجد شياوسي:

يقع في عاصمة مقاطعة منغوليا (هوهيهون) مع عشرة مساجد أخرى وبني عام١٧٨٩م، ويتميز بحضوره الفاعل ومناشطه الدعوية والثقافية والتعليمية حتى كاد أن يكون مركزا منذ الثمانينات، وما قبل ذلك كان في مجموعة أزمات، خاصة أثناء الثورة الثقافية ١٩٦٦-١٩٧٦م، وتبلغ مساحته ٤٣٢٠م٢.

انطلق المسجد مع سياسة الإصلاح والانفتاح عام ١٩٧٨م وكانت الخطوة الأولى دروس علمية ألقاها الإمام/ هوانغ هوان جيون المتخرج من جامعة بكين عام ١٩٥٣م في بيته، ثم انتقل إلى المسجد ثم ضاق المسجد بالطلاب والمصلين فبدأ مشروع المسجد الكبير، حيث اشترى عام ١٩٨٢م بيتا من تبرعات المسلمين الصينيين وأخذ بالنمو حتى تحول إلى مسجد كبير عام ١٩٨٧م يشمل قاعة وغرف للتدريس ومحلات تجارية توفر له بعض المصاريف، وعرف بعد ذلك بـ (مسجد تشنغتشي شياوسي) وبعد ذلك قدمت هيئات إسلامية عالمية مساعدات للمسجد والمدرسة، وقد احتضن المسجد أول مدرسة نظامية إسلامية في الصين المعاصره، تجمع ما بين تعليم اللغة العربية والصينية والعلوم الشرعية عام ١٩٨٧م، ومن ثمار نجاحه تخريجه لأكثر من ألف إمام، و إرساله ما يقارب من مائة طالب صيني إلى الدول الإسلامية لمواصلة دراستهم، إضافة إلى تفاعله مع التقنية الحديثة، حيث أنتج أكثر من مليون أسطوانة ليزر لخدمة الدعوة الإسلامية، ونشر ٥٠٠ ألف نسخة من الكتب الإسلامية، مع مليون تقويم إسلامي صيني، وإصداره (مجلة الرسالة) الإسلامية المنتظمة.

٧- مسجد شيقوان الكبير:

يقع في مدينة (لنتشو) في مقاطعة (قانسو) تم إنشاؤه في عهد أسرة: مينغ الإمبراطورية، وأعيد تجديده عام ١٧٨٤م، وفي العصر الحديث قامت الحكومة الصينية في إعادة بنائه على قواعده الأولى عام ١٩٨٤م، وتم إنجازه عام ٢٠٠٣م بعد دعم سخي من البنك الإسلامي للتنمية.

تبلغ مساحته عشرة ألف مترمربع، ويشمل مدرسة كبيرة ومركز للتربية وروضة أطفال، ويقام فيه الكثير من الدورات المهنية والتأهيلية والتعليمية، إضافة إلى المناشط الثقافية المتصلة بالإسلام.

والمسجد يعرف بمسجد (المسافرين) وهو ضمن الآثار المحمية على مستوى المقاطعة.

٨- مسجد بابا:

تم بناء المسجد في محافظة (لا نغاشونغ) من مقاطعة (سيتشوات) عام ١٦٨٩م على يد الداعية المهاجر مكي وبعد ذلك قام / ان تشي جينغ يي ـ من تلاميذ الداعية ـ بوضع زاوية مقببة لشيخه، يقيم بها من يريد الاعتكاف وتزكية النفس، فأطلق عليها وعلى المسجد (بابا)، تبلغ مساحته (١٣) ألف مترمربع، وهو يختلف عن كل مساجد الصين من عدة زوايا، ومن أهمها أنه مركز ديني صوفي إسلامي نادر.

٩- مسجد نانقوان:

يقع في مدينة (ينتشوان)، وهي مشهورة في كثرة المساجد، وعدد المسلمين فيها يتجاوز النصف، ويعود تاريخه إلى أكثر من ٥٠٠ سنة، بني في عصر أسرة يوان ١٢٧١م -١٣٦٨م، ويدخل قائمة (المائة مسجد المشهورة في الصين)، وتبلغ مساحته ٤٠٧٤م، ويمتاز بأنه يشبه المركز الثقافي الديني للمسلمين، وقد تم ترميمه حديثا بعد تخريبه أثناء الثورة الثقافية عن طريق إسهام ما يقرب من ألف أسرة مسلمة في هذه المهمة عام ١٩٧٩م، إضافة إلى التبرعات، وأصبح يعبر عن الطرازين المعماريين الصيني والعربي، ومع هذا المسجد يوجد في المدينة تسعة مساجد أخرى .

١٠- مسجد ماديان:

تم بناءه عام ١٦٦٢م، وهو أكبر مسجد في شمال بكين، ومن أشهرها، ومن ضمن المائة مسجد الأثرية، إلغي المسجد أثناء الثورة الثقافية (١٩٦٦م) وأقيم مكانه ورشة صناعية، ولكنه أُعيد إلى المسلمين، وتم بنائه، وساهمت الحكومة الصينية بـ (١١ مليون يوان) لتحقيق ذلك، تبلغ مساحة ٣٨٠٠ م، ويتكون من ثلاثة أدوار و (٣٦) غرفة ،و يقدر عدد المصلين يوميا بـ (٤٠) مصلى، وفي يوم الجمعة عددهم إلى ٣٠٠ مصلى، وفي العيدين يتجاوزون (٨٠٠) مصلى.

ومكانة المساجد تبرز من خلال أسمه ووصفه في لغة الشعوب، فالمسجد في الصين نما في ظل احترام شعبي وحكومي عبر التاريخ، تؤكده الأوصاف لمراحل تواجده و هى:

١- المرحلة الأولى كان اسمه (لى تا نغ) ومعناه قاعة الاجتماع.

٢- المرحلة الثانية كان اسمه (لى باى تانغ) ومعناه قاعة الصلاة

٣- المرحلة الثالثة كان اسمه (لى سى تانغ) و معناه المتعبد به.

٤- المرحلة الرابعة كان اسمه (تشينغ تشن سى) و معناه متعبد الصفا والحق.

وأخذت المساجد تتأقلم مع التقاليد الصينية في عهد أسرة يوان وذلك حينما أخذت بالانتشار في الوسط والشرق، وجهات جديدة للمسلمين.

وتبرز -أيضا- من خلال لغة الأرقام، فقومية السالار يصلون الجمعة في (شيونهوا) بما يقارب من (٤٠) مسجدا، ويقدر عدد مساجد بكين بـ ٦٩ مسجدا، منها (٢٠) مسجدا في المنطقة الحضرية وتبرز - أيضا- من خلال العطاء، ففي مدينة (هوهيهوت) مسجد له نكهته المتميزة، فهو يطبع الكتب، ويصدر الأشرطة السمعية، وتقام الولائم فيه، ويعود السبب إلى أن المطاعم الخارجية لا تقدم الطعام الحلال، والبيوت أصغر من أن تستوعب بعض المناسبات، والأسعار مرتفعة، وكان الحل «الولائم في المسجد»

والمساجد في الصين قدر عددها عام ١٩٣٦م بـ (٤٠) ألف مسجد، نصيب المقاطعات، (سان تو) ٣٩٧١ مسجدا ومقاطعة (كيانغ) ٣٨٩١ مسجدا، وقد عانت بعد ذلك إلا أن وضعها - الآن - يبشر بالخير، والشيء الملفت للنظر أن لمساجد المسلمين في الصين تقدير واحترام من قبل غير المسلمين، والقديمة منها تشبه في عمارتها معابد الأديان الصينية، ولا يوجد مآذن للمساجد إلا في القرى التي لا يسكنها إلا المسلمون، وربما بسبب اعتقاد الكونفو شيوسيين الذين يرون أن البناء إلى الأعلى يذل الأبنية الوطيئة، وهي سر تساوي ارتفاع منازلهم[1]، كما أن لمساجد القوميات والمقاطعات بعض الخصائص، فالقومية التتارية تمتاز بالمئذنة العالية والرائعة واللون الأزرق، وتعرف بـ(المسجد الأزرق) ويتبعها - دائما - مدرسة دينية، ومجموعة دونغشيانغ تهتم بالمساجد ومساجدهم جميلة مزخرفة، ويلمس المتابع لنمو المساجد وأثرها أن غير المسلمين يسهموا في بنائها كتبرع الجنرال / تشانغ في إتمام ميزانية مسجد (دينغتشو)، وتبرعات بعض الحكام، وإسهام الحكومة الشيوعية في ترميم الكثير منها، ومن الخصائص اللطيفة أن أغلب المساجد في الصين تعبر في ظاهرها عن امتزاج الحضارتين الإسلامية والصينية من ناحية الألوان والزخرفة والرسوم والأخشاب، ونجد أثر الفن المعماري الإسلامي والصيني واضحة فيها، فلأثر الإسلامي المعماري في الصين يعبر عنه :

أ- دخول الشكل الدائري والاسطواني في الأبراج والمنارات الصينية.

---

١) تاريخ المسلمين في الصين، ص ١١٢.

ب- هندسة البناء الحجري الإسلامي وتمكنها في الإنشاءات الصينية.

ج- دخول الزخرفة على الأبواب والنوافذ الصينية بسبب ما شاهدوه في المساجد.

د- ظهور القبب في البنايات الصينية.

هـ- الخطوط اللا متناهية و تجميل الفراغات تسلل إلى العمارة الصينية من بيوت المسلمين ومساجدهم.

و- استفاد الصينيون من الثوابت والمتحركات في البناء الإسلامي، فالمآذن والمنابر والمحاريب ثابتة وأما مكانها وحجمها فمتنوع

وبالمقابل نجد أثر البناء الصيني في المساجد يعبر عنه:

١- وجود المباني الإضافية بالمسجد.

٢- تعدد واتساع الأفنية المحيطة بالمسجد.

٣- استغناء المساجد القديمة عن المآذن.

٤- وجود أبراج متوسطة الارتفاع مخصصة لمشاهدة الهلال.

٥- الانسجام والتناسق والألوان، والتوزيع المناسب للمسجد ومرافقة.

٦- وجود الزخرفة والصور الصينية المتميزة والانحناءات الدائرية الملونة في الكثير من المساجد القديمة.[1]

والمتابع لموضوع المساجد في الصين يدرك أنها تأثرت بفن البناء الإسلامي وخصائصه، مع إستفادتها من الهندسة المعمارية الصينية، وتوظيفها ما في البيئة من مواد، ويجد أن الغالب منها تم بناؤه في المدن التجارية وليس في المناطق الحدودية أو مدن الثغور العسكرية، ومعنى هذا أن التواجد الإسلامي في الصين أساسه الأفراد والتجارة، وأنها تنمو من ناحية العدد والمساحة والرواد، وتحمل صورة حية واضحة عن امتزاج الحضارتين -الإسلامية والصينية-، وأنها حاضرة في لب أحداث ومحاور الحياة، حيث نجدها حينا مهدمة محترقة، وأحيانا أخرى تعج بالتوسع والبناء والأنشطة، وأخيرا إنها تعبر وتنقل حقيقة أحوال المسلمين الاقتصادية والسياسية والدينية، وتحدد مكانتهم الاجتماعية.

---

١) تاريخ المسلمين في الصين، بدر الدين جيّ، ص ١٦٠.

المؤسسات الإسلامية في الصين

الهيئات والمؤسسات والجمعيات والمراكز أنشطة رسمية وأهلية، أخذت مساحات كبيرة في العصر الحديث، وأصبح لها أنظمة وأجهزة إدارية، وتخصصات وأهداف ووسائل، ومصادر تمويل وجهات رقابية، واستطاع الكثير منها أن يتفلت من محيط الدولة و بروقراطيتها لينعم بالدفء الدائم والعطاء المتوصل في ظل المجتمع المدني.

والإسلام دين العدل للعالمين، والمهتم بإنسانية الناس واحتياجاتهم، والداعي منذ ١٤٠٠ سنة إلى حقوق الإنسان والحيوان والبيئة، وسن سنن الخير، ورحب بكل خطوة جديدة ورأى سديد لتحقيق التكافل الاجتماعي، وتقديم الخدمات، والنهوض بالأفراد والمجتمعات والأمم، وتأمين الاحتياجات اللازمة، ومعالجة الأزمات، والحضور في الكوارث، وتأمين الحد الأدنى من متطلبات الإنسان وقد حارب الفقر، وكفل اليتيم، وسدد الديون، وساعد الطلبة، وأمن الخائف، وأقرض المحتاج، وعالج المريض، وخدم الأعمى، وفك الأسير، وأعتق الرقاب، وأبقى أبواب العطاء مفتوحة لكل جديد من الأعمال ولكل مستحدث من المصائب.

إن بداية العمل المؤسسي للمؤسسات الإسلامية في الصين جاء مع العام الذي أعلن فيه قيام الجمهورية على يد / سن يات سن عام ١٩١١م، حيث تم إنشاء (جمعية التقدم الإسلامية الصينية) في بكين على يد الشيخ / إلياس عبد الرحمن وانغ كوان، ثم تلي ذلك فروع لها في بعض المدن والمقاطعات، وبدأت تمارس أعمالها المتعددة والمتمثلة في إصدار مجلة (نور الإسلام) ونقل معاني القرآن الكريم إلى اللغة الصينية، والاهتمام بالتعليم، وممارسة الأعمال الإنسانية، وتوقفت أنشطتها عام ١٩٣٧م، وفي عام ١٩٢٥م ولدت (جمعية الدراسات الإسلامية الصينية) في مدينة شانغهاى على يد الشيخ / هلال الدين هاده تشينغ، من أجل تعميم التعليم الإسلامي بين المسلمين الصينيين، وتقوية الروابط بينهم،[1] وفي عام ١٩٢٦م رأت النور (جمعية الدراسات الإسلامية) في مدينة (تشنعتشو) من مقاطعة (خنان) كان محور نشاطها التعليم، ومن أهم الجمعيات الإسلامية في الصين (جمعية المسلمين الصينيين لإنقاذ الوطن) وجل هدفها مقاومة الاستعمار الياباني، وانتقلت الجمعية فيما بعد إلى (تايوان) جاء بعدها (جمعية الدين الإسلامي) و (جمعية الثقافة الإسلامية) إلا أنها -مع الكثير من الجمعيات- توقفت مع ولادة

١) محمد مكين، ص ٦٣ .

الصين الجديدة عام ١٩٤٩م، ويقدر اليوم عدد الجمعيات الإسلامية العاملة في الصين (٤٢٠) جمعية، ومنها

الجمعية الإسلامية الصينية (المركزية):

لم يكن الموقف الرسمي الصيني في البداية، وبعد الانتصار مناسبا اتجاه الأديان ومؤسسات، بل كان عدائيا، يرى أنها إفيون الشعوب، ومن نفايات السنين الماضية البالية، ووجه من وجوه الاحتكار والظلم والتخلف.

وقد أبقى الموقف الرسمي الصيني من جمعيات الأديان ما يسهم في فك عزلته وتبرئته من اعتدائه على حقوق الإنسان، والاضطهاد الفكري والديني، ومصادرة حرية الناس وآرائهم، وأبقى منها - أيضا- ما ييسر له أمر متابعتها وتوظيفها وامتصاص تفاعل المجتمعات معها، وأبقى منها -ثالثا- ما يجعلها لوحة براقة خارجية للسياسة الصينية، وهذا ما نلمسه - في البدايات- من خلال تأسيس الجمعية الإسلامية الصينية، وتبوؤها أعلى سلطة دينية للمسلمين الصينيين، وإمساكها بكل ما يخص مسلمي الصين، وتكليفها باستقبال الوفود من العالم الإسلامي إلا أن الأمور سارت بما لا تشتهي السفن، وخاصة بعد القضاء على الثورة الثقافية، وتأكد أكثر حينما صدر قانون الحرية الدينية الصيني في مارس عام ٢٠٠٥م، أو ما يطلق عليه (لوائح الشؤون الدينية).

تأسست الجمعية الإسلامية الصينية في يوليو ١٩٥٢م (السنة التحضيرية) باقتراح وتشاور من / برهان شهيدى و /نور محمد و / محمد مكين، وغيرهم، وتأسست رسميا في مايو عام ١٩٥٣م من خلال ما يسمى: المؤتمر الإسلامي الأول للمسلمين في الصين (بكين)، ومهمتها (مساعدة الحكومة على تطبيق سياسة الحرية في الاعتقاد الديني، وتطوير التقاليد الإسلامية الحميدة، وحماية الحقوق الشرعية لرجال الدين الإسلامي والمسلمين، وتحسين إدارة الشؤون الدينية وتوحيد المسلمين من مختلف القوميات لحب الوطن الأم، والاشتراك في البناء الاشتراكي المادي والمعنوي، ودفع قضية توحيد الوطن وتطوير وتعزيز العلاقات الودية، والتبادلات الدولية بين المسلمين في الصين وفي البلدان الأخرى، وصيانة السلم العالمي).[1]

سارت الجمعية كما تريد الحكومة، ونصف ما يريد المسلمون، وربع ما يريده الإسلام وحققت في أيام مؤلمة شيء من الأماني، والتواصل مع الوفود الإسلامية الخارجية، وطبعت

١) المساجد في الصين، محمود يوسف لى هواين، ص: ٧٤-٨٢

القرآن الكريم و الكتب، وأصدرت مجلة (المسلم الصيني) عام ١٩٥٧م، وأقامت معهد إسلامي عام ١٩٥٥م، وفتحت بعض المساجد، وأشرفت على جميع رحلات الحج وكانت الأولى عام ١٩٥٢م لتحجيج (١٦)، فردا، وفي عام ٢٠٠٢م استأجرت ثمان طائرات لنقل ثلاثة آلاف حاج، وأسست (مجلس الإرشاد للشؤون الدينية ويضم كبار العلماء في الصين، ومهمته توحيد المسلمين الصينيين ومتابعة قضاياهم والتخطيط لمستقبلهم، وأعدت (فلما) بلغات ثلاث (الصينية والعربية والإنجليزية) بعنوان: (حياة مسلمي بكين)، وأقامت مسابقات ودورات لخدمة الخط والدعوة والقرآن، ومنها مسابقة (الوعظ) وكانت بدايتها عام ١٩٩٦م، وعقدت الدورة السادسة عام ٢٠٠٦م استمرت خمسة أيام، بلغ عدد المشاركين (١٢٦) متسابقا من (٢٨) مقاطعة نجح منهم (٦٦) شخصا، وقد دخلت اللغة الإيغورية مع الصينية في الدورة الرابعة.

والجمعية لا زالت تتصدر جميع المؤسسات الإسلامية الصينية المعاصرة و تمثلها أمام الدولة، وبواسطتها تمتد الجسور الإسلامية بين الخارج والداخل، وهو أمر محمود من جهة، ومن جهة أخرى ليس في اليوم كل خوف الماضي وحذره، ولا جميع القيود الخفية والمعلنة، بل إن تعامل الدولة مع المؤسسات الإسلامية الداخلية هو أفضل بكثير من دعاوى الديمقراطية في أمريكا بعد ١١ / سبتمبر، ومن حال بعض المؤسسات الإنسانية الإسلامية في عدد من الدول الإسلامية، والمحاكم والشمع الأحمر والمطاردات والسجون أدلة دامغة.

تشرف الجمعية وتراقب بشكل ظاهري على جميع المؤسسات الإسلامية المدنية في الصين، دون أن تقيدها أو تحول بينها وبين دعمها، ولذا تنتشر الكثير من الجمعيات والمراكز الإسلامية في محافظات الصين ومدنها، وتؤدى دورها كاملا إذا ما توفرت الأموال، ومن أهمها:

- جمعية قوا نغد ونغ الإسلامية، ومقرها (قوا نغشو) وهدفها: تنمية الروابط بين المسلمين، والاجتماع بأئمة المساجد في المقاطعة، وإقامة المسابقات الثقافية الإسلامية، وتأخذ من أعماق التاريخ الإسلامي مكانتها حيث إنها في أول مكان دخل الإسلام منه في الصين.
- لجنة تعزيز الثقافة الإسلامية، في لنتشو، تأسست عام ١٩٩٤م على يد الحاج / تشانغ ده يتسى، وهدفها: تعزيز الثقافة والتربية من منظور إسلامي من خلال:

أ- المدرسة المهنية لأبناء الفلاحين، ومدرسة اللغة العربية.

ب- دار الأيتام، ودار المسنين.

ج- مكتب الزواج، وروضة الأطفال.

د- جمعية الخطاطين والفنانين، وجريدة أخبار المسلمين.

- جمعية نينغشيا الإسلامية الدولية للصداقة والتنمية الاقتصادية (انظر ص٨٣).
- جمعية التقدم الإسلامي، وصلت فروعها إلى ٣٠٠ فرعا ويتبعها العديد من المدارس.
- جمعية الأدب الإسلامي في الصين، لها جهود اجتماعية متميزة، ومن أهدافها إيضاح العقيدة وتطوير التعليم، ودعم العمل الخيري، وترجمة القرآن الكريم.
- جمعية رعاية المسلمين في مدينة خنج.
- جمعية هويا الإسلامية في مدينة هويا.
- الجمعية الاتحادية لعموم الصين، مهمتها: توثيق العلاقات الصينية الإسلامية.
- الجمعية الإسلامية في مدينة قانسو.
- جمعية الدراسات الإسلامية في شانغهاى.
- الجمعية الإسلامية في مقاطعة تشنغ هاى.
- جمعية الصداقة الصينية العربية، في بكين، تأسست في ٢١ ديسمبر ٢٠٠١م، هدفها: تأصيل الروابط بين الشعوب العربية والشعب الصيني، وتوسيع ميادين التعاون الدولي و تفعيل السلام العالمي، رئيس الجمعية / تيمور داوا ماتي.
- جمعية مسلمي نينغشيا الخيرية، تأسست رسميا في ٢٤ سبتمبر ٢٠٠١م.

ويوازى هذه المؤسسات مؤسسات إسلامية شبه حكومية معاصرة، ولدت بعد الانفتاح مهمتها الإشارة إلى اهتمام الحكومة الصينية بالجالية الإسلامية، وتوظيفها في مدّ الجسور بين الصين والعالم الإسلامي، ودعم الاقتصاد الداخلي وفتح الأسواق الخارجية، وللصين معرض سنوي دولي للأطعمة واللوازم الإسلامية، وقد عُقد المعرض الثالث في ١٠ أغسطس ٢٠٠٩م في مدينة (شينينغ) في مقاطعة (تشينغهاى) شاركت فيه ١١٧ مؤسسة و (٢٤) دولة، ويقدر حجم السوق العالمي للأطعمة واللوازم الإسلامية بـ (٢١٠٠) مليار دولار،

كما أن مدينة (ينشوان) عاصمة منطقة (نيغشيا) فيها (٨٠٠) شركة مصنعة للأطعمة الحلال للعالم الإسلامي، مقر دائم لـ (منتدى التعاون الصيني العربي) ومكانا لإقامة بنك تعاون إسلامي يكون نواة أكبر مركز مصرفي إسلامي في الصين، وقد حققت المركز الأول خلال السنتين الماضيتين (٢٠٠٧م - ٢٠٠٨م) في معدلات النمو على الصعيد الصيني، وكان لصناعة الأغذية الحلال ومستلزمات المسلمين الدور المهم في هذا.

التعليم الإسلامي في الصين

القرآن والعلم والمسجد بينها علاقات تكاملية، القرآن منهج والمسجد مقر والعلم سلوك، والأمر بـ (القراءة) أول كلمة حملها القرآن للإنسان، وسبقت جميع التشريعات، وتقدم العلم على الإيمان، وطلبه وتبليغه واجب، والعلماء ورثة الأنبياء، وعالم متمكن أشد على الشيطان من ألف عابد، لأن معرفة الله سبحانه وتعالى وخشيته وآداء الفروض واجتناب المحرمات بدايتها العلم بها، وهذا سرّ أهمية العالم، وفضل العلم وناشره وطالبه، و الأوامر القرآنية والتوجهات النبوية تحث عليه وتذكر فضائله، وتجعله من العبادات والواجبات ومستلزمات الحياة،، وانعكس كل ذلك على نيات وأقوال وأفعال المسلمين، وأصبح العلم جزءا من حياتهم، وتزداد أهميته بحجم القدرات، وخلو الساحات، ونداء الحاجات .

بداية التعليم الإسلامي:

لا شك أن التعليم الإسلامي رافق أول مسلم إلى الصين، وشغل أول مسلم صيني، وانطلق من بدايات متواضعة واتخذ من المسجد مركزا، ومن الجهود الفردية عونا، ومن اللغة العربية وسيلة، ومن بساطة التكاليف منهجا، حيث يعتمد على الوقف والصدقات والزكاة والوصايا، ويقوم على جهد مدرسين محتسبين لهم - أحيانا - مكافآت رمزية متواضعة، تحددها إمكانيات المسلمين، وكل ذلك بحراك ديني يجد الذكر والشكر من الناس، والأجر من الله سبحانه وتعالى، وييسر القبول ويحقق المتعة .

البدايات متواضعة وتقليدية، تنطلق من (الكتاتيب) في زاوية من زوايا المسجد، أو في جزء من رواقه، أو في غرفة جانبية، لعدد قليل من الطلبة لا يتجاوزوا تعلم الحروف العربية وحفظ قصار السور، ثم يأتي بعد ذلك همة الطالب وقدراته في حفظ القرآن والاطلاع على الأحاديث النبوية، ولغة التعليم الإسلامي - في البدايات - العربية أو الفارسية، حسب انتماء الأستاذ، ثم يلي ذلك الرحلة من القرية إلى المدينة في سبيل طلب العلم والبحث عن المزيد، ثم تأتي الرحلة الأخيرة إلى خارج الوطن، وهي قليلة جدا .

ومنذ دخول الإسلام الصين جاء إليها العديد من الدعاة والعلماء من بلاد المسلمين، وخاصة العربية، وأخذوا مكانتهم المتميزة في دوائر القضاء والإمامة والتعليم في الصين، ومع هذا الاحتكاك إلا أن التعليم الإسلامي في الصين لم يتجاوز اللغات الإسلامية - العربية والفارسية

- إلى اللغة الصينية إلا بعد مئات السنين، مما خلق سلبيات عديدة منها:

- الانفصال العام بين المسلمين والشعب الصيني .
- تأخر انتشار الإسلام بين الصينيين .
- ابتعاد الكتاب الإسلامي عن ميادين العلم والفكر الصيني .
- الانعزال المؤلم للمسلمين عن مسيرة الحياة الصينية .[1]

وهذه السلبيات لم تكن على إطلاقها، ولكنها الغالب، ويبقى خروج نادر عليها - كانت فيما بعد - من أهم خطوات مشاركة المسلمين للصينيين في حياتهم اليومية وإسهامهم في البناء والتعمير وإدارة دفة الدولة، ومن الكتب المقررة في الفترة الأولى (عقائد النسفي) و (شرح الوقاية) (وتفسير الجلالين) و (أساس العلوم) و (ضوء المصباح) و (الإملاء) لابن الحاجب، وبالفارسية (مرصاد) (كلستان) و (خطب) ويظهر من تلك الكتب هيمنة المذهب الحنفي والعقائد الماتوردية.

المرحلة الصينية:

يعتبر السيد/ هو دنغ شو - ١٥٢٢م - ١٥٩٧م - رائد التعليم الإسلامي الصيني، حيث أدخل اللغة الصينية في مدارس المساجد، وخطواته المباركة أدت إلى اختراق المسلمين للمجتمع المحلي، ووصول الإسلام إلى بؤر داخلية، وفتحت أبواب ترجمة الكتب الإسلامية إلى الصينية ووصول الدعوة إلى عامة الناس بعد أن كانت في حدود الجيران ومحيط تعاملات المسلمين التجارية، إلا أن التعلم بقي تقليديا حتى جاء رائد التعليم النظامي الصيني الإسلامي السيد/ وانغ كوان - ١٨٤٨م - ١٩١٩م - وقد جمع بين المدرستين التقليدية والحديثة، وأضاف عددا من المواد العصرية للمواد الدينية، ونقله من المسجد إلى المدرسة، وأخذ يتجه إلى تكاملية واقعية ونمو أفقي وتأكيد على التخصص أحيانا يعبر عنه:

- مدرسة مقاطعة (شانشي) حيث تميل إلى تدريس علم الكلام والتفاسير.
- مدرسة مقاطعة (شاندونغ) وقد تجذرت في تعليم التصوف واللغتين العربية والفارسية.
- مدرسة مقاطعة (قانسو) اتجهت إلى توجيه التلاميذ إلى أمهات الكتب الدينية

١) العودة إلى الصين، محمد العبودي، ص: ٢٨٧

المنسجمة مع المذهب الحنفي كـ (تفسير القاضي) و (مشكاة المصابيح) و (إحياء علوم الدين).

وبعد المسيرة الطويلة للتعليم الإسلامي في الصين اتضحت الصورة وأصبح المنهج خليطا من العمق التقليدي يواكبه - بالتدريج - خطوات تطويرية، واستقلال بمباني مناسبة، وحضور ملموس أثناء بناء المساجد، وتخصيص زوايا منها له، وتسلل التغيير إلى تعليم المساجد حيث تحول إلى مرحلتين:

- التأسيس، وتشمل تعليم مبادئ الإسلام والحروف العربية والتربية مع اللغة الصينية ومدتها أربع سنوات تقريب.
- الثقافية العامة، وتعنى التهيئة للتخصص والاستمرار، ومحورها التعريف بالمصادر الأولى للإسلام ومعرفة كبرى القضايا، وأهم المواضيع الخلافية للأحناف مع غيرهم، وما يجب على المسلم معرفته، ومدتها ست سنوات تقريبا.

وتمخض منه المحافظة على الإسلام ونشره، وتعلم أبناء المسلمين لغة تساعدهم على الحياة والاندماج والعمل.

التعليم في العصر الحديث:

ما سبق أصبح مقدمة للتعليم الإسلام المعاصر، يعضد له أن المسلمين تميزوا بثقافة واسعة منفتحة نتيجة الأفق الواسع لدينهم، وميلهم إلى التجارة، وإجادتهم أكثر من لغة، ودورهم في ربط بلاد الصين ببلاد العرب، وألفتهم للقلم والكتاب، ولكن عنفوان الشيوعية وخطوات التأسيس المؤلمة حاولت إلغاء المدارس الإسلامية انطلاقا من شعار (توحيد التعليم الوطني) وهذا الإجراء تم تطبيقه على كل من يخالف الشيوعية، و يعرّف بـ (العمل خارج إطار الدولة)، ولكن السلطة خففت القبضة الحديدية بعد وفات / ماو، وأخذت المدارس الدينية القديمة بالعودة، وبناء مدارس جديدة

وقد توزعت عناوين مؤسسات كثيرة تنشر التعليم الإسلامي في الصين، ومن الصعوبة تحديد كل عنوان وإيضاح حدوده مع غيره، وذكر خصائصه، وجميعها تتماس وتتقاطع، وبينها تشابه وتكامل وتعاون، وإن اختلفت أسماؤها كالكليات والمعاهد والمدارس ومن أهمها:

أ- المدارس:

وهي قديمة ومتنوعة، وتعبر - غالبا - عن المراحل الأولى للتعليم، والإعداد لمبدئي للمعلمين والأئمة ومن أهمها:

١- مدرسة (تشنغدا)، التي أسسها الشيخ / ماسونغ ينغ، عام ١٩٢٥م في مدينة (جينان) عاصمة مقاطعة (شاندونغ)، وقال عن هدفها (إعداد الأكفاء المتخصصين في المجالات الثلاث التالية:

أولا: الدين الإسلامي، بحيث يكون خريجوها قادرين على تولي مهمات الإمامة في المساجد، ولديهم المعارف الدينية الكافية في قيادة المسلمين العاديين للسير على الطريق الصحيح على ضوء الشريعة الغراء.

ثانيا: في مجال التربية والتعليم، أن يكونوا مؤهلين لتولي الوظائف القيادية والتعليمية في المدارس الابتدائية العادية في كل مكان، وأن يسلحوا التلاميذ المسلمين بالمعارف العلمية الحديثة إلى جانب الإسلامية الأساسية.

ثالثا: في مجال العمل الاجتماعي، أن يكونوا فاعلين ومتمرسين في تنظيم مختلف الأعمال الاجتماعية للمسلمين عن طريق إدارة المنظمات الإسلامية المتنوعة)، ومعنى (تشنغدا) إعداد التلميذ ليصبح مخلصا متخصصا، وقد تم ضمها إلى المعهد الإسلامي ببكين، ويتبعها مكتبة متميزة.

٢- مدرسة مينغده المتوسطة في يوننان.

٣- مدرسة تشو نغشي المتوسطة في جينتشنغ.

٤- مدرسة المعلمين الإسلامية في شانغهاي.

٥- مدرسة المعلمين الإسلامية في وانشيان.

٦- مدرسة ووتشونغ للمعلمين في نيغشيا.

٧- المدرسة الصينية العربية للبنات، تأسست عام ١٩٨٠م في (لينشيا) ويصل عدد الطالبات فيها إلى (٣٣٠) طالبة، ومدة الدراسة فيها أربع سنوات.

٨- مدرسة تشنغده الصينية العربية، تأسست عام ٢٠٠٤م بمدينة لانتشو عاصمة مقاطعة (قاسو)، وفيها ما يقارب من (١٥٠) طالبة .

٩- مدرسة التتار، وتمتاز بأنها أقدم مدرسة قومية حديثة، ومقرها مدينة (بينينغ) .

١٠- مدرسة تشونغ شي، في (جينتشنغ) أسسها / ماجيون، وتعتبر من أكبر المدارس المتوسطة لأبناء المسلمين على مستوى الصين، وقد تعرضت لاعتداء اليابنيون عام ١٩٣٨م .

ب- المعاهد:

١- المعهد الصيني للعلوم الإسلامية

تأسس عام ١٩٥٥م برعاية الدولة، ثم توقف عن العمل أربع سنوات بسبب الوضع السياسي، وفي عام ١٩٨٢م بدأ بقبول الطلبة مرة ثانية، ويعتبر أعلا مؤسسة تعليمية إسلامية في الصين، ومن أهدافه:

- إعداد الكوادر الإسلامية للمساجد.
- تخريج عدد من المدرسين المسلمين.
- تفعيل العلاقات بين المسلمين والدولة.
- نشر اللغة العربية.

والمعهد يجمع بين التعليم التقليدي والنظامي، وله أنشطة علمية متميزة تتمثل بالدورات والمسابقات، وقد تم تعميم تسع معاهد من مثله في الصين.

١- معهد الإمام البخاري:

يقع في مدينة (لنجو) من مقاطعة قانو، وتصل مساحته إلى ٥٠٠٠ م٢ تشمل ثلاث أفنية كل فناء عليه ثلاثة أدوار، مع سكن للطلاب والمدرسين ومسجد ومكتبة ومكتب إداري، ومناهجه مناهج المرحلة الثانوية للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة.

٢- معهد نينغشيا للعلوم الإسلامية:

تأسس عام ١٩٨٥م، وهو مؤسسة دينية تعليمية، يشرف عليه حكومة منطقة نينغشيا

من خلال الشؤون الدينية مهمته قبول عدد من المتخصصين في اللغة العربية والعلوم الدينية، بعد المرحلة الثانوية وما في مستواها، تتراوح أعمارهم ما بين ١٨-٢٠ سنة.

تبلغ مساحة المعهد ٢٨٣٠٠م، ساهم البنك الإسلامي في تقديم مليون ومائة وثلاثين ألف دولار أمريكي في إنشائه، يشمل أدوار فيها فصول، ومسجد، ومطعم، وصالة محاضرات، وقسم لسكن الطلبة، والإدارة، والمكتبة، تخرج في المعهد ما يقارب من ٢٣٤٠ طالب وطالبة خلال العشرين سنة الماضية، تم توزيعهم على المساجد والوظائف الحكومية، وفي الشركات الصينية في العالم العربي. [١]

٣- المعهد الإسلامي في بكين:

يقع في حي (شيو انوو) وتأسس عام ١٩٨٥م وكانت خطواته الأولى دورات إعدادية لأئمة المساجد في (دونغسي) إلا أنه في عام ١٩٩٤م انتقل إلى مقره الجديد الذي ساهم البنك الإسلامي للتنمية في جدة ببنائه، وتبلغ مساحته الإنشائية ٦٥٠٠م٢، وعدد الطلاب فيه عام ٢٠٠٣م (١٢٠) طالبا، يضاف إليهم (٤٠) طالبة يدرسون في قسمين:

الأول -القسم الإعدادي للأئمة، ومدة الدراسة أربع سنوات.

الثاني -قسم اللغة العربية، ومدة الدراسة سنتان.

وشروط القبول

- أن يكون الطالب مسلم.
- حصول الطالب على الشهادة الثانوية
- أن لا يقل عمر الطالب (١٨) سنة.

وتصل الرسوم الدراسية وتكلفة الإقامة (٥٠٠٠) يوان للسنة الواحدة.

جـ- الكليات:

كلية لانتشو الإسلامية:

وافقت حكومة مقاطعة قانسو ومجلس الدولة على تأسيس كلية لا نتشو الإسلامية عام ١٩٨٤م على مساحة قدرها٥٨٠٨م٢ متكئة على وجود ما يقارب من أربعة آلاف مسجد ومئات المدارس في المنطقة.

١) المسلمون في الصين، شيو يوان، ص: ٢٠٩

القوميات المسلمة في الصين

مليار وثلاثمائة مليون إنسان في الصين، ينتمون إلى ست وخمسين قومية، في رأس القائمة من زاوية العدد والتمكن والتاريخ قومية «الخان»، ويشكلون ٩٠٪ من السكان، ويأتي بعد ذلك البقية، ومنها عشر قوميات إسلامية، تنقسم إلى مجموعتين:

أ- مجموعة القوميات الأربع (الوافدة):

هؤلاء جاءوا إلى الصين من آسيا الوسطى وبلاد فارس وبلاد العرب قبل مئات السنوات وأكثر، وسلكوا طريق البر (الحرير) وطريق البحر (البخور) والغالب منهم يعمل في التجارة، وجزء منهم كانوا جنود محترفين مع القوات المغولية، وقلة قليلة كانوا في مهمات دبلوماسية، والقوميات الأربع الوافدة هي:

١- قومية خوى: وهي من أكبر القوميات الإسلامية، وأكثرها عدد وانتشارا، ومعظمهم اعتنقوا الإسلام قبل القرن الثالث عشر الميلادي، وإليها ينتسب المسلون الصينيون، ويقدر عددهم الرسمي بـ «٨،٧» مليون نسمة، موزعين على نواحي الصين مع وجود بعض التجمعات الخاصة بهم، والأكثرية تقيم في مقاطعة «نينغشيا»، وجل أعمالهم في الطب وصناعة الخزف والزراعة والحرف اليدوية، والمقاطعات - المكان الذي يقيمون فيه - مهيئة لتكون جسرا اقتصاديا بين الصين والعالم الإسلامي، ومن خصائص قومية خوى محافظتهم على دينهم وقوميتهم وتقاليدهم وتميزهم العرقي، والتزامهم بمنظومة أعرافهم الاجتماعية، وقد حفظوا الإسلام فحفظهم.

٢- قومية سالار: تعود جذورهم إلى آسيا الوسطى، وتزعم رواياتهم أنهم جاءوا من (سمرقند)، ويعملون بالزراعة والرعي، ويقدر عددهم الرسمي بـ «٩٠» ألف إنسان، ويتحدثون باللغة السالارية المنطوقة فقط، وجذورها تركية، وفي الكتابة يستعملون لغة «الخان»، واستقروا - تقريبا في «شيونهوا» ولديهم روايات شعبية جميلة، وطقوس في الزواج، وقد جعلوا من القرآن الكريم محور أفراحهم وأتراحهم، فهو حاضر في كل المناسبات.

٣- قومية دونغشيانغ: يسكنون في ولاية «لينشيا» في مقاطعة « قانسو» و جزء منهم يتواجدون في محافظة تحمل اسمهم «محافظة دونغشياتغ» ويقدر عددهم بـ ٣٤٠ألف إنسان، ويعمل الغالب منهم بالزراعة، ويجيدون الأعمال الفنية واليدوية، ولهم لغتهم الخاصة بهم، وهي تنطق ولا تكتب.

٤- قومية باوآن: هم خليط من قومية «خان» و «المغول» ومن «آسيا الوسطى» يتواجدون - غالبا- في مقاطعة « تشينغهاى» ومنطقة «جيشيشان»، وهم بقية من قوات منغولية رابطت هناك، ويعملون في الزراعة والحرف اليدوية، ويظهر فيهم محبة الغناء والفروسية والرياضة، واشتهروا بصنع السكاكين المتميزة.

ب- مجموعة القوميات الست (الناشئة):

هؤلاء تمددوا في منطقة « شينجيانغ» ذاتية الحكم، حيث تمتاز بطابعها الإسلامي وعلاقاتها مع الدول الإسلامية في الماضي، وجمعوا بين الانتماء للدين والوطن والقومية.

والقوميات الست هي:

١- القومية الويغورية: ومعنى الاسم في لغتهم الاتحاد، وتمتد جذورها إلى القرن الثالث قبل الميلاد، وتمكنوا في عهد أسرة «تانغ» عن طريق المصاهرة والعلاقات التجارية، ومحور تواجدهم في شينجاينغ - تركستان الشرقية-، وقدر عددهم بـ ٧,٢ مليون إنسان، والغالب منهم يعمل في الزراعة، وبرز منهم أدباء وفنانون وخطاطون و مؤلفون، ومؤلفاتهم تعتبر تراثا صينيا والمتميز منها كتاب «معجم اللغة التركية الكبير» و «حكمة السعادة والبركة»، ولغتهم الخاصة المعاصرة أصولها تركية وحروفها عربية، امتازوا بطابعهم الإسلامي، وعلاقاتهم القوية مع الدول الإسلامية، وجمعوا بين الانتماء القومي والديني والوطني للأسباب التالية:

١- دخول الإسلام أراضيهم في القرن الأول، وقبولهم له، وقيام حكومات إسلامية متتالية فيها.

٢- أنهم عاشوا في صراع قوي مع أديان ودول حتى استقروا على الإسلام، وبنوا تاريخهم عليه.

٣- هيمنة عوائل إسلامية على أراضيهم برضاهم أمثال عائلة (خوجه) و (ايشان).

٤- انتشار التعليم الديني في أراضيهم، وفيها تأسس أول معهد ديني في الصين (معهد العلوم الإسلامية) وتوالت المعاهد فيها وانتشرت اللغة العربية والفارسية والتركية والحرف العربي، إضافة إلى علوم التفسير والفقه والتصوف وعلم المنطق.

٢- قومية القازق:

يتواجدون في ولاية «ايل» الذاتية الحكم، وبعضهم في «تشينغاى» و«قانسو»، وحملوا الاسم بعد قيام «مملكة قازاق خان»، وأصولهم ترجع إلى شمال الصين، ويتحدثون اللغة القازاقية ذات الحروف العربية، والغالب منهم يعمل بالرعي، وانتقلوا في نصف القرن الماضي من البداوة إلى المدينة، واهتموا - بطريقة معاصرة- بالتجارة والصناعة والزراعة وتربية الماشية.

٣- قومية القرقيز: ومعنى الاسم «الأربعون فتاة»، وينقسمون إلى قسمين: «روت الغربيين» و «روت الشرقيين»، ويقدر عددهم بـ ١٤٠ ألف إنسان ويتواجدون- غالبا- على هضبة « البامير»بمنطقة شينجيامغ مع الطاجيك، وفيهم شيء من صفات المغول، ولغتهم من مشتقات اللغة التركية وحروفها عربية.

٤- قومية الازبك: وتنتسب إلى الملك المسلم « اوزبك» المغولي ويقدر عددهم بـ ١٥ ألف إنسان، ولغتهم من شعبة اللغات التركية، والمتعارف عليه - اليوم- (أن الاوزبك اسما موحدا رسميا يطلق على ذوي الأصل السمرقندي والاندجاني) والغالب منهم مستقرا في أراضي شينجيانغ.

٥- قومية الطاجيك: ومعنى الاسم « تاج الملك» وقيل « تاج» بمعنى المسلم، ولغتهم فارسية شرقية، ويقدر عددهم بـ «٣٣» ألف إنسان، وبعضهم يميل إلى الطائفة الإسماعيلية الشيعية وأثر الإسلام ظاهرة في الجوانب الاجتماعية والاقتصادية فيهم، وضعيفة في العبادات والصيام والحج ومساجدهم قليلة جدا، وبينهم وبين قومية القرقيز ألفة وتجاور، واشتهروا بتربية المواشي، خاصة البقر، وتعبر عنهم-اليوم- سياسيا وثقافيا واقتصاديا مدينة « تاشكورقان» خاصة بعد ربطها بطريق مع مدينة كاشغر عام ١٩٥٨م.

٦- القومية التتارية: أقلية مدنية عرقية يقدر عددها بـ (٥٥٠٠) إنسان، معظمهم في مقاطعة «شيجيانغ» جاءوا إليها من آسيا الوسطى، ولغتهم آرامية تركية وحروفها عربية، ولديهم اهتمام بالتعليم والتجارة، وبسبب معايشتهم لقوميتي الوغور والقازاق فقد اصطبغوا بكثير من خصائصهما ونطقوا لغتهما، واشتهروا بالتدين ويظهر الإسلام واضحا في علاقاتهم الأسرية وأعيادهم وطعامهم ومآتمهم وأفراحهم.

والإسلام ليس محصورا بتلك القوميات العشر، وإن نسبوا المسلمين إليها، أو نسبوهم إلى قومية «خوى» وأصبح اسم «خوى» يعنى المسلم في المصطلح اللغوي الصيني، وكأن المسلمون التقوا جميعا فيها، ويبقى شرائح كبيرة من المسلمين تنتمي إلى قوميات أخرى كالقومية « المنغولية» حيث يتواجدون في مدينة « بايانهوت» في مقاطعة منغوليا، والغالب منهم رعاة، ولا يزالون يتمسكون بتقاليدهم في لباسهم وكلامهم والتزامهم الديني، ويعرفون بـ «خوى منغوليا» أو « خوى ذوي غطاء الرأس»، وقومية منغوليا اعتنقت الإسلام في عصر أسرة يوان (١٢٧١م -١٣٦٨م) والمفصل المهم جاء مع الملك / انان دا (٠٠٠-١٣٩٧م) حينما أعلن مع جنوده البالغ عددهم «١٥٠» ألف إنسان اعتناق الإسلام، وفي أسرة مينغ (١٣٦٨م - ١٦٤٤م) اندمج المسلمون المنغوليون في القوميات الإسلامية الأخرى، خاصة «خوى» و«باوآن» و«دوتغشيانغ» ولذا فإن القومية المنغولية متعددة الأصول في حقيقتها، وإن لم يظهر ذلك على السطح.

ومن القوميات التي اعتنق بعض أفرادها الإسلام القومية «التبتية» وقومية «داي»، ويطلق عليهم « قومية داي - خوى»، ومؤشر وجودهم ظاهر في قرية «داي-خوى» بالقرب من مدينة «جينغونغ» في محافظة «منغاي» حيث تكاد تكون قرية مسلمة، ولا شك أن في قومية الخان أعدادا كبيرة وفاعلة تنتمي إلى الإسلام، من الصعوبة تقديرها أو تجاهلها، وقد وضعت الدولة الصينية أسس السياسة الخاصة بالقوميات، ومنها (احترام وحماية المعتقد الديني لأبناء الأقليات القومية)[1].

ومن المؤكد أن للقوميات والمناطق والمدن دورها الملموس في نمو الإسلام وبقائه قبل عام ١٩١١م، وبعد هذا التاريخ جاءت صفحة جديدة للمسلمين في الصين، الجيد فيها أن المسلمين أصبحوا في طريق واحد تحت رعاية الدولة وعينها، بعيدين عن الانتماء القومي والعائلي، أو هكذا أريد للجميع، متجهين إلى الاندماج بالنظام والدولة والوطن كل حسب استطاعته، خاصة بعد فصل الدين عن السياسة، وقد عانوا من السلطة و عانت منهم، إلا أن الصدام في مثل هذه القضايا لا يؤدى إلى نصر حاسم ولا إلى هزيمة نهائية، وفي طيات الابتلاءات شيء من النعم، فتهجير الكثير من المسلمين من منطقة تركستان الشرقية - شينجيانغ- رغم ألمه وصعوبته تمخض منه نشر الإسلام في الوسط وفي العصر الحديث أخذ المسلمون دورهم المناسب، وأسهموا في الدفاع عن الوطن، وأبلوا البلاء الحسن في حرب التحرير ضد اليابان.

---

١) المسلمون في الصين جمال الدين باي ص ١٠٧

والصورة الجديرة بالتأمل:

هل انتقلت حكومة الصين من دائرة الدولة (متعددة القوميات) إلى دولة مركزية قومية، محورها قومية الهان، ولها الحق على اعتبار أنها الأغلبية، ولكنها وقعت -من حيث تشعر أو لا تشعر- في خطر معاناة الأقليات الصغيرة، والنائية، فانعكس على الحساسية الأمنية، وحضور الجيش، فتولد من ذلك مؤشرات اضطهاد، وردة فعل، واختراق خارجي ؟

هذا ما يرجوه خصوم الصين، ولن يترددوا في إثارته، وتضخيمه، وتوظيفه.

من الشخصيات المسلمة البارزة في الصين

إن الحضور الإسلامي للمسلمين في الصين عبر التاريخ، وفي كل الميادين، ومن كل القدرات يأخذ عدة مسارات، ويضيء مساحات اجتماعية واسعة، وقد عبر عنه مجموعة أشخاص من خلال المواقف والعطاءات، فالذين أثَّروا وأثْرَوا الحياة الصينية منهم، أضحوا معلما من معالم الصين، ومحل فخر لها ولشعبها وعنوان متميز للوطنية، ومنطلق اعتزاز للمسلمين في زوايا الأرض، حيث جمعوا بين الحُسنيين، ومثلوا دينهم وخدموا بلادهم، وامتدت أصداؤهم إلى خارج الحدود، فهم مؤشر صادق وبارز في امتزاج المسلمين في الحياة الصينية، وانتقالهم من هوامشها إلى بؤرها منذ بداية الامتزاج الأولى .

المسلمون في الصين قاموا بجميع الأدوار، وعملوا في كل المهن الصالحة، وكان منهم القادة والسياسيين، والعلماء والأطباء، والتجار والمزارعين، والمهندسين، ولقد حققوا المعادلة المتناغمة بين بلادهم ودينهم وانتمائهم للأمة الإسلامية، واستمروا - حتى يومنا هذا - نبعا يقدم سلسبيله عبر القرون، ومن النماذج القوية، الشخصيات الإسلامية التالية:

أ- شخصيات من الماضي:

١- محمود الكاشغري ولد عام ١٠٠٨م وألف قاموس لغوي متميز (قاموس اللغة التركية).

٢- يوسف خاص حاجب من القومية الويغورية، ولد عام ١٠١٨م كاتب ملحمة (علم السعادة) المشهورة في أنحاء الصين، والتي تبلغ أبياتها ١٣٢٩٠ بيتا.

٣- جمال الدين (الفلكي) أدار أول إدارة للأرصاد الإسلامية الصينية في عهد الإمبراطور / قوبلاي خان، ووضع أول تقويم صيني، واخترع عام ١٢٦٧م سبعة أجهزة فلكية أرضية وقد استفاد التقويم الصيني من التقويم الهجري من خلال جهوده.

٤- شمس الدين عمر (١٢٧١م - ١٣٦٨م) تزعم بعض الروايات أن أصوله تعود إلى آل البيت، ومكة المكرمة موطن أجداده، تولى الإشراف على الشؤون السياسية والعسكرية في مدينة (بكين) في عهد الإمبراطور / قوبلاي خان، ووصل إلى وظيفة وكيل رئيس الوزراء، وأسند إليه إدارة وتنظيم (يونان) الحدودية حينما غرقت بالاضطرابات والفوضى، ونجح في مهمته.

٥- سعد الله - ١٢٧٢م - ١٣٤٨م، شاعر متميز، ومفصل مهم في مسيرة الأدب، وصاحب مواقف إنسانية ،مخلص، نزيه، عفيف، من أهم شعراء القوميات في الصين.

٦- تشنغ خه، ولد عام ١٣٧١م وتم تكليفه بمهمة الإبحار غربا - نحو المحيط الهندي - عام ١٤٠٥م واستمر في أعمال البحر إلى عام ١٤٣٣م، وأصبح في زمانه أكبر قائدٍ بحريٍ في العالم، وأسطوله تشكل من ٢٧ ألف فردا، وزار ٣٥ بلدا، واكتشف طريقا يربط بين أفريقيا والصين، وبسببه أصبحت الصين الأولى من حيث القوة البحرية في العالم، توفي عام ١٤٣٥م .

٧- اختيار الدين، مهندس معماري متميز في العهد المغولي، بداياته مع أوائل أسرة (يوان)، وتسلم وزارة البناء والإسكان وأسند إليه تخطيط مدينة (بكين) وأبدع أيما إبداع، وقام بتصميم وبناء القصر الإمبراطوري عام ١٢٦٦م.

٨- هاي روي (١٥١٤م- ١٥٨٧م) حاكم مسلم لمحافظة (نانجينغ) في أسرة مينغ لا يزال حتى يومنا هذا يضرب به المثل في الإخلاص والصدق والأمانة والجراءة.

ب-شخصيات من الحاضر:

١- ماجيون شوانغ - ١٨٩٠٠م - ١٩٤٥م، ولد بمدينة (جينتشنغ) من مقاطعة (شانشي) وأخذت مواهبه بالظهور، ونجح في امتحان ثقافي ولم يتجاوز السادسة عشر من عمره، ومع بداية العقد الثاني قدم شكوى في بكين ضد حاكم مقاطعته حينما باع للمستعمرين حقوق استخراج الثروة من منجم (بينغلو) وقد نجح في دعواه، ونال مساحات واسعة من التقدير والإعجاب، وأخذ بالصعود الاجتماعي، وواصل دراسته في أوروبا، واستمر في خدمة دينه ووطنه، وألف الكتب التالية:

- مهمات الدين الإسلامي.

- نظرية الدين الحنيف.

وقام بتكليف / يانغ تشونغ مينغ بترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الصينية، ودخل معارك مقاومة الاستعمار الياباني، وأبلى بلاء حسن، إلا أنهم استطاعوا أسره بواسطة بعض الخونة عام ١٩٤٥م، وقتلوه بالسم قبل استسلام اليابان وهزيمتها بـ ٤٣ يوما.

٢- محمد مكين - ١٩٠٦م - ١٩٧٨م رائد نشر اللغة العربية في الصين المعاصرة، وقد وضع بداياتها الأستاذ / عبد الرحمن ناتشونغ عام ١٩٤٣م في الجامعة المركزية (جامعة نانجينغ) حاليا وألف أول كتاب منهجي للغة العربية في الصين، ولكن يبقى / محمد مكين مفصل مهم في حركة الترجمة بين اللغتين - الصينية والعربية -، ومؤرخ مسيرة الإسلام وحياة المسلمين الصينيين، في عام ١٩٣١م دخل مدرسة المعلمين الإسلامية بـ (شنغهاي)، وفي نهاية العام توجه إلى مصر لتلقي العلوم العربية والإسلامية، وأسس بها (الجمعية الصينية لإغاثة منكوبي الحرب) - حرب التحرير ضد اليابان - وعاد من مصر بعد ثمان سنوات، وفي عام ١٩٤٦م بدأ العمل في جامعة بكين، وفي ١٩٥٤م أسس كلية اللغة العربية فيها وأمدها بمناهج تعليم اللغة العربية متجاوزاً المناهج التقليدية، ومن مؤلفاته:

- تنقيح القاموس (الصيني العربي).
- سيف محمد عليه الصلاة والسلام.
- الدكتاتورية الشعبية الديمقراطية.
- تاريخ الفلسفة الإسلامية (تاريخ علم الكلام).
- منهج العقيدة الدينية.
- قراءة في المذهب الديني.
- لماذا لا يأكل أبناء خوى الخنازير.
- منهج التقويم الهجري.
- موجز تاريخ العرب.

وألف بالعربية:

- نظرة جامعة إلى تاريخ الإسلام في الصين
- مكانة اللغة العربية

وترجم إلى العربية:

- كتاب الحوار.

- الأساطير الصينية.
- الأمثال والحكم الصينية.

وترجم إلى الصينية:

- الرسائل المحمدية في حقيقة الديانة الإسلامية تأليف / حسين جسر
- رسالة التوحيد، والإسلام والنصرانية تأليف / محمد عبده
- العقائد النسفية تأليف / سعد الدين

وإشرافه على إصدار:

- معجم الصينية العربية.
- معجم العربية الصينية.

وفي قمة جهوده: ترجمة معاني القرآن الكريم للغة الصينية، حيث نشرت عام ١٩٨١م واعتمدتها مطابع خادم الحرمين الشريفين بالمدينة المنورة.

٣- السيد رضوان ليولين روى، ولد عام ١٩١٨م في مقاطعة (خبيّ) وكان والده إمام مسجد إلا أنه دفع ابنه إلى المدارس العامة، وإلى الجمع ما بين العلوم الإسلامية والتعليم الحديث، فكانت مدرسة (تشنغد للمعلمين) هي محطته الثانية عام ١٩٣١م، وفي عام ١٩٣٨م توجه إلى مصر وحصل على الشهادة العالمية من الأزهر عام ١٩٤٣م، وفي عام ١٩٦٠م منحته جامعة بكين درجة الأستاذية.

ومن جهوده الفكرية قيامه بترجمة:

- مختارات ماوسي تونغ.
- قصائد مختارة لماوسي تونغ إلى اللغة العربية.

كما قام بالإسهام بإعداد:

- معجم الصينية العربية.
- معجم الصينية العربية للأمثال الصينية.
- دستور جهورية الصين الشعبية.
- وأسس المحادثة العربية، إضافة إلى عدد من القصص الروايات.

٤- السيد / شي ون هوا، ولد عام ١٩٥٤م يشغل نائب رئيس أكاديمية مقاطعة (قانسو) للعلوم، ورئيس معهد بحوث الطاقة الطبيعية، بالمقاطعة، ومدير المركز الدولي لتطوير تكنولوجيا الطاقة الشمسية، والعضو الصيني الأول في اللجنة الدولية للعلماء المسلمين، وعضو اللجنة الصينية للباحثين الاستراتيجيين لتعزيز التعاون بين الجنوب والجنوب.

٥- الطبيب المسلم / تشانغ وان جيه، برز في دمج الطب العربي مع الطب التقليدي لقومية الإيغور، وله بحث بهذا الموضوع، عضو جمعية الطب الصيني التقليدي، أسس مستشفى (قوبيتانغ) عام ١٩٩٠م، وأسهم في تطوير علاقات الصين بالعالم العربي عن طريق توظيف مهنته في تفعيلها، فهو الطبيب الدبلوماسي .

٦- العالم المسلم / ماوي بن، من قومية خوى، ولد عام ١٩٦٣م بمقاطعة (قانسو)، وفي عام ١٩٨٨م حصل على الماجستير، ثم على شهادة الدكتوراه عام ٢٠٠٢م، يعمل مديرا للمختبر الرئيسي لعلوم التربة، وكبير مهندسي مشروع بناء خط سكة حديد (تشينغاي / التبت) التي كانت تعاني تربتها من الرطوبة والآثار الجليدية والرخاوة.

٧- المصمم الالكتروني / باي مينغ كاي ولد في مقاطعة (خنان)، وتخرج من جامعة (البريد والبرق) في بكين عام ٢٠٠٢م، وهو مهندس تطوير برمجيات الحاسوبات، مسلم من قومية خوى، أسس (إتحاد المسلمين لتكنولوجيا المعلومات- بكين) وقدم برنامجين في الهاتف المحمول الأول تعليم الصلاة الميسر، والثاني برنامج قرآني مقروء ومسموع يمتاز بسهولة الاستخدام والتحميل، ويسعى إلى وضع برامج للرسائل القصيرة، والأجراس الملونة، والألعاب الإسلامية، وقال عن إتحاد المسلمين للتكنولوجيا (مهمته نشر الإسلام، وإبراز روح الذكر الحكيم، ودمج التكنولوجيا الحديثة مع الثقافة والتقاليد الإسلامية الباهرة، وتطويرها، وجعل حياة المسلمين الصينيين تساير تيار العصر).[1]

٨- الشيخ / وانج جينج تشاي، مارس الإمامة والتعليم والتحرير في مجلة (نور الإسلام) التي أنشأها، وترجم كتاب (العمدة) ونقل معاني لقرآن الكريم للصينية بنجاح باهر، ووضع قاموس عربي صيني.

٩- الزاهد المتواضع إمام أئمة الصين / ماليانج جيون (١٣٧٧هـ- ١٩٥٧م) ترجم وألف وأنفق أمواله في إصدار الكتب، ومساعدة المحتاجين ولم يخلف بعد وفاته إلا كتبه ومسبحته وعمامته.

١) مجلة الصين اليوم عدد آب ٢٠٠٩م

الكتاب الإسلامي في الصين

الإسلام الحضن الدافئ للكتاب، واللغة وسيلته، والمسجد بداية، والأمر بالعلم والقراءة والتدبر من اسسه .

حافظ مسلمو الصين الأوائل على لغتهم الأساسية العربية والفارسية، واستمر التعليم والتأليف بهما على أساس أنهما لغة لفئة قليلة منعزلة تعيش على هامش صغير من مجتمع كبيرله ثقافته ولغته وسلطته وتمكنه وتميزه، هكذا كان الواقع، دين غريب في بلد جديد كبير، تعبر عنه لغة وافدة، ربما كانت طلائع الدين الجديد أفراد كبار في السن لم يستسيغوا اللغة الصينية، أو إنهم لا يريدونها، أو إنهم لم يقدروا عليها، وربما أن الهدف لم يكن الدعوة وتوسيع المساحات الإسلامية وإنما هي تجارة تخللها رغبة مخلصة في المحافظة على الدين الذي ينتمون إليه، خاصة إذا كان مستواهم العلمي ضعيف بالمقارنة بما يعج به المجتمع الصيني من كتب وكتّاب وشعر وأفكار، وربما أن الجيل الأول من المسلمين في الصين فضلوا غرس النواة ورعاية الغصن الجديد و حمايته، وبعد ذلك يأتي دور تمدده، وتذوق ثماره.

والمشكلة الكبرى أن هذه المرحلة طالت، وقاربت الألف سنة، فأسهمت في تأخر تغلغل الإسلام في الصين، وعزلة المسلمين عن محيطهم الواسع، وربما غرست شيء من الشك بهم والجهل به، وقد كان دخول الإسلام إلى الصين في وسط القرن السابع الميلادي إلا أن الكتاب الإسلامي في اللغة الصينية لم ير النور إلا في القرن السابع عشر، في عام ١٦٠٠م تقريبا، ألف شيخ قومية خوى الحقيقي/ وانغ داى يوى (١٥٨٤م ـ ١٦٧٠م) ثلاثة كتب باللغة الصينية عن الإسلام.. هي:

١- توضيح الدين الحنيف.

٢- دائرة المعارف الإسلامية.

٣- الأجوبة الصحيحة عن الحق.

هذا الشيخ المسلم امتاز بمعرفته للفلسفة الكونفوشسية واطلاعه على الأديان - الإسلام والمسيحية والبوذية والطوية- كما أنه ينحدر من عائلة مسلمة متعلمة[1]، فتح/ وانغ الباب على مصراعيه، وجاء بعده مباشرة / وو تسون تشي (١٥٦٨م ـ ١٦٩٨م) فترجم

١) مجلة الصين اليوم عدد آب ٢٠٠٩

كتاب (الطريق الهام إلى الحق)، أعقبه العالم المشهور/ ماتشو (١٦٤٠م- ١٧١١م) فقدم للقارئ الصيني كتابه الرائع (دليل الإسلام) الذي استغرق تأليفه عشرون سنة. أما/ ليوتشى العالم المسلم (١٦٦٤م- ١٧٣٠م) فقدم للمكتبة الصينية الكتب التالية: (أركان الإسلام وأحكامه) و (حقائق التصوف في الإسلام) و (سيرة خاتم الأنبياء) والأخير أثار زوبعة فكرية في الوسط الصيني خدمت الكتاب، ويعتبر/ ليوتشى رائد وسابق في وضع مقاييس صارمة للترجمة والمتمثلة بـ (الأمانة والبلاغة والأناقة)، وقدم للمكتبة الصينية الإسلامية الشيخ / ماده شين (١٧٩٤م - ١٨٧٤م) كتبه الثلاث المتميزة وهي (خلاصة أصول الدين الأربعة) و(قانون تغيير الحياة) و(الأقوال المأثورة لتوعية الناس)، حيث كانت تدور حول القضايا المشتركة، وتهمش الخلافات، فأسهمت في فهم الإسلام وحسن التعامل معه، أما العالم الإسلامي / ماليان يوان، (١٨٤١م -١٩٠٣م) فقد قدم للمكتبة الصينية عشرون كتابا، ترجمها من اللغتين العربية والفارسية، ثم تواصلت الإصدارات المؤلف والمترجمة حتى أصبح الإسلام واضح المعالم بين الصينيين،والمعلومة عنه حاضرة، ووصل الأمر بأن الشيخ/ ماتشى شى (١٨٥٧م) اعتمد في دعوته إلى الإسلام على المؤلفات الإسلامية في اللغة الصينية فقط.

جاءت مرحلة أخرى من التلاقح الثقافي بين الحضارتين الإسلامية والصينية، وأخذت المكتبة الأدبية نصيبها من الترجمة وكذلك القواميس والكتب الفكرية، فقد قام الشيخ / وانغ جينغ تساى بترجمة (المعجم العربي الصيني) و (الإسلام والنصارى) و (القاموس العصري- عربي، صيني) وتلى ذلك صدور الكتب التالية:

١- الصين والإسلام	المؤلف / بانغ شى تشيان
٢- موجز تاريخ الإسلام في الصين	المؤلف/ باى شو يى
٣- قومية خوى غابرها وحاضرها	المؤلف/ باى شو يى
٤- تاريخ حضارة البلد الإسلامية	المؤلف/ نا تشونغ

والقائمة طويلة، ثم جاء خط آخر أسهم في نشر الإسلام وثقافته بين الصينيين إلا هو الميدان الصحفي الإسلامي في الصين (وله بحث خاص) يوازي ما سبق مسار ثالث وهو الترجمة من اللغة العربية إلى الصينية، وقد غطت مساحات كبيرة من الدين والتاريخ والأدب، ومما ترجم:

١- ألف ليلة وليلة.

٢- الإسلام.

٣- الإسلام والحضارة العربية.

٤- تاريخ مصر الحديث.

٥- فجر الإسلام، ضحى الإسلام، ظهر الإسلام..أحمد أمين.

٦- التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول.

٧- قصيدة البردة.

٨- الأيام ـ طه حسين.

٩- أشعار في المنفى ـ عبد الوهاب البياتي

١٠- تاريخ الأدب العربي ـ حنا الفاخوري

١١- تاريخ الأدب العربي المعاصر ـ شوقي ضيف

١٢- الأدب الروائي والمسرحي في مصر ـ أحمد هيكل

١٣- النبي ـ جبران خليل جبران

١٤- المجنون ـ جبران خليل جبران

وقد تمخض من كل المسارات السابقة مسار جديد هو قيام بعض علماء الإسلام المعاصرين الصينيين في تأليف الكتب باللغة العربية أو ترجمتها من اللغة الصينية، وإن كان سبقهم الشيخ/ ما ده شين (١٧٩٤م- ١٨٧٤م) فهو أول من ألف كتابا باللغة العربية في الصين[1] إلا أن هذا الجهد لم يتحول إلى ظاهرة إلا في منتصف القرن الماضي.

وأكبر مؤشر على نجاح الكتاب الإسلامي في الصين و حجم تداوله ظهور عدد من دور النشر الإسلامية في طليعتها:

١- دار الكتب والصحف الإسلامية (بكين).

٢- دار المؤمنين للكتب (تيانجين).

١) مجلة الصين اليوم يناير ٢٠٠٧م

٣- المكتبة الإسلامية الصينية (شانغهاى).

٤- دار الحضارة الإسلامية (شانغهاى).

٥- دار الفجر الإسلامية (بكين).

٦- دار الجماهير لقومية خوى للكتب.

إضافة إلى وجود(الجمعية الصينية للأدب العربي) في الصين، ومادة (الأدب العربي وتاريخه) ف ي بعض الجامعات.

البحوث والدراسات:

من الروافد المغذية للكتاب الندوات والمؤتمرات والبحوث والدراسات، ونصيب الإسلام منها في الصين يؤكد تمكنه، ويشير إلى قوة الاهتمام به، وارتباطه بالحاضر الصيني ومستقبله، ويعطى دلالة قوية على تفاعل الشعب والحكومة معه، والأمثلة كثيرة، ومنها:

- في عام ١٩٧٩م أقيمت ندوة حول (أعمال البحث الإسلامي) في (اورومتشى)، ساهمت فيه خمس مقاطعات من شمال الصين.
- عام ١٩٨٠م إلي عام ١٩٨٦م عقدت عدة ندوات محورها (الأبحاث العلمية الإسلامية) تم تغطيتها من قبل خمس مقاطعات.
- عام ١٩٨٧م أقام معهد أبحاث الأديان في بكين ندوة عن الإسلام والمسلمين في الصين بعد الحرب العالمية الثانية، من خلالها تأسس (المركز الصيني للدراسات الإسلامية).
- ما بين عامي ١٩٨٦م - ١٩٨٨م أُقيم ثلاث ندوات لدراسة الثقافة والتاريخ الإسلامي للمناطق الساحلية في جنوب شرقي الصين.
- في عام ٢٠٠١م عقد في مدينة (تشوهاي) من مقاطعة (قوانغدونغ) الندوة الثانية للبحث الإسلامي وأحياء ذكرى مرور ١٣٥٠ سنة على دخول الإسلام إلى الصين عام ٦٥١م، بإشراف (لجنة الشؤون القومية والدينية) بلغ عدد بحوثها «٢٧» بحثا، وعدد المشاركين «٦٠» فردا وكانت محاورها:

أ- تلاؤم الإسلام مع المجتمع الصيني

ب- أثر الأخلاق الإسلامية في إدارة الدولة بالقانون والأخلاق في الصين.

ج- دمج الأخلاق الإسلامية بحضارة الروح الصينية.

- في ١٢ ديسمبر عام ٢٠٠٥م عقدت الندوة الأولى لـ (الحوار بين الحضارتين الصينية والعربية في بكين)، والندوة الثانية كانت في (الرياض) ١ ديسمبر ٢٠٠٧م، وتونس احتضنت الندوة الثالثة في شهر مايو ٢٠٠٩.
- في ديسمبر عام ٢٠٠٢م تأسست (جمعية نينغشيا الإسلامية الدولية للصداقة والتنمية الاقتصادية) في مدينة ينتشوان، حضر حفل التأسيس عدد من سفراء الدول الإسلامية، وحظيت باهتمامهم، من أهدافها إنشاء المدينة الثقافة العربية الدولية، مهمتها تعزيز الصداقة بين الدول الإسلامية والصين، والتعريف بالدول الإسلامية، وإنشاء « شارع التجارة الإسلامية» وإقامة فندق عربي دولي، يلى هذه الخطوة بناء «مركز العربية الدولية» مع مسجد، وقرية تحتضن عادات وتقاليد القوميات الإسلامية، وتشير إلى امتزاج الثقافة الإسلامية بالثقافة الصينية، والخطوة الثالثة تشمل إقامة « المستشفى الإسلامي الدولي» ومدرسة اللغات الإسلامية، مع حي سكني للمسلمين، ويتم تمويل ما سبق من خمس جهات هي:

أ- الدول الإسلامية.

ب- حكومة المقاطعة.

ج- استثمارات عاصمة المقاطعة.

ح- رجال الأعمال.

هـ- القروض الوطنية.

الصحافة الإسلامية في الصين

الصحافة مؤشر على التواجد والتفاعل مع الواقع، ووجودها دليل عملي على رغبة أصحابها في التعريف بأنفسهم، وتواصلهم مع الآخرين، وأخذهم بأسباب التقنية والتطور، وثقتهم بذاتهم ومنهجهم، وقناعتهم القوية في دينهم وأن لديهم شيء يجب المحافظة عليه وعرضه، وأنه لا يقل أهمية وقوة وصدق عما لدى الآخرين، وبإمكانه أن يتفوق أو ينافس غيره أو يجد له مكانا - ما - على الأقل.

والصحافة الإسلامية في الصين تكاد تكون صورة مصغرة لآمال المسلمين وآلامهم، و تواجدهم، وظروفهم الاقتصادية، وإمكانيتهم التقنية.

وتاريخ الصحافة الإسلامية في الصين احتضن أكثر من (٢٠٠) صحيفة منذ البدايات حتى الآن، ولكن الغالب منها توقف وما بقيء إلا يسير لا يسير على ما يرام لعدة أسباب منها:

- الظروف الاقتصادية، حيث إن المسلمين يتواجدون في دائرة الفقر، وقلة قليلة وصلت إلى الطبقة الوسطى من المجتمع الصيني، على اعتبار أن الشيوعية شعار لا علاقة له بالواقع، من ناحية، ومن الزاوية الأخرى تفلت الشيوعيون من شيوعيتهم في السنوات الأخيرة.
- الأوضاع الأمنية، ويمثلها مشاعر متنافرة ما بين السلطة والمسلمين في الصين، ربما يكون الغالب منها إلى المبالغة أقرب، باستثناء معاناة المسلمين الحقيقية في تركستان الشرقية، أما المسلمون في الوسط والجنوب وغيرهما فإن الأثر الأمني عليهم أقل بكثير، أما الأجواء في هونج كونج فهي مشمسة معتدلة، ورائعة.
- المستوى التعليمي، وقد انعكس أثره على الإسلام وخاصة الصحافة فنادر من المسلمين الذين يواصلون تعليمهم في البلاد العربية ويتخصصوا في الإعلام وفروعه، وقد انعكس قلة العلم والخبرة على تواجد الصحافة الإسلامية في الصين واستمرارها.
- بُعد النشاط الصحفي عن الأولويات، فالمسلمون لديهم مشاكل متعددة تمس حقوقهم، وحرياتهم الدينية، والضعف الدعوي، وحساسيته، وبقية قاسية من دكتاتورية و شيوعية، وانشغال كل مسلم بأحواله الخاصة، وضآلة الوعي الديني، وكلها قضايا تسبق العمل الصحفي، ومن الزوايا المقلقة في الصحافة الإسلامية الصينية قيام

الياباني / ساكوما سادا - أثناء الاحتلال الياباني للصين -بالاستقرار في مدينة (شنغاي) بعد جوالات داخل الصين وفي البلاد الإسلامية وإصداره صحيفة (نور الإسلام) عام ١٩٢٣م وكتابته عدد من المقالات فيها تحت اسم مستعار / تسو تشو نج شان يحرض ضد الدولة ويتهمها بإجراءات تعسفية ضد المسلمين إلا أنه لقي معارضة من الهيئة التعليمية الإسلامية في المدينة، حيث رفضت - وبشدة - أي محاولة لتوسيع الفجوة بينها وبين الحكومة الصينية، كما أن (اتحاد المسلمين الصينيين) في بكين والذي أسسته الاستخبارات اليابانية عام ١٩٣٨ أصدر مجلة عنوانها (الإسلام[1]) من أجل خدمة أهدافها.

وواقع الصحافة الإسلامية الآن أنها في حدود ثلاثين صحيفة منها عشرون تكاد تكون رسمية وتصدر عن الجمعيات الإسلامية والبقية أهلية، ويؤكد الشيخ/ محمود يوسف لى هواين، أنه (ومنذ ولادة جمهورية الصين سنة ١٩١٢م أنشئت في الصين أكثر من سبعين مجلة إسلامية دورية على التوالي، من ذلك أن مجلة «تشينغتشن» الشهرية -ومقرها في يونان- هي الأقدم من نوعها، وكانت مجلة «نضارة الهلال» الصادرة في بكين سنة ١٩٢٨م ومجلة « نور الإسلام» من تيانجين سنة ١٩٢٩م أطول من أخواتها عمرا)[2]، كما يصدر من الصين صحيفة (الصين اليوم)، و(بناء الصين) وهما تحت أشراف الحكومة ودعمها، وباللغة العربية، وفيهما صفحات عن الإسلام والمسلمين، لا يستغني الباحث في شؤون المسلمين الصينيين عنهما.

أهم الصحف:

نور الإسلام: أسسها العلامة الشهير/ وانغ جينغ تشاى (١٨٨٠م- ١٩٤٩م) عام ١٩٢٩م في تيانجين، وكانت قوية ومؤثرة، صدر منها أكثر من مائة عدد، وتوقفت نتيجة حرب المقاومة ضد اليابان [1] [2].

٢- مجلة الفتح:

مجلة فصلية لمسلمي الصين تصدر في مدينة (لانتشو) من مقاطعة (قانسو) بدأت عام ١٩٩٢م، وبلغ عدد النسخ المطبوع للعدد الأول (١٥٠٠) نسخة، وفي عام ٢٠٠٤م وصل عدد النسخ المطبوعة (١٥) ألف نسخة، توزع مجانا، وتعتمد على التبرعات ودعم بعض الشركات،

١) الشخصيات الإسلامية البارزة في الصين، محمد يوسف لى، ص: ٧٦

٢) الشخصيات الإسلامية البارزة في الصين، محمود يوسف لى، ص: ١٠٥

كما أنها تنال مساعدات من غير المسلمين، وتقدم نشاطات ثقافية وندوات ومسابقات، وتعطي مساحات لجوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتعليمية.

٣- أخبار المسلمين:

صحيفة شهرية غير رسمية، تصدر في مدينة (لنتشو)، و تخدم جميع الطوائف الإسلامية، تأسست عام ١٩٩٩م وتوزع مجاناً، وتعتمد على التبرعات، وفي كل عدد قائمة بأسماء المتبرعين وكشف مالي بنفقات العدد، وتعتبر الصحيفة الأولى للمسلمين في الصين، يطبع منها (١٥) ألف نسخة وشعارها (هداية الناس إلى الصراط من خلال نشر الإسلام، وتعزيز الأخلاق من خلال نشر الثقافة الإسلامية، وتحسين الحياة من خلال التربية، وإبراز مهمة المسلمين من خلال النشاطات الخيرية) ومن صفحاتها الدائمة (الأدب والفن) و (رأي) و (من وراء الأخبار)، وللصحيفة دور مهم في الربط بين المسلمين الصينيين، والسعي في تفهم وتفهيم رؤية الحكومة، وتعتبر الصحيفة الإسلامية الوحيدة المنتظمة، وتواصل الصدور، وتلمس في كل عدد محاولتها في التطور.

٤- مجلة المسلم الصيني:

تصدر كل شهرين بواسطة الجمعية الإسلامية الصينية، باللغتين الصينية والإيغورية، أسسها الحاج / محمد علي تشانغ جيه (١٩١٧م -) في نهاية الثلاثينيات من القرن الماضي، وانطلقت من شمال غرب الصين.

٥- مجلة الرسالة:

ويصدرها مسجد (تشينغتشي) شاوسي في مقاطعة منغوليا، وهي مجلة قوية ومنتظمة.

كما يوجد عدد من الصحف غير المنتظمة، ومتواضعة في الإخراج والمواضيع والصفحات، ومن أهمها:

- الهضبة.
- بهاء الهلال، ونضارة الهلال (الشهرية والأسبوعية).
- الأمين.

- مجلة جمعية الدراسات الإسلامية الصينية.
- الظل.
- التوعية الإسلامية.
- أعمال الرسم والخط.
- طلاب الإسلام.
- الأصدقاء المسلمين في الصين.
- الصراط المستقيم[1].

١ تاريخ المسلمين في الصين، بدر الدين حي، ص ١٤٠ .
- المساجد في الصين، محمود يوسف، ص: ١٣٦

من قصص المسلمين في الصين

للقصص أبعاد متعددة، ومعاني كثيرة، وعبر تترى، وفيها أعماق مجتمع، وخطوط حضور، ومحور مواقف.

واستعراض أمثلة من قصص المسلمين في الصين تضيء بعض حدودهم، وتثري المعلومات عنهم، وتُبرز بعض جذورهم، وتستشرف تمددهم.

وقصص المسلمين في الصين تحمل في طياتها قوة التزامهم، ومعاني دينهم، وحجم أخلاقهم، ومساحات تضحياتهم وصبرهم، وتقديرهم لوطنهم، وقد تحول الكثير منها إلى تراث صيني أصيل، وسطور أدبية رائعة، ومنها:

١- في مسجد شارع البقر في «بكين» أحس رجال الأمن الحكومي عام ١٦٩٤م أن عدد من المسلمين يتجهون أفرادا وجماعات حينما يسدل الليل ستره إلى المسجد، ويقيمون فيه ساعة أو أكثر، ثم يعودون إليه بعد منتصف الليل، وقُبيل طلوع الشمس يتفرقوا، وظن المسؤول الأمني أن لدى هؤلاء اجتماعات سوف تنعكس آثارها على أمن الحكومة واستقرار الوطن، فرفع تقريراً شديد اللهجة يحمل توصيات قاسية ضد المسلمين، وحينما اطلع الإمبراطور / كانغ شي عليه مال إلى الحكمة، واستشار بعض وزرائه، وفضل أن يتابع الأمر بنفسه فارتدى ملابس المسلمين، وذهب عدة ليال إلى مكان الاجتماع، فأدرك أنهم في عبادة، وأنهم في شهر رمضان، وكل ما يتلقونه في لياليه المباركة إنما هو توجه إلى الله سبحانه وتعالى، وتذكير، وتعاهد فيما بينهم على لزوم التقوى وإعلان المحبة، ومساعدة الضعيف، وبر الوالدين، وإنهم بعيدون كل البعد عن الثورة والفوضى والتمرد على الإمبراطور، بل هم على نقيضه تماماً، فأصدر الحاكم / كانغ مرسومين، الأول يقول (عندما قيمت المناسك التقليدية التي يواظب عليها أبناء «خان» - القومية الصينية و « خوى» - المسلمون - وجدت أنها تنبع من التعاليم الدينية، يتولى الوزراء والموظفون من أبناء خان مناصب رسمية مختلفة، ويأخذون شهرياً الرواتب ليعبدوني في مواعيد محددة، ولكن أبناء «خوى» - المسلمون - يصلون لله خمس مرات كل يوم، بغية الخشوع لله دون أن يأخذوا شيئاً، فأرى أن أبناء « خوى» الأفضل، أوجه الآن أوامري إلى المقاطعات، فاعلموا أن من كان منكم موظفاً أو مواطناً على حدّ سواء يصف أبناء «خوى» بإثارة الفوضى والتمرد على

الإمبراطور متذرعاً بالخصومة بين هذا وذاك فاقتله أيها المسؤول عن دائرة تطبيق القانون قبل إرسال التقارير إلىّ،وليواظب أبناء «خوى» على الإسلام، ولا يعملوا خلافاً للأوامر والنواهي، ولا ينسوا فضلي عليهم منطلقاً من محبة التعاليم الدينية)[1].

أما المرسوم الثاني فهو معاقبة مسؤول الأمن في مدينة « بكين» على تقريره الذي جانب الصواب، وبالغ بالتحذير، وقال مالا يمكن أن يكون.

٢- تحمل السيرة الذاتية للسيد / شمس الدين (١٢١١م-١٢٧٩م) العديد من القصص المتميزة، نتيجة تميزه السياسي العالي في عهد أسرة يوان، ودوره الناجح في تطوير مقاطعة «يونان» سياسياً واجتماعياً واقتصادياً، وقدرته في التعبير عن إسلامه من خلال أعماله، فتحولت قصصه إلى «مدرسة مآثر» يرويها الأجداد للأحفاد من أجل أن يربوا أبنائهم على أضوائها، لعلهم يقتدون به، ويلتزمون نهجه.

كان السيد / شمس الدين يحب العمل والإخلاص فيه، ويستهجن المبالغة في الاهتمام بالأموال والأملاك، ويكره الفوضى والفساد، ويميل إلى التأني والحكمة، وسبر القضايا، ومن قصصه:

أ- في السنة الأولى من تولي السيد / شمس الدين إدارة مقاطعة «يونان» انشق المسؤول في مدينة «لوبان» عن إدارته، فذهب إليه مع جيش قوي لمعالجة التمرد وحينما وصلوا إلى حدود المدينة طلب الجيش من / شمس الدين أن يشنوا الحرب، ويدخلوا المدينة عنوة، إلا أنه رفض، وطلب من جيشه التريث، وأرسل وفداً إلى المدينة لمفاوضة المتمردين، ولكن بعض جنوده فقد الصبر وفضل الهجوم، وتقدم قليلاً فمنعهم/شمس الدين، وعاقبهم، وقال لهم (أتيت إلى «يونان» بناء على أمر الإمبراطور لإدارتها لا للتقتيل) ولما وصل هذا الخبر إلى داخل المدينة، استسلمت له، ولم يمضي إلا جزء من العام الثاني لحكمه إلا وتحت إدارته (٨٠) مركزاً، تضم (٤٠٠) ألف عائلة في جنوب مقاطعته.

ب- ذهب مجموعة من موظفي مقاطعته المحليين إلى العاصمة يشتكون/ شمس الدين على الإمبراطور /قوبلاي، زاعمين طغيانه واستبداده، فما كان منه-لمعرفته بشمس الدين- إلا أن أمر بتكبيلهم وإعادتهم بالأغلال إليه كي يعاقبهم بالطريقة التي يريدها جزاء احتجاجهم الكاذب، وحينما وصلوا إليه أمر بفك قيودهم، واستقبلهم بحفاوة، وأكرمهم، وقال

لهم شمس الدين (إنكم جاهلون بمهمتي التي وضعها الإمبراطور على عاتقي، لذا لن أعاقبكم بل أوليكم المناصب كي تُؤدوا خدماتكم بإخلاص، فداء لجرائمكم[1])، فتأثروا من صبره عليهم، ولطفه بهم، وحسن ظنه فيهم.

ج- حينما صدر قرار الإمبراطور بتولية / شمس الدين حكم مقاطعة «يونان» توجه إليها، فأحس قائد الجيش فيها الأمير/تسونغ توهولو بالخطر على سلطته، فقام بتهيئة الجيش، والاستعداد للمواجهة، ولكن / شمس الدين - حينما علم بتصرفه - أرسل إليه رسولاً يخبره بأن (الإمبراطور هو الذي أمر بذلك، والرجاء من سيادة الأمير إرسال مبعوثين لمشاركتي في مناقشة قضايا المنطقة) وبعد يوم واحد أرسل الأمير رسولاً يثق به، فاستقبله / شمس الدين، وولاه منصباً عالياً، فأحس الأمير / تسونغ بالاطمئنان، وأدرك أن خوفه لم يكن في محله، وصرح قائلاً (إن أقوال السيد / شمس الدين تعبر عن إخلاصه التام للإمبراطور، وحبه للشعب، وتدل على أنه شخص يجمع بين الأخلاق والكفاءة، ولقد كدت أخطئ في التعامل معه بتأثير من الحاشية)[1].

٣- ومن أيام المسلمين الصينيين المؤلمة ما حدث في (سينينغ) عاصمة ولاية (نينيشيا) شمال غرب الصين، حيث تفتت المجتمع المسلم فيها إلى فريقين متقاتلين، ومحور صراعهما (قضية فقهية فرعية) موضوعها: قراءة القرآن بصوت خفي أو مسموع، وأصل الخلاف مجيء الشيخ / محمد أمين من مدن مزدهرة بالعلم والمعارف في آسيا الوسطي فرجح القراءة الجهرية، ودعا إليها، فتحولت إلى ظاهرة جديدة مقبولة عند فئة، وأخرى رأت القراءة الخفية، بين الإنسان ونفسه، وأن الجهر بالقراءة خطوة من خطوات خلخلة الإسلام، والقضية من هذا المنظار تستحق الشهادة، فتحول الخلاف إلى اختلاف، ثم إلى جدل حار، فاستيقظ الاضطراب وحرك الاصطدام، فانعكس على الأمن، فجاءت الدولة بجيشها من أجل إخماد الثورة عام ١٧٨١م. في البداية ظهرت اشتباكات خفيفة من أطراف تعاني من تضخم في الإيمان ونقص في العلم، فرفعت القضية إلى قاضي المدينة، وحينما همَ مع رجاله بإلقاء القبض على المخطئين تعرض لكمين، فاضطر الحاكم العام للولاية إلى اعتقال الشيخ / محمد أمين، فحاصر أتباعه المراكز المهمة في المدينة، فخشي الحاكم من سقوط الحكومة فطلب من الشيخ أن يهدئ جماهيره من خلال شرفة قصر الحكم مساءً، ويخبرهم أنه سيعود إليهم قريباً، فرجع مؤيدوه إلى بيوتهم إلا أن رجال الحكومة لم يفوا بعهدهم، وقتلوا الشيخ قُبيل الفجر، فتواصلت حلقات الأخطاء، وتراكمت، حتى عجز أهل العقول عن فك

١) الشخصيات الإسلامية البارزة في الصين، محمود يوسف لي ص:١٥٦

عُقدها، فجاءت قوات الحكومة العليا ـ منشوريا ـ فحاصرت دعاة القراءة الجهرية، إلا أنهم رفضوا الاستسلام، وفضلوا الموت فمات بعضهم والبعض الآخر ألقى نفسه في النار المحيطة بالمسجد معتقدا أن ذلك أفضل له من الوقوع في يد السلطة، ثم واصلت الحكومة خطواتها في القضاء على أعضاء القراءة الجهرية والمؤيدين لها والساكتين على توجهاتها حتى تحولت العمليات العسكرية إلى إبادة للمسلمين، وجنى القائد المنشوري الجنرال / لي تزي يسو ثمار هذا الخلاف الفقهي، وأزهق أرواح آلاف المسلمين البريئة من النساء والأطفال بعد الرجال[1].

٤- ومن قصص طلبة العلم في الصين، يصف الشيخ / وانغ جينغ تشاي (١٨٧١م- ١٩٤٩م) غُرف الطلاب في مقالة بعنوان «٥٠ سنة في الدراسة» قائلاً (كانت حجرات الطلاب هناك محرومة من أي جهاز تدفئة، وحتى في أشد مراحل الشتاء برودة، أما أنا فلم يكن لدي سوى لحاف ومفرش، وغالباً أرتجف آناء الليل من شدة البرد، أما الفجر فالجو شديد البرودة، حتى المياه لا تلبث أن تتجمد فور صبها على الأرض، وكان لا يسمح لنا بإشعال النار بحزمة من الهشيم إلا إذا بلغ البرد ذروته، وكان القرويون يقدمون إلينا على التناوب وجبتين من الطعام كل يوم، شريطة أن يذهب خادم المسجد من بيت إلى آخر حاملاً معه سلة وجرة لجمع الأطعمة المكونة من دقيق الذرة والحنطة، وهي لا تبلع إلا على مضض، وفي بعض الأحيان كانت الوجبة الأولى لكل فرد بسيطة، ولا تتجاوز فنجانين من الحساء، وخالية حتى من الخبز، وكلما انتهت من تناول الطعام عدت إلى غرفتي منفرداً للقراءة، ولمواجهة البرد القارس، وقد اهتديت في آخر الأمر إلى طريقة للاستدفاء وذلك بإدخال قدمي في القش)[2].

٥- ومن قصصهم المتميزة، أنه حينما اقتحمت قوات الأعداء مدينة (آنتشينغ)، ووصل المقاتلون إلى مسجدها (مسجد نانقوان) كان المسلمون يؤدون الصلاة، فأخذ الأعداء يقتلونهم واحدا بعد واحد، بداية من الصف الأخير حتى وصلوا إلى الإمام، ومن العجائب أنه لم يترك مسلما واحدا صلاته أو يتحرك أو يلتفت.

٦- أخذ السياسي المسلم / هاي روي (١٥١٥م- ١٥٨٧م) مساحات كبيرة من حب الشعب الصيني وتقديره بسبب موقفه الحازم ضد الطغاة، وإيمانه القوي بالعفة والعدل والسلوك الفاضل، ومحبته للشعب، فخفف الضرائب وألغى أعمال السخرة، وحارب فئة الأغنياء

---

١) تعرف بـ (تشنج - تو) كانت تصدر عام ١٩٣٣م في بكين .

٢) المسلمون في الصين، مجلة بناء الصين ، ص٩٥

الفاسدين، ومن مواقفه الحازمة أنه حينما وصل إلى «بكين» من أجل استلام عمله الجديد في وزارة الشؤون المدنية سمع وشاهد طغيان الإمبراطور، وفوضى الحاشية، وتفسخ الأعوان والأعيان فقدم مذكرة عام ١٥٦٦م يستنكر فيها سلوكيات الإمبراطور، وسعيه اللا محدود في بناء القصور، والبحث عن أكسير الحياة، وإهماله للشعب، وغفلته عن الوطن، وإهانته للأنظمة، وإضاعته للأمن، وغفلته عن العدل، حيث أصبح التوظيف يأتي حسب الولاء والخضوع لا القدرة والكفاءة والعلم، وجاء نقده للإمبراطور والنظام السائد مؤثراً ومباشراً، وتكلم بلسان الشعب فأصدر حكما الإمبراطور بإعدامه، خاصة أنه من النوادر أن يتعرض إمبراطور صيني لمثل هذا النقد القاسي، ولم يحول بينه وبين الموت إلا وفاة الإمبراطور فأصدر رئيس الوزراء / شيوجيه، عفواً عنه، ولكن السياسي الوطني المسلم / هاي روي، لم يغض الطرف عمن عفا عنه حينما أخذ بممارسة الفساد، واغتصب حقول الفلاحين، وخطف بناتهم، بل أمره برد المزارع إلى أصحابها، وإطلاق حرية البنات المحتجزات، ساعده شهرته بالعدل والنزاهة، وحياة الزهد، وصدوده عن المال والجاه، بل إن ورثته لم يجدوا المال الكافي لتغطية نفقات جنازته، حينما توفي مريضاً عام ١٥٨٧م.

٧- أراد الشيوعيون في الصين عام ١٩٦٠م توحيد تقاليد الشعب وعاداته، ووضعها في قالب واحد دون مراعاة للدين والثقافة، ففرضوا عليهم حفل زواج واحد، وطقوس وفاة واحدة، ورتبوا أمور الماء والمشرب والملبس والسكن حسب أيديولوجية الحزب، وكبت الشعب كله تحت مظلة عقيدة واحدة، ومن يخالف يحال إلى هيئة تأديبية تعاقبه على تميزه، وخروجه على روح الأمة المتحدة، وامتدت إجراءات (الإصلاح الموحد بين جميع طبقات الشعب وأفراده) إلى عبادات الناس بأنواعها على اعتبار أنها ضد عملية الإصلاح، وقد سبق هذا دعاوى شيوعية تزعم أن الصلاة تضييع للوقت، والصيام يؤثر على الإنتاج، والزكاة تساعد على الاتكالية.

وفي يناير عان ١٩٥٩م صدرت تعليمات القيادة الشيوعية العليا للمسلمين بالتوجيهات التالية:

١- على المسلمين أن يتركوا الالتزامات الدينية في الزواج، من أجل تيسير الاندماج مع غير المسلمين كخطوة مهمة في بناء جيل جديد، بعيدا عن العادات والتقاليد من أجل اكتمال الدولة الشيوعية.

٢- يجب على كل مسلم أن يتدرج في أكل لحوم الخنزير لكي تتم عملية التعايش مع غيرهم، وينمو التفاهم والتقارب الاجتماعي.

٣- على جميع المسلمين أن لا يستعملوا القماش الأبيض في تكفين موتاهم لما في ذلك من توفير الملابس للأحياء.

وأمام كل الضغوط وأنواعها وألوانها عاش الكثير من المسلمين في الصين أياما مؤلمة وقد عضوا على دينهم بالنواجذ، وتمسكوا به كالقابض بيده على الجمر، فكان في كل بيت قصة وموقف تمخض عنه خروج الدين قويا مؤثرا، تسعى حكومة الصين -اليوم- في توظيفه لخدمة مسيرتها الاقتصادية والثقافية والأمنية.

٨- ومن قصص المسلمين في الصين معاناتهم في مدينة «ينغكو» عام ١٩٨١م من الناحية الاقتصادية، وعجزهم في إعادة بناء مسجدهم، فاجتمعوا وتدارسوا المشكلة، وحاصروها في ثلاث حلول:

الأول - طلب إعانة مالية من حكومة المنطقة.

الثاني - التوجه إلى جمع التبرعات من المسلمين في المدينة.

الثالث - وضع أنشطة تجارية يتم بناء المسجد من أرباحها.

وبعد مداولات ومناقشات اختاروا الحل الثالث، وجمعوا مبلغاً أنشأوا فيه «مجزرة» لبيع اللحم الحلال، وبعد ذلك أقاموا مصنعاً للأطعمة، ومعمل صويا، وبلغت مبيعاتها عام ١٩٨٥م مليونا وتسعمائة وستين ألف «يوان» -العملة الصينية، واستطاعوا تجديد المسجد، وتأمين نفقاته، واشتروا أرضاً لتكون مقبرة، وخصصوا مبلغاً من الأرباح لمساعدة المساكين واليتامى والأيامى والمحتاجين[١].

أمثلة مختزلة من قصص المسلمين الواقعية في الصين تعبر عن همتهم وهمومهم، وحضورهم ونجاحاتهم، ومحبتهم لدينهم ووطنهم، يوازيها نجاحات في ميدان الأدب، عبر عنها الشاعر/ سعد الله تيان شي (١٢٧٢م - ١٣٤٨م) بفضح جرائم المجتمع الظالم، ومساوئ رجال البلاط في تنازعهم على السلطة، وتنبيه المتسلطين والأباطرة الطغاة من مصير أمثالهم[٢] وقصص نجاحات في ميدان الرسم أبرزها ما حققه المسلم الصيني / قاوكه قونغ (١٢٤٨م - ١٣١٠م)، والمسرح الذي رفع رايته المسلم/ ماليان ليانغ.

---

١) المسلمون في الصين، مجلة بناء الصين ، ص١١٥

٢) الشخصيات الإسلامية البارزة، محمود يوسف لي ، ص٧

إن اندماج المسلمين في الصين جميل وقوي ومتميز، ويرى / تناكا إيبيه أن أسلوبهم في الصين (أسلوب خاص بهم رغم أنهم يعيشون بين جنس (الخان)، فهم يحتفظون بأسلوب حياتهم دون أن يتخلوا عن أي شيء، وهذا يعني أن إيمانهم عميق لا يتغير، ورغم محاولة الجنس الأبيض تحويلهم إلى النصرانية، لكن أحدا لم يتحول على الإطلاق من الإسلام إلى النصرانية)[1] فخصائصهم المستقاة من الإسلام والمتمثلة في الاعتراف بالآخر، وقبول الاختلاف، والرضا بالتعدد، والرغبة في التعارف والتسامح، والالتزام بالصدق والأمانة، وإبداء البشاشة والعطف، وكون الإسلام لكل الناس في كل مكان وزمان، وأنه منهج متكامل للفرد والأسرة والمجتمع، كل تلك الصفات ـ وغيرها ـ حفظتهم وفعلتهم، ولما في الصين من معالم ومكونات وبيئة أسهمت في الاندماج مع التميز، منها:

١- مكونات المجتمعات الصينية القديمة، المنطلقة من أنه شعب زراعي، ينتظر من السماء الماء ومن الأرض العطاء، ومن روح الأجداد البركة، ويجمع ما بين القصيدة والصورة والفن والعبادة.

٢- حكام الصين وما عُرف عنهم من حكمة وعقل وحسن تعامل مع رعيتهم، ومع من يحل بأرضهم، واشمئزازهم ـ في الغالب ـ من ممارسة الاضطهاد الديني، أو تقييم شعوبهم من خلاله.

٣- البنية الدينية الصينية والمتمثلة في عبادة المخلوقات الطبيعية والسماء والأرواح الخفية، وروح الأسلاف حتى اكتشفوا الكونفوشوسية والطاوية، واستقبلوا ـ بأريحية ـ المانوية والبوذية، وكلها تحمل الكثير من التسامح والإحسان، وكبح الشهوة، وتحقيق الاتزان وقبول المخالف والمختلف.

---

١) تاريخ المسلمين في الصين بدر لاين

من مظاهر الإسلام في الصين

الإسلام ليس كالأديان الأخرى يعيش في زاوية، ويهتم بقضية أو عدة قضايا هامشية، إنه دين الحياة المستمرة، يتلمس الحاجات ويقدر ويفعل الإمكانيات، وينظم الغرائز، ويهتم بالحيوان والنبات والبيئة، ويتواجد في كل لحظة وشبر، وله أحكام ومواقف في كل واردة وشاردة وثابتة، الإسلام قدم حقوق وأنظمة ولوائح لغير المسلمين في الدول الإسلامية، وللمسلمين في الدول غير الإسلامية، واحترم الحضارات الأخرى، و متعلقاتها من أديان وثقافة وتقاليد ولغة وتراث وآثار، ودعا إلى حرية الاعتقاد ووجوب العدل من الجميع للجميع، وأكد على أن الاختلاف هو الأصل، والتعارف والحوار هو الحل، والهداية من الله فقط.

الإسلام بخصائصه تلك - وغيرها- لا يمكن أن يمر مرور الكرام في بقعة صغيرة أو برهة يسيرة دون أن يترك أثراً أو يغرس مظهرا من مظاهره التي لا تحصى، فكيف إذا استقر وتجاوز في هذا المكان أو ذاك أكثر من ألف سنة؟.

إن مظاهر الإسلام وتواجد المسلمين في الصين متعددة وممتدة، يعبر عنها المساجد والمدارس والأحياء، والآثار والأسماء والمواقف، والقصص والملابس والأطعمة، وتظهر في كل الأصعدة والميادين، واستعراض أمثلة مختزلة من دائرتين:

١- الميدان الرسمي.

٢- الميدان الشعبي.

لعلها تشير وتؤيد، وتفتح الدروب للتقصي والاستدراك من قبل أقلام أخرى، فعلى الرغم من أن معالم الإسلام العملية ظاهرة كالصلاة والزواج ودفن الموتى، وصفات طعامهم وملابسهم يراها كل صيني، إلا أنهم لم ينفصلوا عن بيئتهم ووطنهم، بل أسهموا في بنائه، وتركيبته، وثقافته، والتقوا مع الكونفوشسيين في الكثير من قيمهم، ودعموها بإجابات إسلامية رائعة، وامتزجوا بالمجتمع بدون تنازلات وقع فيها غيرهم.

١- الميدان الرسمي:

حفل الميدان الرسمي الصيني بمظاهر الإسلام وعطاء المسلمين منذ مئات السنين، وظهرت مواقفه وأثره، وتجاوز الهامشية والضعف و التردد والتخاذل، وأصبح اسما حاضراً متميزا

في المنعطفات والمفاصل المهمة، وعنوانا بارزا في الثورات والحقوق والعدل، ومن الأمثلة الحية:

- في عام ١٣٩٢م صدر الأمر الإمبراطوري التالي (لقد تقرر مكافأة كل أسرة من المسلمين بخمسين سبيكة من الفضة ومائة حزمة من الحرير، وإيوائهم في مكانين، وبناء مسجد لهم، يكون أحدهما في شارع «سانشان»، بمدينة «نانجينغ، والآخر في زقاق « تسيوو» بمحافظة « تشانآن»، ويجوز لهم بنائهما إذا تهدما، ولا يسمح لأحد بالوقوف في وجه هذا الأمر)[1].

- في عام ١٨٥٣م قام عشرات الآلاف من المسلمين بقيادة/ يانغ شنغ شيانغ بالثورة ضد الإمبراطور، منطلقة من مسجد «تونغشين» مما أدى إلى تدميره حينما دخلت قوات الحكومة المدينة عام ١٨٦٥م، وتعتبر مقاومة المسلمين للظلمة ورفض الكبت والفساد في الصين ظاهرة ملموسة لدى المجتمع الصيني، في طياتها الكثير من البطولات الخارقة، والتضحيات الرائعة.

- كان نائب قائد قوات الجناح اليساري الجنرال المسلم/ تشن يوو قد تولى منطقة «هوقوانغ» عام ١٤٥٧م وقام ببناء مسجد «دونغسى» عام ١٤٤٧م.

- يعتبر السيد المسلم/ شمس الدين عمر (١٢١١م - ١٣٦٨م) من أشهر الساسة في أسرة «يوان»، وقد تولى مقاطعة «يونان» الحدودية الخطرة، فنشر الأمن فيها وأمن الحدود، وخدم الإسلام والمسلمين، ومن وظائفه قبل ذلك:

  أ- حارس الإمبراطور جنكيزخان.

  ب- مشرف على الشؤون المدينة والعسكرية في «بكين».

  ج- تولى وكيل رئيس الوزراء عام ١٢٦١م.

  د- إشرافه على شؤون الدولة المالية.

- ومن مؤشرات تأثير المسلمين وعددهم، وحضورهم وإمكانياتهم ما قام به الإمبراطور/ تاي تسو عام ١٣٦٨م من إجراءات تحد من نمو الإسلام، وتدمج المسلمين في المجتمع الصيني خوفا على استقرار حكمه، والمتمثلة بـ:

---

١) المساجد في الصين، محمود يوسف لي، ص١٢٥

١- حظر لغة المسلمين، وإلزامهم باللغة الصينية.

٢- منعهم من لبس ملابسهم المعبرة عن دينهم.

٣- إلزامهم بأن يسموا أنفسهم وأبنائهم بأسماء صينية.

ثم جاء قرار آخر عام ١٣٩٢م يلزم (المغول وأبناء الأقليات القومية بشمال وغرب الصين، والمناطق الغربية بالتزاوج من قومية (خان)، وكان هذا الحظر تجسيداً ملموسا لسياسة الانصهار القومي)[1] ولكن المسلمين استطاعوا تجاوز هذا الاضطهاد بقبول حظر اللغة والملابس والأسماء ظاهرياً، إلا أنهم لم ينفذوا قرار (الزواج)، وقد أداروا المشكلة بحكمة، ووافقوا على الممكن، وغضت الحكومة طرفها عن الباقي، واستفاد الإسلام من حظر لغته بدخوله إلى المجتمع الصيني باللغة الصينية، وتم تدريس الإسلام بها، أما بالنسبة للأسماء فقد بقيت آثارها إلى يومنا هذا، وأصبح المسلمون يحملون اسمين، الاسم الصيني، وآخر إسلامي، ويُستثنى من هذه الحالة سكان تركستان الشرقية(شينجيانغ)نظراً لبعدهم عن سلطة الدولة، فلا يزالون أصحاب أسماء إسلامية، ويحملون اسماً واحداً،وهذه الحالة تذكرنا بمعاناة المسلمين في اسبانيا أيام إضطهادهم.

- السيد / دو ون شيو (١٨٢٧م - ١٨٧٢م) قائد انتفاضة "قومية خوى" المسلمة، وداعية عدل، وقف بحزم أمام طغيان حكومة أسرة تشينغ حينما صعدت سلوكها الإجرامي ضد المسلمين، وانتقلت من شعار " كبح خوى" و"إبعاد خوى" إلى "إبادة خوى"، قام السيد / دو ون شيو بالخطوات التدريجية، رفع دعوى إلى حاكم المقاطعة فلم تجدي، ثم ذهب إلى العاصمة - بكين - عام ١٨٤٧م فقدم الشكوى إلى السلطة العليا فلم تجد أذن صاغية، فقرر الانتفاضة وأسس مؤسسة سرية تحت عنوان (دار الإخلاص والعدالة) ثم تحالف مع (منظمة النصر الدائم)، وقابل هذه الأعمال خطوات ظالمة من الحكومة والمتمثلة في فرض ضرائب كبيرة، وقتل الأبرياء، فاندفعوا أبناء قومية خوى إلى التكاتف، واجتمع الصفوة منهم وعينوا السيد / دو ون شيو قائدا لهم، وأعلنوا استقلال منطقتهم وقيام سلطة دالى، وشعارها (إنقاذ عامة الشعب ومعاقبة الظالمين) وتحالفت مع قومية (خوى) شرائح من قومية "خان"، وقامت بإصلاحات بنائه، منها:

١) المساجد في الصين ، محمود يوسف لي، ص٨٠

أ- تنمية الإنتاج الزراعي.

ب- المحافظة على الواردات والنفقات فيما يخدم الشعب، وحماية حقوق التجار والوافدين.

جـ- إصلاح النظام المالي، وتفعيل الحرف اليدوية.

د- تنظيم وإصلاح وحماية الطرق بين المنطقة وما حولها من مناطق.

و- تقدير علماء الإسلام ورفع مكانة الأئمة.

وقد تطورت المنطقة رغم ضغوط السلطة العليا وحروبها المتواصلة، وتم بناء العديد من المساجد، وتنمية التعليم الإسلامي، وكتابة القرآن الكريم على ألواح خشبية منقوشة، ولا يزال بعض النسخ موجودة حتى الآن، ورغم خطوات الإصلاح والعدل إلا أن حكومة "والي المسلمة" لم تتجاوز من عمرها "١٨" سنة[1].

فالمسلمون شاركوا في النضال من أجل الوطن والمواطن، وكانت جهودهم ملموسة ودورهم ظاهر في تأسيس « أسرة مينغ »، وثورة الفلاحين في نهاية عهد «أسرة يوان» ومقاومة الاستعمار الياباني.

- ومن مظاهر الإسلام في الصين، ثورات المسلمين المعاصرة في وجه النظام الشيوعي، فقد تعددت، وتنوعت، ومنها:

١- ثورة الجنرال / حسين مايوقان عام ١٩٤٩م.

٢- ثورة التبت.

٣- ثورة الجوعى.

٤- ثورة حسين عمر باتو.

ولم يكن بعد القضاء على (الثورة الثقافية) ثورات تذكر، ويعود ذلك للأسباب التالية:

أ- ما حصلت عليه الأقليات من حقوق.

ب- الانفتاح، والإصلاح، ومقدمات للحريات.

١) الشخصيات الإسلامية ، ص٢٠

ج- منح الحكم الذاتي لبعض المناطق والولايات والمحافظات.

- جنى المسلمون من الانفتاح الصيني الكثير من حقوقهم، وأخذت أسهمهم بالارتفاع منذ نهاية « الثورة الثقافية » والقضاء عليها عام ١٩٧٦م، ومن الفوائد:

أ- عودة الكثير من مساجدهم إليهم.

ب- السماح لهم بالحج.

جـ- وصول المساعدات الخارجية لمشاريعهم.

د- إمكانية طباعة واستقدام الكتب الدينية.

هـ- دعم الحكومة الصينية في بناء وترميم مساجدهم ومدارسهم.

وقد عُرفت هذه المرحلة بـ «عصر التسامح الديني»، وجنت الحكومة الصينية ثمار كثيرة من سياسة الانفتاح، في قمتها نموها لاقتصادي العجيب، ويمكن إجمالها فيما يلي:

١- أصبح المسلمون الصينيون همزة وصل بين حكومة الصين والعالم الإسلامي.

٢- حدت من حجم التحدي والضجر والمعارضة داخل الصين.

٣- ظهور الصين بمظهر الدولة الحديثة والمهتمة بحقوق الأقليات وبمواطنيها.

وفي ظل النظام الشيوعي والحكومات المتتالية تم افتتاح الكثير من المساجد والمنظمات والمدارس ومن ذلك (الجمعية الإسلامية) في بكين، ولجنة (تعزيز الثقافة الإسلامية) في لنتشو، واستقبال الوفود من الهيئات والمنظمات الإسلامية العالمية كرابطة العالم الإسلامي، والهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم، والندوة العالمية للشباب الإسلامي، إضافة إلى قيام الصين باستضافة العديد من الندوات والمؤتمرات الإسلامية، وحضور ما يقابلها خارج الصين كندوة «العلاقات العربية الصينية».

اهتمام الحكومة الصينية بالشؤون الدينية للأقليات، يعبر عنه قانون تنظم الأنشطة الدينية رقم ٤٢٦ وتاريخ ٧ يوليو ٢٠٠٤م، وقد سرى مفعوله من بداية شهر مارس عام ٢٠٠٥م و ينص على «حماية الحريات الدينية» وعدم التدخل بشؤون أصحاب الأديان ومعتقداتهم وأنشطتهم، وحفظ الرموز والمرافق والآثار الدينية، ووجود جهات رسمية تشرف وتحمي وتنظم

وتحافظ على مؤسسات الأنشطة الدينية، وعطاء العاملين فيها وهي:

أ- وزارة الأقليات القومية.

ب- مكتب الشؤون الدينية (تابع للمجلس الوزراء).

جـ- الجمعية الإسلامية الصينية.

إن الثورة (الماوية) - ماوتسي تونغ - عام ١٩٤٩م أنقذت المسلمين - رغم قسوتها - من معاناة اجتاحتهم في بعض الفترات، حيث كان عيد الأضحى (عيد الذل) وعيد الفطر (عيد الدموع) إلا أن انضمامهم للثورة، ومشاركتهم في المسيرة الكبرى، وتضحيتهم، جعلتهم في دائرة التقدير والاحترام، ودفعت زعيم الثورة / ماو لقول (من المستحيل أن نحقق رسالتنا إذا لم نكسب المسلمين إلى جانبنا، ونضمهم إلى جبهتنا) ووعدهم بإقامة حكومة مستقلة، وإلغاء الضرائب والديون والفوائد القديمة، وحماية عقيدتهم وثقافتهم وتراثهم، ومنع تجنيدهم الإجباري، وأمر جنوده أن لا يدخلوا مسجداً، أو بيت مسلم بدون إذن، أو ينظروا إلى نسائهم، أو يلزموهم بالتبرعات أو يصادروا أموالهم، وكل ذلك جاء نتيجة بلائهم المتميز في مقاومة الاستعمار الياباني، وموقفهم الرائع من الثورة الماوية، ولاشك أن أثر جهودهم الكبيرة ملموسة من كل الصينيين، ولا يشوه صورتهم - فيما بعد - تشويه السلطة، وتهم، وتجاوزات أمنية حكومية طالت الجميع من أجل الحزب.

٢- الميدان الشعبي:

معالم حضور الإسلام والمسلمين في المجتمع الصيني كثيرة وظاهرة، وقد تخللت الغالب من الميادين والزوايا إن لم يكن كلها، وأصبح للمسلمين أماكن ومواسم وأسماء ومطاعم وملابس ومصطلحات ومدارس وصحف ومسابقات ومؤتمرات وضيوف ووفود ومشاريع، بل ومدن تحتضن التاجر والسائح العربي والمسلم، وتنتشر فيها لوحات باللغة العربية، ومن يأتي إليها لا يحتاج إلى اللغة الصينية أو الانجليزية أو مترجم إلا نادرا، ويمثل هذه المدن مدينة (يوو) وهي على بعد (٣٠٠) كم جنوبا من شنغهاي، ومن أمثلة الحضور ما يلي:

- الوجود المشرف للإسلام في اللغة الصينية، فقد حمل الإسلام أسماء وصفات من اللغة الصينية تدل على احترامهم وتقديرهم ومعرفتهم به كـ (دين تيا نفا نغ - المقدس) و (دين جينغ - الصفاء) و (دين تشينغ - النقاء) و (دين تشن - الحق).

- اللغة العربية باب العلوم الإسلامية، وتمكنها في الصين له جذوره القديمة، وتواجدها المعاصر انطلق مع بداية حروبها ضد الاستعمار الياباني، ورغبتها المهمة في توصيل قضيتها إلى العالم العربي، وتوجهاتها في مدّ الجسور معهم، فكانت الوفود العلمية إلى مصر، بعدها احتضنت كليات اللغات الصينية نقطة الانطلاق من الداخل، وكانت البداية في جامعة (بكين) عام ١٩٤٦م، تلتها جامعة (نانجين) عام ١٩٤٧م ثم انتشرت الكليات والمعاهد المتخصصة في تعليم اللغة العربية فوصلت إلى منطقة نينغشيا وتأسست فيها (كلية اللغة العربية) عام ١٩٨٥م وتخرج منها حتى عام ٢٠٠٨م ما يقارب من (٢٠٠٠) طالب، وإلى مقاطعة يوننا، حيث يوجد في مدينة (بكايوان) المعهد العالي للغة العربية المؤسس عام ١٩٧٩م، وفيه (١٦) أستاذا، وجمع (بين تدريس اللغة العربية وعلوم الإسلام، وبين خلاصة تعليم المسجد التقليدي ونظام التعليم الحديث)، وقد كان للمدارس المتوسطة والمساجد دورهم في نشر اللغة العربية وتعليمها، كما أن الانفتاح الصيني أسهم في الإقبال عليها على اعتبار أنها مطلوبة في الميدان التجاري والسياسي، وعانت اللغة العربية في الصين - في البدايات- من قلة المدرسين وانعدام أو ضعف المناهج والمقررات وغياب القواميس إلا إن الهمة والصبر ذللت كل العقبات فأصبحت اللغة العربية - الآن- تعيش أفضل مراحل حياتها في الصين، وأصبح الصيني الناطق باللغة العربية يجد العمل الجيد، والطريق المفتوح لمواصلة دراسته.

ودخلت اللغة العربية في المدارس المهنية كما هو الحال في مدرسة (تيانجين) التي تأسست عام ١٩٩٦م وحصلت عام ٢٠٠٤م على شهادة المدرسة الهامة على المستوى الوطني ويدرس فيها ما يقارب من (١٧٠٠) طالب.

ويوازى الاهتمام باللغة العربية الحضور الرائع للخط العربي منذ زمن، حيث يراه المتابع مستقلا ومتخلخلا في نقوش وزخارف مساجد الصين وبيوت المسلمين ومقابرهم ولوحات مطاعمهم، ومؤثرا ومتأثرا بما حوله من خطوط، و قد مرّ بمراحل اندماجية طويلة الأجل مع فن الخط والرسم الصيني فتمكن من التجذر والإبداع، وأخذ مساحات من الإعجاب والتوثيق، وأخذ أبعاد زخرفية ونحتية وتشكيلية حتى أصبح من فروع الفنون الصينية واندمج مع بعض خصائصها، و (تحول إلى فن خط عربي صيني فريد، وأصبح جزءاً من الحضارة الصينية العربية)[1] وتضرر- أيضا- من الثورة الثقافية أسوة بغيره، على اعتبار أنه من (حثالة التاريخ) ولكن أهميته برزت، وأصبح له هواة ومؤيدين وطلاب، برز من الخطاطين الخطاط الصيني / يوسف تشن جين

١) تناكا إيبيه رائد الدراسات الإسلامية. ص ٦٤

هوى (١٩٣٨م) مدير مكتبة معهد العلوم الإسلامية، وعضو الرابطة الصينية للخطاطين، ويؤكد (أن الخط العربي جزء من حياته، وأشعر بفرحة ومتعة في التمرن على الخط العربي، وإذا أمسكت الريشة أنسى الوقت)[١]، وقد شارك في العديد من معارض الخطوط في الصين وخارجها، ونال الجائزة الأولى في مسابقة الخط العربي في باكستان عام ١٩٩٩م.

والخطاط/ حاجى نور الدين، حيث تصل أعماله الفنية إلى (٢٠٠) لوحة، ويرى (أن الجمع بين الخط العربي والشكل الصيني رغم صعوبته نمط سائد منذ دخول الإسلام إلى الصين قبل ١٣٠٠ عام، بسبب التأثير المتبادل بين الثقافتين)[٢].

وقد استفاد الخط العربي من البيئة الصينية، ونال خصائص مهمة، منها:

أ- ظهور خط متميز يجمع ما بين الخطين العربي والصيني أسوة بالخط العربي الفارسي والمغربي.

ب- دخول الخط العربي في النحت الطوبي الصيني.

جـ- قدمت الصين للخط العربي أداة كتابة جديدة مصنوعة من القش تُعطى أشكالا خاصة للحرف العربي.

وتوج الصينيون الخط العربي بالعديد من المسابقات المعارض كـ (المعرض الوطني الأول لفن الخط العربي) في «المناطق ذاتية الحكم» عام ١٩٨٥م، وحضوره القوي في (الدورة الثانية للمعرض الثقافي للأقليات القومية الصينية) في بكين عام ١٩٩٢م، و (المعرض الوطني لفن الخط العربي) في "لانتشو" في مقاطعة "قانسو" عام ٢٠٠٠م، إضافة إلى معارض خارجية للخطاطين المسلمين الصينيين، ودخل الخط العربي كمادة تعليمية في معهد العلوم الإسلامية عام ١٩٩٠م، وانتقل إلى معاهد أخرى، ويلي ذلك الحضور البارز للرسامين المسلمين الصينيين، ودورهم في إظهار دور الفن في الدين، وأثر الدين على الفن، ومن المتميزين فيه / علي لي قونغ، ولد عام ١٩٥٤م في بكين، وقد حضر الأسبوع الثقافي الصيني في السعودية، وعرض عدداً من لوحاته، والرسام / تشانغ هوشينغ من منطقة (شيجيانغ) ويتضح في الكثير من رسوماته المناظر الطبيعية، وصور حياة المسلمين في الصين.

- المطاعم الإسلامية في الصين انتشرت، وحملت لوحاتها العلامات المتعارف عليها مثل "اللغة العربية" أو كلمة "بسم الله" أو "رسمة هلال" أو "رأس بقرة" أو لوحة إسلامية داخل المطعم،

١) المساجد في الصين، ص: ٤٠

٢) مجلة الصين اليوم الحوار الحضاري .. / لي هوا يسنغ

ويطلق على الأطعمة الإسلامية (تشينغ تشن) ومعناها : الطاهر (الحق) وفي مطاعم بعض القطارات يضعون - أحياناً- على إحدى طاولاته كلمة "المأدبة الإسلامية" إذا كان في القطار مسلمين[1]، والفنادق الكبيرة متعددة المطاعم يكون مطعمها الثاني إسلامي[2]، كما أنها كانت حاضرة في معرض شانغهاي والدورة الألومبية، إضافة إلى وجود مطعم واحد على الأقل في الأحياء الإسلامية، أوبالقرب من المسجد، ومن مظاهر الحضور وجود لوحة كتب عليها (يحظر بيع الأطعمة غير الإسلامية في هذا الشارع) شارع مسجد ناتقوان.

وقد استعرض السيد / تشو تشي دنغ، في كتابه «الأطعمة الإسلامية الصينية»، العديد من أنواعها وطرق إعدادها، وتناقلت وكالات الأنباء أن (منطقة نينغشيا تدعوا الشركات العربية والإسلامية للمشاركة في المهرجان الدولي للأطعمة الإسلامية)، وفي هونج كونج تقدم أربع مستشفيات لحوم ذبحت حسب الطريقة الإسلامية، وهي خطوة يمكن تعميمها في أنحاء الأقاليم حسب تقرير رسمي.

- الطب الإسلامي، ويطلق عليه طب قومية «خوى»، وتمكنه ونجاحه جاء نتيجة امتزاج الطب الإسلامي بالطب الصيني التقليدي، فتفوق على الطبين المنغولي والتبتي، وأشهر أطباء قومية خوى العالم / تشنغ تشيان (٦٨٥م - ٧٦٤م) صاحب كتاب « العقاقير الشافية الخارجية»، وكانت صناعة العطور والمجوهرات والصيدلة المشهورة في عهد أسرة / مينغ لا تنفصل عن طب قومية (خوى) وتجارتها التقليدية، و (الوصفات الطبية لقومية خوى) هو كتاب طبي دونت فيه أسماء العقاقير الطبية التي كانت يستخدمها أبناء قومية خوى، مع ذكر تسميتها بالفارسية، وهو يتألف من (٣٦) مجلداً [3] ثم تتالت مؤلفات المسلمين الصينيين في الطب فجاء كتاب «وصفات خوى» و «معارف الشراب والطعام» و«الأدوية والعقاقير الشافية الأجنبية»، وقد هيمن الطب الإسلامي وامتد وانتشر في عصر أسرة يوان، ومن لطائف قصص الأطباء أن طبيباً عربياً وصل إلى الصين في عصر أسرة سونغ، وبرع بالطب، خاصة في تجبير الكسور وتحضير الأدوية، واتخذ اسماً صينياً هو / ليانغ تشو، وحظي باحترام الإمبراطور، وورث أبنائه سرّ مهنته، وحافظوا عليها ما يقارب من (٩٠٠) سنه، وفي عام ١٩٥٩م قدموا أسرارها للحكومة الصينية،

١) الشخصيات الإسلامية البارزة، ص: ١١٢

٢) المركز العربي للمعلومات تطور الفن الإسلامي العربي في الصين

٣) مجلة الصين اليوم.

واشتهر من الأطباء المسلمين في العصر الحديث الطبيب النابغة الفاضل المتواضع / تشاو بينغ نان(١٨٩٩م_١٩٨٤م)[١].

- يقام في مدينة (قوانغتشو) حفل (دار نجى) ومعناها - يوم وفاة صاحب السيادة المحترم، والمقصود / سعد بن أبي وقاص، حيث استقر في هذه المدينة، ومات بالقرب منها، ودفن في الطريق ما بين مدينتي (جيانغبي) و(قوانغتشو) ويعرف المكان بـ (روضة أبي وقاص)، ومع بداية القرن العشرين اتفق بعض النخب المسلمة الصينية أن يجعلوا من ٢٧/ ١١ من كل سنة هجرية مناسبة عامة للمسلمين في المدينة لذكرى (وقاص) يتلى فيها القرآن الكريم، وقد توقفت الاحتفالات أثناء الثورة الثقافية ثم عادت مع سياسة الإصلاح والانفتاح، والمدينة يقام بها معرضان سنويان الأول في ١٥ إبريل والآخر في ١٥ أكتوبر لمدة عشرة أيام، فتزداد الحركة على روضة أبي وقاص، وقالت إحدى الصحف (أن الروضة كأنها فرع للمعرض، وأصبحت معلم إسلامي ومنبر ثقافي).

- ومن مظاهر الإسلام في الصين، سعيها واهتمامها بالأقليات العرقية المسلمة، من خلال لائحة وطنية لإدارة الطعام الإسلامي، كما أن للعديد من الحكومات الصينية المحلية قواعد إسلامية في إنتاج الأطعمة، وفي هذا الشأن يقام في تشينغهاي معرضاً دولياً سنوياً للطعام والأدوات الإسلامية، يشترك فيه ما يتجاوز مئة مؤسسة تجارية، و٢٠ دولة، وعدد من المقاطعات، وفي منطقة نيغشيا يوجد عدد من شركات الملابس الإسلامية، وهي في حركة دائمة نحو تطوير إنتاجها بما يناسب قومية هوى المسلمة، والمسلمون في الخارج، واندماجها في متطلبات الموضة، تحت مصطلح (ملابس الحشمة).

- الألعاب الإسلامية، ويطلق عليها ألعاب قومية خوى، وهي ذات ذوق رفيع، وروح مرحة، وتظهر -غالباً- في أيام الأعياد والمناسبات الرسمية والاحتفالات الخاصة ومنها المصارعة، وسباق الخيل، وخطف الحمل، والرماية، ولعب الكرة على الخيل، وتسلق السارية، وسباق الجري مع الوثب، حيث يشد اللاعب كيساً صغيراً من الرمل على ساقه ويحمل بشفتيه بيضة على ملعقة ثم يقوم بالجري والوثب والفائز من يصل إلى النهاية ولم تسقط البيضة[٢].

- الملابس الإسلامية، وهي في خطوطها الأساسية واحدة، أما التفاصيل الفرعية فتتراوح مابين القوميات الإسلامية، ويتجلى فيها المواصفات الدينية، وقربها من بيئة البلد، وتوفر النظافة

١) صحيفة المدينة، الأحد ١٧ أغسطس، ٢٠٠٨

٢) داخل أسوار الصين ، محمد العبودي ، ص٢٠

والألوان الزاهية للنساء، ويظهر -غالباً- على الرجال الطاقية وعلى رؤوس النساء المناديل، وقد استثمر الصين خصائص ملابس المسلمين، وأخذت في إنتاجها، وبيعها في الداخل، وتصديرها للخارج، وأطلقت عليها « ملابس الحشمة ».

- الأسماء الإسلامية، لا تجد مسلم في الصين إلا ويحمل اسماً إسلامياً فإن كان من منطقة «شينجانغ» -تركستان الشرقية- فلا يحمل غيره، وإن كان من غيرها فهو يحمل اسمين الآخر صيني، والإشكالية في أسماء الصينيين صعوبتها على أحبابهم لأنه من النادر حفظها جميعاً، ومن النماذج:

أ- العالم المسلم (١٦٤٠- ١٧١١م) اسمه الصيني / ماتشو، واسمه الإسلامي / يوسف، ولقبه / ون بينغ، وكنيته / تشونغ شيو

ب- العالم المسلم (١٧١٩م- ١٧٨١م) اسمه الصيني / ماميغ شين، واسمه الإسلامي / إبراهيم، ولقبه / فوشينغ، وكنيته /تشن وي.

ج- الطبيب المسلم (١٨٩٩م- ١٩٨٤م) اسمه الصيني /تشاو بينغ نان، واسمه الإسلامي / إدريس، واسمه الأصلي / تشاو ده مينغ.

د- المسلمون في الصين بتمتعون بالحرية في الاعتقاد والقدرة في احتفاظهم بتقاليدهم وثقافتهم مع مزجها بالثقافة الصينية لتعبر عن حضورهم القوي المتسامح، ومن ذلك أن لهم تصاميمهم الخاصة في بيوتهم، حيث أن غرفة رب الأسرة في أقصى غرب البيت، لتكون قريبة إلى الحرم، لأن الأب - غالبا - يصلي بها ومن الأفضل أن يكون أفراد الأسرة خلفه أثناء الصلاة، ومن مؤشرات مكانة صاحب البيت المسلم أن الغرفة الرئيسية تكون كبيرة، وقاعة الاستقبال تمتاز بالزخارف والتحف، لأنها مكان استقبال الضيوف ومقر بعض الاحتفالات الدينية، كما يمتاز البيت المسلم بارتفاع نوافذه وبانفتاحه على الشمس، وتجلل الجدران عدد من اللوحات، وكلمات مخطوطة ذات معاني دينية مع وجود المزهرية والمبخرة' وستائر الباب والسجاجيد الحائطية وصور للحرمين، والسحارة وجرة ماء من الفخار للوضوء، وقنينة لغسل الوجه واليدين في زوايا البيت، ومن تكون أحواله متواضعة يملك مثل هذا البيت ولكنه صغير ومصمم بحجم قدراته المادية، وأغلب البيوت فيها مدخنة من الآجر، ويبقى بعد ذلك تقاليد وعادات إسلامية تعبر عن الإسلام والمسلمين في الصين كالختان والزفاف واحتفالات العيدين ودفن الموتى.

- أسهم المسلمون في حرب التحرير ضد الاستعمار الياباني، وكونوا سرايا وأبطال وبطولات،

ومنظمات ترتب جهادهم، منها:

أ- جيش مقاومة اليابان، ومحور قتالها في الشمال الصيني، وامتازوا بخطواتهم وخططهم القوية والمؤثرة والناجحة.

ب- سرية المسلمين المستقلة، وهي تابعة للجيش الأحمر، وتتكون من ١٢٠ شابا مسلما، ومقرها المسجد، وقدمت الكثير من التضحيات.

ج- طليعة التحرير الوطني لمقاومة العدوان الياباني، ومع نضالهم الميداني أصدروا صحيفة جهادية عنوانها (مقاومة العدو) وشكلوا فرق ثقافية تحث على التصدي والمقاومة، وتدعو إلى تعبئة الشعب.

د- فرقة مقاومة اليابانيين، وتشبه نظام العصابات، مكونة من مئة مجاهد، انضمت -فيما بعد -إلى قوات الحكومة.

ومن مظاهر الإسلام في الصين نستشف مستقبله، المستقبل الذي يظهر إشراقاته من خلال الأنوار التالية:

١- تمكن الإسلام على المستوى العالمي، ونمو قوة المسلمين، وحضورهم القوى في الأحداث والمتغيرات

٢- تنازل الحكومة الصينية عن جذور شيوعيتها، وتقديسها للأمن، وتوجهها إلى الرأسمالية، وتوظيفها للمسلمين فيما بينها والعالم الإسلامي.

٣- اهتمام العالم بحقوق الإنسان، وتقزم الدكتاتوريات، وهيمنة الإعلام والشفافية المعلوماتية.

الباب الرابع
مفاصل ووقفات

المسلمون في شينغيانج « تركستان الشرقية»

تقع تركستان في وسط آسيا، ويخترقها طريق الحرير، وكان اسمها ما بين عامي (١٣٦٨م ـ ١٩١١م) أرض (خوى) أي أرض المسلمين، وتعرف ـ أحياناً ـ بـ تركستان الشرقية، وتنسب إلى القومية الإيغورية، مع وجود قوميات أخرى (التتر، والطاجيك، والأزبك، والقرغيز، والقازاي، والخوى)، وأحيانا تسمى بـ (تركستان الصينية) دخلها الإسلام في عهد الخليفة/ عبد الملك بن مروان عام ٨٦هـ - ٧٠٥م، ووصل / قتيبة بن مسلم الباهلي إلى حدودها الشرقية عام ٩٥هـ - ٧١٤م، وأصبحت إقليماً إسلامياً عام ٣٥٣هـ - ٩٦٤م حينما أسلم حاكمها الخاقان/ ستوق بوغراخان (ت عام ٩٥٦م)، وجعل الإسلام دينها الرسمي، وسار على نهجه أبناءه من بعده، فأخذت أضواءه تتلألأ من "خوارزم" و "كاشغر" و "بخارى" و "بلخ" وأنجبت علماء أفذاذ كالبخاري والنسائي والترمذي والزمخشري والجرجاني والسرفسي والتفتازاني والنسفي والمرغيناني والفارابي والخوارزمي والبيروني، وأسهم أبناء تركستان في نشر الإسلام وتسريبه إلى روسيا وأكرانيا والقرم، ولم تستطع إمبراطوريتي الصين وروسيا اختراق تركستان أو احتلال أجزاء منها إلا بعد تفككها، وتحولها إلى دويلات متنافسة متنافرة، نتيجة ما دبّ إليها من ترف وشقاق، فاحتلت روسيا تركستان الغربية عام ١٨٣٩م، وبقيت مهيمنة عليها حتى تفككت وتحولت تركستان الغربية إلى ستة دول إسلامية، واستطاعت الصين أن تضع يدها على جزءها الشرقي عام ١٨٨٤م ومع هذا الاحتلال بقيت جذوة الكرامة والاستقلال في مسلمي تركستان تستيقظ ثائرة مابين حين وآخر، حتى عام ١٩٤٨م حينما تم إخضاع تركستان الشرقية لسيطرة حكومة بكين الشيوعية، ويظهر من تلك الثورات إعلان قيام "جمهورية تركستان الشرقية" عام ١٩٣٣م على يد مجموعة من الثائرين منهم / ثابت داملا، ثم جاءت "ثورة المناطق الثلاث" عام ١٩٤٤م وتولى رئاسة "جمهورية تركستان الشرقية" مرة ثانية السيد/ علي خان طوارى إلا أن انشقاق داخلي أنهى وجوده عام ١٩٤٦م.

ضمت الصين تركستان الشرقية إليها عام ١٩٤٨م حيث تقع في الشمال الغربي منها، وتعتبر أكبر وحدة إدارية فيها، وعاصمتها (أورومكي)، وتبلغ مساحتها (١٧١٠٤٥٠) كم٢، وتشكل سدس مساحة الصين، ويقدر سكانها بـ (٢٠) مليون نسمة، وهي ذات ثروات نفطية وسياحية متميزة، وممر مهم يربط بين الغرب والشرق، وأطلقت عليها (شينغيانج)، وأكد الزعيم الصيني / ماوتسى تونغ على منح الإقليم حرية تقرير مصيره مابين الاستقلال التام أو الحكم الذاتي،

إلاّ أن أمن الوطن الواسع، والديمقراطية الشيوعية، والقوميات المتعددة وما في تركستان الشرقية من ثروات حالت دون الوفاء بالاستقلال، وبقي أمامها "حكم ذاتي" حصلت عليه عام ١٩٥٥م، واحتفظت بطابعها الإسلامي حتى يومنا هذا، ويلمسها المتابع ظاهرة في سلوكيات المجتمع وملابسهم ومساجدهم، وبعض أبنيتهم، حتى أن الزائر لها يشعر بأنه في بلد إسلامي، ويؤكده وجود "٢٣٩٠٠" مسجد منها "٨٠٠٠" جامع، وما يقارب من "٨٠" جمعية إسلامية، في مقدمتها "الجمعية الإسلامية لإقليم شينغيانج" المؤسسة عام ١٩٥٨م، وفيه "معهد شينغيانج للعلوم الإسلامية" وقد تم إنشاؤه عام ١٩٨٧م، مع وجود "٦" مدارس إسلامية، واللغة السائدة الشعبية فيه اللغة الايغورية ذات الحروف العربية.

الأمر الطبيعي أن لا يأخذ المسلمون في شينغيانج (تركستان الشرقية) معاملة خاصة بهم من قبل الحكومة الصينية مختلفة عن المسلمين في الصين، ولكن الذي حدث أن اتجاه إسلامي صغير في الإقليم تجاوزت أُمنياته سقف الواقع، فصبغ -مع الأسف- كل المسلمين وكل المدن والقرى، وتحول إلى حركات ومؤسسات وجمعيات، حمل بعضها السلاح، يقابله شريحة متشددة من الحكومة، فتورم موقف هنا، وردة فعل هناك، ومبالغة وتشويه، وتحريض ودعم خارجي، وأحداث دولية، وتفاعلات ١١/سبتمبر، وحملة إعلامية غربية إرهابية على الإسلام والمسلمين تمخض منها ألم عارم، وقلق متواصل من كل المسلمين في العالم على إخوانهم في شينغيانج، وغضب مكبوت على الحكومة الصينية، أسهم الطرفان في تجذيره، ودفعتهما الضغوط وغياب الحوار إلى الحدّية في التعامل والمبالغة في الوصف، وأغلب الصحف والكتاب المتابعون قسّموا المسلمين في الصين إلى قسمين:

- المسلمون في شينغيانج (تركستان الشرقية.)

- المسلمون في بقية أقاليم الصين.

ومن الواقع إضافة قسم ثالث يقيم في (هونج كونج)، ولاشك أن قصة وقضية شينغيانج ليس محورها الإسلام والمسلمين، مع الإيمان الكامل بأنهم شعب مسلم، فالإشكالية ضم مناطق الويغورين إلى الصين عنوة، وما رافق ذلك من عنف وظلم، وطمس لهويتهم، وتغيير لبنيتهم السكانية، وسعي حكومة الصين في إحلال (مئتى مليون صيني على الأرض اللويغورية)، تحت مسمى (العصف السكاني)، وكلها أبقت الجروح مفتوحة، واستثمرتها قوى عالمية كبرى احتضنت بعض المعارضين من قومية الإيغور المسلمة، وأسست ودعمت حركات

تمردية واستقلالية تركستانية في دول مجاورة للصين، وقد جرت -بسببها- كل مسلمي الصين في فترات سابقة، ثم استدرجت الإسلام ذاته، وهدفها وضع العصا في عجلة المسيرة الاقتصادية الصينية، ربما يكون منها (المركز الإعلامي لتركستان الشرقية) و(مؤتمر شباب الأيغور الدولي) و(حركة تركستان الشرقية الحرة) و(جبهة تحرير أوغورستان) و(الجبهة الوطنية الثورية لطشقند) و(الاتحاد الايغوري الدولي) و(الحزب الإسلامي الديمقراطي لتركستان الشرقية)ومن خلال الأسماء يتضح أن الجانب القومي هو الغالب على تلك الحركات، كما أن الحكومة الصينية فضلت أسلوب القمع والرفض وقطع الخطوط مع كل الأطراف على حساب العلاج المدني، وأصبح تقصى أسباب التوتر، والالتقاء والشفافية والحوار بعيدة عن أرض الواقع، ولا يزال الخوف المتراكم علة الرد الطائش، والمقاومة اللا متكافئة ووضع اللائمة على الإيغور في الداخل، أوعلى دعم القوى الكبرى لهم، ونعتوا بأصحاب (الشرور الثلاثة) دعاة الانفصال والتطرف والإرهاب، وسعت الجهات الرسمية في التشويه، وربط أعمالهم الداخلية على تصريحات وخطوات خارجية نوع من المبالغة، لأن تأثيرها الداخلي أقل من جروح الاضطهاد الصيني، ولا شك أن تهميش الأقلية الايغورية، وضغط قومية "الخان" والقلق من الأقليات والتغيير السكاني، وتهجير النساء إلى شرق الصين، ومحاصرة اللغة اليغورية، وحضر كتبهم التاريخية، وتشتيت مدينة (كاشغار) القديمة، ولا شك أن الإعلام، وقدرات الاستخبارات العالمية المضادة خلقت أجواء الاضطراب والسخط، وجميل ورائع من الحكومة أن تكون عادلة، وحكومة لجميع مواطني الصين، فالغالبية العظمى من أبناء شينغيانج يأملون العيش بأمن واستقرار، ويتطلعون إلى حصولهم على الحدّ الأدنى من حقوقهم الإنسانية، وإنقاذهم من التذويب والتهجير، والسماح لهم بممارسة دينهم وتأمين دور عبادتهم في ظل وطنهم الكبير، والتريث في وصفهم:

أ- أنهم يهاجمون سياسة الدولة نحو الأقليات

ب- أنهم يريدون تدمير الوحدة الوطنية

جـ- أنهم يمارسون الإرهاب الروحي.

إن الاعتقاد بأن استقلال جمهوريات آسيا الوسطى عام ١٩٩١م محفزاً لجميع المجتمع الإيغوري باستلهام منهجها سوء فهم، وقراءة خاطئة للأحداث، وصرامة صينية في غير مكانها، حالت بين كل الأطراف وهمشت العلاج بالرفق الكونفوشوسي، وألغت أسلوب النفس الطويل، ودفنت حكمة الصين الهادئة.

وان توظيف أحداث ١١/سبتمبر، وإسقاط مصطلح الإرهاب الغربي، والمبالغة في الإجراءات، والاعتقاد بأن الرأي العام العالمي سيقبل التشبيه الظالم بأن بكين كواشنطن إنما هو ثمار الرؤية الضيقة والمقاربة الخاطئة، ويكفي -فقط- أن الصين تتعامل مع جزء من شعبها، أما أمريكا فتواجه عدو خارجي صنعته ثم أساءت إليه فاعتدى عليها، أما قيام «منظمة تعاون شنغهاي» وتأسيس «مركز لمقاومة الإرهاب» من خلالها، فهو جيد لاستقرار المنطقة وتحقيق أمنها على أن لا يكون الهدف منه تهيئة الأجواء للقضاء على شعب في المنطقة يتطلع -بسلام- إلى حقوقه الأساسية.

إن حكومة الصين تقاوم -ولها الحق- محاولات ترويضها، والفرد يسعى إلى حفظ هويته، والمجتمعات تقاوم تجريدها من دينها وثقافتها ولغتها، ولكن لا يضر الوطن ويرهق الاستقرار تعدد الأديان والثقافات واللغات، بل إنها - إن تم استثمارها- تُثري الفكر وتنوع العطاء وتفتح الأبواب للنمو، و(الحكومة الصينية لا تنتهج سياسة تمييز منهجي ضد أي من مواطنيها على أساس العرق أو الدين أو أي أساس آخر)[1] والتاريخ والواقع يؤكد دور المسلمين الصينيين في التبادل الحضاري والاقتصادي مع شعوب الدول الإسلامية، والخشية كل الخشية أن تكون شريحة من أحد الطرفين في الصين ضحايا سوء الفهم، والمكر الأمريكي، والتحريض الإعلامي العالمي على الإسلام والصين، وإلا فإن العلاقة بين المسلمين والإمبراطوريات الصينية المتعاقبة والحكومة الشيوعية المعاصرة هي إلى الألفة والتعاون والانسجام أقرب، ولا يعكرها صفحات قليلة من الصفحات الكثيرة من التاريخ المشرق بينهما، وما أحوج الإقليم إلى جلسات حوار تغني عن الحملات الأمنية.

والقلق من (خماسية شنغهاي) على شينغيانج، والتي تشمل الصين، وروسيا، وكازاخستان، وطاجكستان، وقيزستان، واجتماعهم بهدف التنسيق ومواجهة الإرهاب الدولي المتطرف حق لكل الأطراف، على أن لا يكون المستهدف دين بعينه، أو لفئة بسبب دينها، وأن لا يمتد التعاون إلى القضاء على حقوق الآخرين دون تمييز، وعلى هويتهم، ودينهم، ولغتهم. والأحوال العالمية تؤكد انتهاء التعاطف مع الإرهابيين، وتبرير سلوكياتهم، وعلى الموسومين به -ظلما- الابتعاد عن العنف، والتشدد، وتفكيك الوطن، ولهم كل الحق في حماية دينهم، وعقولهم، وأنفسهم، وأموالهم، وأعراضهم، وهذا ما أكدت عليه حكومة الصين- بحزم- أمام الغرب، وأمريكا خاصة، حينما وقفت في أزمة (جوجل)، وساندها شبابها بتلقائية بعيدة عن

١) فوق سقف الصين ، محمود العبودي ، ص٤٩

التحرك التعبوي المسيس، والتوجه الحكومي من أجل الحفاظ على هوية الصين، وخصوصيته، وثقافته، وهذا ما تريده - أيضاً - شينغيانج.

والخلاصة، أن استقلال الويغورين الكامل يستحيل، ولن يخدم المنطقة ولا سكانها، ويتعارض مع رغبات الدول المحيطة بالمنطقة، ويفتح أبواب الانفصالات، والتفكك، ومكر الغرب وكيده لن يترك الإقليم يستقر وينمو، ثم أنه -مع الأسف- دفع حكومة الصين إلى إحكام قبضتها، وربما تصعيد قسوتها، ومن الظلم اعتبار مقاومة اللويغريون سلوك إرهابي، أو إرهاب إسلامي، وإخفاء مطالبهم السلمية، وإظهار احتجاجاتهم كعنف وتشدد.

المسلمون في هونج كونج

الحديث عن هونج كونج والصين يحتم التذكير بالنظرية الواقعية الشاذة الناجحة (دولة واحدة ونظامين) وهو اسلوب تم الاتفاق عليه بين الدولتين لدمج الصغرى بالكبرى في الجانبين السياسي والدفاعي، واستقلال هونج كونج في بقية الجوانب، والملفت للنظر أن الصين (الكبرى) تتجه بخطى ليست حثيثة ولكنها ثابتة إلى الاندماج بالتوجهات الاقتصادية في هونج كونج (الصغرى)، والمسألة -فقط- تكمن في الوقت ليس إلا.

هونج كونج ومعنى الاسم «المرفأ العطري» ويرى الشيخ الرحالة محمد العبودي أن معناه «زهور البحر»[1] نقلاً عن مترجم كان يصاحبه، وتعتبر المنطقة الثانية بعد نيويورك في تواجد التمثيل الدبلوماسي المتميز، ومن الاستثناءات الخاصة بها أنها تعامل معاملة الدولة، حيث أن لها عملتها وجوازاتها الخاصة بها ولها حدود مع الصين، ويتحرك بها ٨٠٪ من الأموال الصينية، وهي تتألف من قسمين، قسم اشتراه البريطانيون من الصين ويعرف بـ(فكتوريا) والثاني متصل بأراضي الصين، وقد استأجره البريطانيين ويعرف بـ(كاولون)،

وكلا الإقليمين استظلا باستعمار بريطاني طويل، وحكم داخلي حر، كانت بدايته عام ١٢٥٩هـ - ١٨٤٣م حتى عام ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، وما قبل ذلك كان تابعاً للأسر الحاكمة الصينية، ويتشكل من شبه جزيرة متصلة بالبر الصيني، وعلى هوامشها ٢٣٥ جزيرة، وعاصمتها فكتوريا، ويقدر سكانها بـ «٧» ملايين نسمة، منهم ٩٠٪ صينيون والبقية أصولها من أجناس مختلفة، ومساحتها تزيد قليلاً عن ألف كيلو متر مربع، وقد تميز الإقليم بالطابع التجاري بكل أبعاده وخصائصه، حتى أصبح محور تجارة الترانزيت لكثير من دول العالم وشركاته، وعُرف بالنظافة والنظام والأمانة.

والإسلام فيه يعتبر من الأديان الستة الرسمية، ودخوله إليه ربما يكون منذ القرن الأول الهجري، وعن طريق الميناء الصيني المشهور (كانتون) والذي لا تتجاوز المسافة بينهما «١٤٥» كم، فقد يكون من خطوات المسلمين الأولى نحو هونج كونج، لأنه من الصعوبة فصل جنوب الصين عن الإقليم، أو قد يكون مجيئهم كأفراد أو أفواج مهاجرة من جزر الهند الشرقية والملايو، ومجموعات أخرى من الصين نتيجة انتفاضات داخلية أو اضطهاد من قبل بعض حكام الأسر الحاكمة، والمؤكد أن جملة من المسلمين وصلوا الإقليم عن طريق مشاركتهم في جيش

١) القوميات المسلمة في الصين ص ١٢

الاستعمار البريطاني، الذي احتضن أجناس وأديان مختلفة من أبناء المستعمرات التابعة له، ودخلوا هونج كونج عام ١٨٩٦م، وجاءت أفواج أخرى من الصين بسبب قسوة الاستعمار الياباني، وبعدها الضغوط الشيوعية الحادة الأولى[١]، وجميعهم اندمجوا مع الجالية الإسلامية الوافدة المتجذرة بالإقليم، ويقدر عددهم -اليوم- بـ«٣٠٠» ألف مسلم.

وللمسلمين في هونج كونج تواجداً ملموساً فاعلاً رغم قلة عددهم، وتوسط أو ضعف أحوالهم، ويعبر عنهم النوافذ الثلاث التالية:

أ- المؤسسات الإسلامية:

وفي مقدمتها (مجلس أُمناء موارد الجالية الإسلامية)، وتتكون إدارته من سبعة أعضاء صينيون ومحليون وأجناس أخرى، ويمثل كل المسلمين في الإقليم أمام الحكومة والوفود الإسلامية الخارجية منذ عام ١٩٧٩م، ويقوم بالإشراف على الأنشطة واستثمار أموال الصدقات والتبرعات والمساجد والأوقاف، ويجمع التبرعات، ويتبع المجلس (الاتحاد الإسلامي في هونج كونج) الذي أعطى الدعوة والتعليم الإسلامي جل خطواته، ثم (جمعية الحب الإسلامية) تأسست عام ١٩١٨م، (والجمعية الإسلامية الدينية) و(جمعية هونج كونج الإسلامية للشباب) و(جمعية المسلمين المتحدة) و(الجمعية الباكستانية الإسلامية) و(الجمعية الهندية الإسلامية) و(جمعية الثقافة والأخوة الصينية الإسلامية) ويأتي بعدها (الجمعية الإسلامية الخيرية في مكاو) التي أنشأها مجموعة من التجار ذوي الجذور الهندية عام ١٩٢٣م، وهي غير (الجمعية الإسلامية الصينية) وكان اسمها الأول (جمعية بحوث الثقافة الإسلامية الصينية) ثم حركة (ختم النبوة) في هونج كونج ومهمتها تعرية الحركة القاديانية من خلال المؤتمرات والمنشورات والمناظرات.

ب- المساجد:

يوجد في إقليم هونج كونج عدد من المساجد والكثير من المصليات، ومن أهم المساجد:

١- مسجد (كولون) وهو معلم بارز، وواجهة متميزة للمسلمين، قام بتأسيسه أبناء المسلمين عام ١٨٩٦م من أفراد جيش الاستعمار البريطاني حينما جاءوا مع العسكريين من المستعمرات التابعة لها، وفي عام ١٩٨٤م أُعيد بنائه ويتكون من ثلاثة أدوار وأربع مآذن،

١) مجلة الصين اليوم.

وعليه لوحة كتب عليها باللغة العربية (بني هذا المسجد والمركز الإسلامي على نفقة المسلمين في داخل وخارج هونغ كونغ وقفاً لله تعالى، وتم افتتاحه في شهر شعبان ١٤٠٤هـ شهر مايو ١٩٨٤م)[١]

٢- مسجد شارع شلى تم إنشائه عام ١٨٧٠م وتم تجديده عام ١٩١٥م.

٣- مسجد عمّار وهو تابع لمركز عثمان رامغوا ويتكون من ثمانية أدوار ذو تصميم مغربي.

٤- مسجد قولونغ، تم بناؤه عام ١٨٩٦م ثم تم تجديده عام ١٩٠٢م وفي عام ١٩٨٠م أنهى المسلمون عملية توسيعه.

٥- مسجد سينغ.

٦- مسجد تسيتشو.

ومن الملفت للنظر وجود (مسجد للنساء)في هونج كونج، كلف بناؤه ما يقارب من (٦٤) ألف دولار وتم افتتاحه عام ٢٠٠٧م.[٢]

ج- التعليم:

يحتضن الإقليم عدد من حلقات تحفيظ القرآن في أروقة المساجد، ومجموعة من المدارس الابتدائية منها (مدرسة أمة الابتدائية)، إضافة إلى (كلية هونج كونج الإسلامية) وهي تعادل المدارس الثانوية.

د- الصحف:

يصدر في هونج كونج مجلة إسلامية عنوانها (مجلة هونج كونج الإسلامية).

ومن مؤشرات التجذر والتمدد وجود مقبرتان و (دار رعاية المسنين) وتعهد الرئيس التنفيذي لـ (هونج كونج السيد / دونالد تسانج بأن ينافس الإقليم ماليزيا وسنغافورة كمركز مالي إسلامي، و في تطوير سوق سندات شرعي، وإطلاق سوق للأوراق المالية الإسلامية، إضافة إلى ظاهرة انتشار المطاعم الإسلامية، وتقديم اللحم الحلال في العديد من المستشفيات، ومن علامات التواجد والتأثير تظاهر عدد من مسلمي الإقليم ضد الإساءة بالرسوم الدنمركية

١) المسلمون في الصين، شيو يوان ، ص٧٤

٢) مجلة الصين اليوم عدد آب ٢٠٠٩م

للرسول صلى الله عليه وسلم، حيث نظم ما يقارب (٢٠٠٠) مسلم مسيرة سلمية انطلقت من مسجد كولون بعد صلاة الجمعة.

ومن خصائص الجالية الإسلامية في هونج كونج:

أ- أنها مسالمة ومتجانسة.

ب- لا يوجد اختلافات بين توجهاتها ولا تحزبات سياسية.

والعالم الإسلامي والعربي متعاطف إلى حد- ما- في دعم المسلمين في هونج كونج وذلك من خلال دعم المؤسسات الدينية، وتغطية بعض مصاريفها، واحتياجاتها الطارئة، ومن ذلك دعم المملكة العربية السعودية جهود ترميم مسجد كولون بـ (مليون) ريال، واستعدادها في تقديم (٩٠) مليون ريال مساهمة في إنشاء مركز إسلامي في هونج كونج، إضافة إلى تقديم الدعاة والكتب والأئمة في رمضان.

عدد المسلمين في الصين

في اليابان ضاعفوا عدد المسلمين إلى خمسة أضعاف من أجل تفعيل علاقاتهم الاقتصادية مع العالم الإسلامي، وفي الولايات المتحدة الأمريكية تلاعبوا بإحصائيات المسلمين فيها حتى تقوم بخدمة مصالحهم ومصالح مراكز البحوث والدراسات قبل ذلك، وتراوحت بين رقمين متناقضين يحركهما التهويل والتهوين، وفي الصين قللوا - على المستوى الرسمي- عدد المسلمين وثبتوه على عشرين مليون مسلم منذ أربعين سنة بإيحاء من الأحاسيس الأمنية .

إن تاريخ المسلمين في الصين، ومساجدهم، والنمو السكاني، والسماح لهم بإنجاب أكثر من طفل، ودعوة الإسلام في الإكثار من المواليد مخالف للنظريتين الرأسمالية والشيوعية التي تدعو إلى تحديد النسل على اعتبار أن أي مولود إنما هو فم يأكل وإمكانيات الأرض محدودة، بينما الإسلام يعتقد أن المولود الجديد إنما هو عضلات تعطي، والأرض فيها ما يكفي البشر إن التزموا بالإصلاح والعدل، إضافة إلى إيمان كل المسلمين بأن الله كفل لجميع المخلوقات رزقها، وما في الإسلام من خصائص رائعة ومقبولة تؤكد تجذره وتمدده، هذه الزوايا - جميعا - تقف بقوة أمام الرقم المعلن عن عدد المسلمين في الصين، وتحاكم الأرقام الرسمية، والرجوع إلى الأرقام التقديرية الأخرى ومتابعة أحوال المسلمين في الصين، وتواجدهم المعاصر منذ القرن التاسع عشر سوف تقدم الرقم القريب إلى الحقيقة، وتحرره من البالغة والتحقير.

في الصين عشر قوميات إسلامية من ست وخمسين قومية وفي القوميات الأخرى مسلمون، فقد عاش حول مسجد (نيوجيه) أسر مسلمة تنتمي إلى ثلاث وعشرين قومية، واختار/ سن يات سن - قائد الثورة الصينية الوطنية - العلم الصيني من خمسة ألوان اللون الأبيض يعبر عن المسلمين في الصين، مؤكدا على تواجدهم العملي وعددهم ومسالمتهم ونقائهم ، كما أن التاريخ يشهد بأن أمانة المسلمين وآثارهم وحسن معاشرتهم وإحسانهم ونظافتهم أسهمت في قوتهم وإسلام من حولهم متأثرين بهم، يضاف إليه المدة الزمنية الطويلة لدخول الإسلام إلى الصين والتي تقدر ب (١٣٠٠) سنة، الغالب منها امتاز بالألفة الحميمة والانسجام التام بين المسلمين والمجتمع الصيني، لم يكدرها إلا لحظات يسيرة ليست بشيء في مسيرة الشعوب، إضافة إلى تحريم الإسلام على المسلمين الزواج إلا من مسلمة أو من أهل الكتاب، وتحريم زواج المسلمة إلا من مسلم، و هذا التشريع أسهم في انتشار الإسلام في الصين، ومن

المستحيل أن تكون حصيلتها عشرون مليون مسلم من مليار وثلاثمائة نسمة، ويضاف إلى عدد المسلمين أعدادا لا بأس بها لا تجاهر بإظهار إسلامها، وتخفيه أحيانا لظروف اجتماعية أو حكومية أو وظيفية أو نفسية، والرجوع إلى الوراء يسهم في تصور الواقع واستشراف المستقبل، ففي عام ١٨٩٨م قدرهم القنصل الفرنسي في الصين / مسيوام دي تريسان - وهو من المتخصصين في شؤون المسلمين بالصين وأقام بها ثمانية عشر عاما - بـ(عشرين مليون مسلم)، وفي عام ١٩٠٦ أعلن زعيم مسلم صيني في القاهرة أن الصين تضم أربع وعشرين مليون مسلم، بينما قدرهم الكاتب الإنكليزي / مارشال بروم هال عام ١٩١٠م بأن عددهم يقدر بـ (٩،٨٢١،٠٠٠) نسمة، وفي عام ١٩١٧م قال كاتب فرنسي في صحيفة «ريفيودوماند» إن المسلمين في الصين في حدود خمسة عشر مليون، وأوردت « حوليات الصين» الصادرة عن دار الشؤون التجارية للنشر في الصين عام ١٩٣٥م أن في الصين نحو (٥٠) مليون مسلم، ويقدرهم السيد / تناكا ـ رائد الدراسات الإسلامية في اليابان ـ عام ١٩٣٤م بـ (٤٠) مليون، والطبعة الإنجليزية لكتاب الصين السنوي عام ١٩٤٠م، والكتاب السنوي الصيني الذي نشرته الحكومة الصينية عام ١٩٤٨م ذكر كل منهما أن عددهم في الصين ثمانية وأربعون مليون مسلم(٢) .

ويؤكد هذا التوجه ما رواه الأستاذ / فؤاد كرم بأن عدد المسلمين في الصين حسب إحصاء رسمي أجري في عام ١٩٣٦م حوالي خمسين مليون مسلم، بنوا أكثر من (٤٠) ألف مسجد، ثم ذكر توزيعهم على المقاطعات، ويضيف أن العدد تضاءل في العهد الشيوعي حسب إحصاء ١٩٦٦م إلى عشرين مليون مسلم حسب زعم السلطات الحاكمة، ويتزايد العدد مع النمو السكاني العام للصينيين ولو تم تطبيق نسبة الزيادة لكان عدد المسلمين حوالي سبعين مليون، لأن الجهات الرسمية رأت أن السبب يعود إلى تلاشي الإسلام في الصين، وتبرأ الكثير من المسلمين من دينهم، وهذا التعليل لا يتناسب مع خصائص الإسلام وعلاقة المسلمين به على جميع المستويات، وإن كان هناك تأثير قوي فهو الحملات المؤلمة القاسية والتي تسببت في إبادة الكثير منهم على يد الشيوعيين ولكنها ليست بحجم النقص المعلن في عددهم، ويبقى أن التقديرات مختلفة (حول عدد المسلمين ما بين «١٥٠» مليون كما يرى كثير من المسلمين غير الرسمين و «٥٠» إلى «٨٠» مليون كما تقول الكتب المؤلف عن المسلمين، وحوالي «١٨» مليون كما يقول الرسميون).

وفي محاضرة ألقاها الشيخ/ محمد مكين (صيني) في القاهرة في ١٣٥٣/٠٣/٢٢هـ مستهلا نشاطات (جماعة التعارف الإسلامي) أكد فيها أنه (لا يعرف عدد المسلمين في الصين

بالضبط لأنهم منتشرون في طول البلاد وعرضها، أكثرهم في تركستان الصينية، و(كانو) و(يونان) و(هانان) و(شانتونغ) و(هابي)، ولم يكن لدينا إحصاء دقيق، وأما إحصاءات الأجانب فمتناقضة، وما اختلفوا في ذلك وهم محققون مدققون إلا لأغراض خاصة سياسية أو دينية، فمنهم من يقول ستون مليونا ومنهم من يقول عشرون مليونا، ومنهم يقول أقل من عشرة ملايين، وعلى تقديرنا إنهم خمسون مليونا، وهذا أقرب إلى الحقيقة فإن المسلمين متفرقون في أنحاء الصين، فما من بقعة إلا ويوجد فيها مسلمون كثيرون أو قليلون، وهم في بعض الولايات أكثرية وفي بعض الولايات نصف السكان تقريباً، وقد تم إحصاء سكان الصين رسميا عام ١٩٨٢م - الإحصاء الرسمي الثالث- وبلغ عدد القوميات العشر الإسلامية - خوى، اليويغر، القازاق، التتار، الاوزبك، الطاجيك، دونغشيانغ،سالار، باوان- ١٤ مليون و٢٧٩ ألف نسمة، والإحصاء الرسمي الرابع عام ١٩٩٠ يرى أن القوميات العشر الإسلامية بلغ عدد أبنائها ١٧،٥٩٧ مليون إنسان، وهذا الإحصاء تم إسقاطه على المسلمين حتى يومنا هذا، بزيادات سنوية تقديرية متواضعة رغم:

١- إن في الصين مسلمين من غير القوميات العشر.

٢- إن النمو السكاني للمسلمين هو الأعلى في الصين.

٣- دخول أعداد من قومية «الخان» في الإسلام بسبب:

أ- الاحتكاك الطويل والمسالم مع المسلمين.

ب- الزواج والتجارة من المسلمين.

جـ- حرية الاعتقاد في الصين.

د- كون المسلمين في الصين منبثين في جميع أرجائها.

ومن الصعوبة الإجابة على (كم عدد المسلين في الصين ؟) ويمكن إرجاع الأسباب إلى:

١- رغبة كثير من الدول في تحجيم عدد الأقليات لعدة دواعى.

٢- عدم وجود إحصائية مبنية على التقسيم الديني.

٣- التقديرات تكون مبنية -في الغالب- على انطباعات مخلوطة بالتفاؤل والتشاؤم.

ولذا تضيع الحقيقة، فلا الرؤية الرسمية مقبولة، ولا المبالغة جائزة، ولكن يبقى أن عددا المسلين في الصين يوحي -أحيانا- بالقلق للصين، فحكومة «مينغ» أصدرت «نظام مينغ» يلزم المسلمين بالزواج من الصينيات ويحرم عليهم الزواج فيما بينهم، إذ أن المسلمين يشكلون السواد الأعظم ولذا يجب السعي في تحجيمهم واحتوائهم

ويخبرنا الخبير بشؤون المسلمين المعاصرة، والمطلع عليها، والمؤلف فيها، عميد الرحالين العالميين معالي الشيخ محمد العبودي (أن مقاطعة « تشنغ هاى» فيها مجموعة كبيرة، رأيت الجهات الرسمية في الصين تبالغ في التقليل العددي من شأنها، حتى تذكر أنها لا تتجاوز ١٢٪ من السكان، ولكنني بعد أن زرتها، ورأيت المسلمين في عديد من أنحائها أجزم الآن من دون شك أن المسلمين فيها لا تقل نسبتهم عن ٣٠٪ من السكان)، ويذهب / شيو يوان إلى (أن قومية خوى أكبر قومية مسلمة من حيث تعداد سكانها في الصين، وقد ازداد سكانها ٦٠،٦٪ في الفترة ما بين عامى ١٩٦٤م و ١٩٨٢م، وتعد قومية «سالار» أسرع قومية مسلمة في التزايد السكاني، ونسبه التزايد لدى قومية الويغورى ٥٠٪)، وينقل الشيخ / عبد العزيز المسند رحمه الله عن صحيفة (تايمز) العالمية الصادرة في ١٦ ابريل ١٩٧٩م أن عدد المسلمين الصينيين «١١٥» مليون، ويشكلون ١٢٪ من السكان وتثبيت الحكومة الصينية عدد المسلمين فيها على ما يقارب (٢٠) مليون مسلم منذ أكثر من نصف قرن يتعارض مع الواقع، والإحصائيات الأولى ولكنه يخدم التوجهات الرسمية في توجهاتها لتحجيم القوميات الصغيرة، والتقليل من شأن الدين وأتباعه، والهروب من مستلزمات الحقوق المتنوعة والكثيرة، ومن خلال الأرقام السابقة والتقديرات المتباينة، ومعرفة سر التخفيضات الرسمية لعددهم يمكن وضع عدد المسلمين في الصين ما بين ١٠٪ ... ١٢٪ من السكان، وهو ما يتطابق مع معطيات التقديرات على وجه العموم، والوجود التاريخي الطويل، وخصائص الإسلام.

ما بين الصين والمسلمين

الصين زوايا ودروب، وقوميات وأراضي، وبشر وعمل، واستهلاك وتصدير، والصين ذات قوة خارجية ناعمة وخشونة داخلية قاسية، وهي الآن ليست دولة ديمقراطية بالمفهوم الرأسمالي ولا هي شيوعية متكاملة القواعد، ولكنها تؤكد أن استقامة الحاكم أهم من جميع مظاهر الديمقراطية، وحق الإنسان في اللباس والطعام أولى من حرية الكلام، فالصين ـ اليوم ـ تستلهم الكثير من تجارب الدول والشعوب، وتقدم الكثير من الدروس في البناء والتنمية، ولذا فعلامات الاستفهام والإعجاب كثيرة، وأقلام الكتاب متقاطعة حولها، والأسئلة تصرخ

هل النمو الاقتصادي الصيني، والتقدم على الدول الكبرى سيمنحها مساحات كبيرة من الصلف؟ أم أن قيم الكونفوشوسية، ومصطلح رئيسها / جينتاو (العالم المتناغم) سينقذ العالم من (صدام الحضارات)؟ وهل يمكن أن تكون الصين (دولة أخلاق) أمام جشع الغرب وإرهابه الاقتصادي؟

وهل تشكل الصين - إذا انفردت بقمة العالم ـ خطراً على الدول ذات الموارد الخام، أو ذات التوجه العقدي أو الأيديولوجي المخالف لها؟

هل تستطيع اليابان وروسيا والهند كبح الاندفاع الصيني نحو التفرد بالقمة؟

إن إمكانيات الصين الاقتصادية قوية فهل بإمكانها أن تفعَل وتطور سياساتها وقوتها لتوازي اقتصادها؟ أليست الصين مقبلة على انكماش زراعي نتيجة التوسع الصناعي؟ وأزمة عقارية تعيق مسيرتها الاقتصادية؟ هل النجاحات الصينية جاءت نتيجة ظروف دولية حيث تكالبت المطبات الاقتصادية على الغرب، وتكشفت عيوب القطب الواحد، وحاجة الدولار الماسة للرعاية الصحية، وحروب أفغانستان والعراق والإرهاب؟

الجميل أن الصين تسعى إلى اللحاق بنموها الاقتصادي من خلال تحريك تطورها السياسي في الزوايا التالية:

١- تنمية الوعي الانتخابي من أجل تحقيق ديمقراطية الانتخابات انطلاقا من القاعدة الشعبية والأرياف، وإعداد الإنسان الديمقراطي قبل إنزال الديمقراطية.

٢- بناء نظام قضائي قوي مستقل عادل.

٣- التدرج في وضع الدولة تحت إشراف الشعب الصيني.

٤- التأكيد على أهمية الأخلاق وبناء حضارة نبيلة.[١]

والحقيقة الملموسة الجميلة أن قادة الصين لا يرون أنفسهم أنهم تبوؤوا المكانة الكبيرة بين الدول لأنهم يعلمون حقيقة الوضع، وأصابعهم تشير إلى الكثير من مشاكل الصين الداخلية، ويدركون حجم معاناة الريف الصيني وكثافته السكانية، وقدراته المتدنية، ولا يخفى عليهم مناطق الضعف فيهم والمتمثلة في:

١- رأس المال المستورد.

٢- التكنولوجيا الوافدة.

٣- ندارة المواد الخام أو عدم وجودها في الصين.

٤- الأسواق العالمية.

٥- الغرب المتوحش.

وأحاسيسهم تلك تؤكد ميلهم إلى أن تكون علاقتهم بالآخرين تكاملية إنسانية، وليست كمنهج الغرب، حيث تهيمن عنصرية الرجل الأبيض عليهم، وتجرهم إلى الاعتقاد بأن غيرهم تابع لهم، وما يملكونه من مواد لا يستحقونها، الصين - حتى الآن - تتجه إلى التعايش الإنساني، وسياستها الخارجية ترفع اللائات الأربع (لا للهيمنة، لا لسياسة القوة، لا للتحالفات العسكرية، لا لسباق التسلح) وسوف تؤتي اللائات ثمارها كلما تأصلت وامتدت ولمست الدول والشعوب نتائجها العملية.

ويبقى أمام الصين:

أولا - المرض الخارجي، وخاصة الكيد الغربي حيث يسعى على عدة جبهات، منها الترويض التدريجي، والتحطيم بالصدمات التصاعدية، والتشويه الإعلامي عن طريق التهويل من دورها والتقليل من شأن صناعتها، وأخيراً تجفيف منابع اقتصادها.

١) رحلة هونج كونج، محمد العبودي ، ص١٠٣

ثانيا- المرض الداخلي وخاصة طغيان القوة، وإن لم يتم ضبطه بقيم أخلاقية، واحترام الإنسان في الداخل والخارج، والندية في العلاقات والمساواة العادلة في التعامل، فسوف يقضي عليها كما قضى على حضارات وأمم سابقة.

ولن ينفع الصين أن تكون الأولى عالميا في صناعة السيارات والصلب، والثانية في صناعة السفن، أو أن تقدم للعالم ٧٠٪ من ألعاب الأطفال،، ونصف إنتاجه من الاسمنت، و ٤٠٪ من الألمنيوم، و ٤٠٪ من الأحذية، و ٣١٪ من الزجاج، وأن تُسمى (ورشة العالم) أو (مصنع العالم)، لا ينفعها ذلك وإنما ينفعها -أولا- أن تحافظ على قيمها الإنسانية، وحضورها الثقافي، وإبراز لوحاتها الفنية، ونشر الحكمة الكونفوشوسية، وأن يتعانق جودة المصنع مع جودة الفكر، وتكون الكفاءة هي الأعلى، والسلام هو المحور، وأن تؤمن إيمانا راسخا أن نجاحاتها الاقتصادية فقط لن تجعلها محبوبة، والجمال كل الجمال أن تمدد الصين التنموي السريع القوي لم يولد من رحم القوة والاستعمار كما فعل الغرب فيما مضى، وما هو واقع منه، وما سيفعله في المستقبل انطلاقا من منهجيته المادية العنصرية وثقافته الاستهلاكية الاستغلالية، الصين ارتقى بخطط أفذاذه، وعضلات أبنائه دون أن يعض بنابه أو يمخش بظفره الآخرين.

ولكن الحقيقة المؤلمة أن القفزة الصينية القوية السريعة، وفي ثلاثين سنة فقط، وانتقالها من دولة فقيرة أو نامية إلى دولة عظمى تجعل القلق العام لبعض شعوب الأرض مقبولا، لأن الصين لم تنل فترة مقبولة للتدبر واستيعاب التغيرات، والنموذج الغربي يغريها بالمنافسة، ويدفعها للاستحواذ على مساحات مهمة في العالم الثالث فيها المواد الخام والأسواق المستهلكة، والجماهير في الكثير من الدول تحرض على الاستثمار، حيث اندفعت إلى الأنشطة الاقتصادية كبديل عن تواجدها في الميدان السياسي، وفضلت الخصخصة، وأصرت على المشاركة، ومن خلال العولمة وتزعزع الرأسمالية، والاهتمام بالأطعمة ووسائل الترفيه، وهيمنة رجال الأعمال على الإعلام ظهر الصدام المعيشي بين الشعوب والحكومات، وجاءت المظاهرات في هونج كونج، فالرأي العام يخشى على اقتصاده من السياسة، ولذا يطالب بالمزيد من الحرية، والحكومة الصينية ترى أن تهميش السياسة -بشكل مفاجيء وكبير- خطر يهدد وحدتها ووحدة أراضيها، ويهز تماسكها، ويثور القوميات والأديان عليها، والنمط الغربي الديمقراطي لا يخدم أمن الصين واستقرارها خلال السنوات القليلة القادمة، ومطالب سكان هونج كونج في تعجيل الإصلاحات السياسية لا تلتقي مع خطط حكومة بكين الهادئة.

وأمام الصين الجديدة حلول قليلة في مقدمتها التعاون الوثيق مع الدول الإسلامية وشعوبها، فهي قريبة إليها جغرافيا وأخلاقيا، وبينهما ألفة تاريخية طويلة، ولكل طرف عمق أمني للآخر، وبحاجة إليه، وعدوهما واحد، وأهدافهما متقاربة، فالصينيون أهل حكمة وشعر، وفيهم أخلاق وصبر، يحبون الطبيعة ويقدرون الجمال، ويعطفون على الضعيف والفقير، ولديهم حكماء وحكام عادلون، وفيهم الأناة والرفق.

والمسلمون جسم واحد، لا تمزقهم الحدود الجغرافية، ولا يخرجهم عن العدل غلو أعدائهم، في نفوسهم شعور بالتكامل، وتقارب فيما بينهم بالأفكار، وتعاون مصلحي تجاري نتيجة تعانق الدين والاقتصاد، يلتقون - جميعا - حول إله واحد، ورسول واحد، وكتاب واحد، وقبلة واحدة، يقول علي الجارم:

إن كبرت بأقصى الصين مئذنة سمعت في الغرب تهليل المصلينا.

ويقول محمد عبد المطلب:

إذا ما علت في الصين أنوار كوكب من الدين حياه ببرقة كوكب.

وقد نبع من تكتل وتكامل المسلمين الروحي احترامهم للآخرين، واعترافهم بإنسانيتهم، وحقهم في الحياة والاختلاف والتدين والحوار، فالتقت الأمتين - الإسلامية والصينية - حول خصائص مشتركة، وصفات متقاربة مما جعل تعاونهما أو اندماج بعضهم مع بعض ظاهرة ممكنة، يقول / توماس أرنولد (في سنة ١٨٦٧م عبر كاتب روسي في كتاب هام عن الإسلام في الصين عن الفكرة التي تقول بأن الإسلام مهيأ لأن يصبح الدين القومي للإمبراطورية الصينية، ولأن يقلب تبعا لذلك الأوضاع السياسية في العالم الشرقي رأسا على عقب)[1] ويؤكد / مسيو مونتيه (صار من المحقق أن الإسلام ظافر لا محالة على غيره من الأديان التي تتنازع البلاد الصينية)[2] ويرى الكاتب الياباني / تناكا إيبيه (أن الشخص الذي يمتلك طموحا لإقامة آسيا الكبرى يجب أن يمتلك - أيضا - روح الإسلام، وإذا كان مؤمنا بالإسلام فإنه سيحقق ما يصبو إليه) ويضيف (أن دراسة الإسلام في الصين يمكن أن تؤدي إلى أسس حركة حضارية ثقافية، يمكن أن تنتشر في ربوع العالم) [3] قد تكون تصورات أولئك فيها شيء من المبالغة من خلال الواقع، ولكنها حقيقة قوية من منظار الجذور لثوابت الأمتين، والأمر الممكن التقاؤهما في منتصف

١) الأقليات المسلمة في آسيا واستراليا، سيد بكر ، ص ١٢٧
٢) رحلة هونغ كونغ محمد العبودي ص ١٦٤
٣) مجلة منار الإسلام عبد الفتاح سعيد محرم ١٤٠٤هـ

الطريق، وتعاونهما في المشتركات، فأمام الأمتين ـ الصينية والإسلامية ـ معالم تنطلقان، منها:

- الحوار العربي الصيني الحضاري.
- منتدى التعاون الصيني العربي.
- السلام المتجذر في الثقافتين.
- التبادل الثقافي بين الأمتين.
- التكامل الاقتصادي بينهما.
- السفارات الإسلامية والعربية وبعثة الجامعة العربية في بكين.[1]
- المبادئ السياسية المشتركة للمجموعتين.

ومنها ينشأ تعاون تجاري اقتصادي، وتنسيق متبادل أمام القضايا المشتركة والدولية، ونمو التعارف، وتأصيل الثقة، وتجذير العلاقات الإستراتجية، وإقامة الشركات، وتفعيل دور السفارات، وتبادل الزيارات والمنح الدراسية، ونشر الكتب، وتحرك مؤسسات المجتمع المدني، وقد أفاد (مركز غالوب لاستطلاعات الرأي) في مايو ٢٠٠٩م (أن الصين تتفوق على الولايات المتحدة بصورة حاسمة في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، حيث حصلت على ٤١٪ مقابل ١٤٪ فقط أيدوا الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا أكبر فرق بين شعبية الدولتين في أي منطقة أخرى في العالم).

أما في الداخل، فالواقع يشي بانسجام تام بين المسلمين الصينيين وإخوانهم من المواطنين؛ لأن الإسلام لا يفصل بين دين الإنسان ووطنه، وإن اختلفت بينهما التوجهات، ولن يؤثر على هذه الحقيقة المتفلسفون حول تفاصيل القوميات الصينية، وغلو بعضها، وإحساسهم بلذة خاطئة في الفصل بين الطرفين، ثم في الفصل بين الصينيين المسلمين والمسلمين الصينيين، ثم تحويل المسلمين إلى أقلية، وهامش صغير في البحر الصيني العظيم، بل هم شريحة قوية حاضرة مؤثرة في نسيج الشعب الصيني، ووصفهم بالأقلية يضر كل الأطراف، ولا يمثل الحقيقة، ومصدرها:

---

١) أنظر لقاء فريد زكريا مع رئيس مجلس الدولة الصيني / ون جيابابو في مجلة نيوز ويك ـ أول أكتوبر ٢٠٠٨م

١- التنصير.

٢- الفكر العنصري البائد، وتمثله (الثورة الثقافية) عام ١٩٦٦م.

٣- تشدد قلة قليلة من المسلمين.

٤- الأحداث السياسية والأمنية في (شينغيانج).

وهذه المصادر الأربعة يجب أن لا تفسد أجواء الألفة، ولا تمزق شرائح المجتمع، ويرفضها- بشكل صريح وواضح- تضحيات المسلمون الصينيون في سبيل وطنهم، ودورهم في بنائه، وصدهم العديد من الاعتداءات عليه.

رسالتان من أجل السلام

السلام يحتاج إلى حسن الظن، وإلى جماليات الفهم، وإلى الثقة الواقعية، ولا شك أن تضخيم الأشياء، والمبالغة في التصور وردة الفعل، والإيمان بالقوة يفتت ملامح الخير، ويمزق دروب المحبة، وأخطر الحروب التي لا نهاية لها، والدماء فيها كثيرة، هي المواجهة بين الحكومات والشعوب، أو بين القوة والإيمان، وفي هذه الحالات ـ وشبيهاتها ـ يُستحسن الحوار والتسامح والالتقاء حول الحد الأدنى ـ على الأقل ـ من الأساسيات للطرفين، ولذا أجد أفضل المساهمات في زرع الألفة بين المسلمين في شينجيانغ (تركستان الشرقية) والحكومة الصينية توجيه رسالتين إليهما، يساعدني في ذلك محبتي للسلام، ومعرفتي بالإسلام، وعشقي للصين، وبعدي الجغرافي الذي ييسر الرؤية العادلة، ويجردني من الإفراط والتفريط في الانتماء والحكم والمعاناة، وآمل أن تجد الرسالتان التقدير والقبول.

الرسالة الأولى :

إلى السيد المحترم: زعيم الصين

تحية إعجاب وشكر وتقدير

إعجابا بخطواتكم الرائعة القوية من أجل شعب الصين وأرضه وأمنه واقتصاده وتعليمه وتربيته، إعجابا آمل أن يستلهم حكام العالم الإسلامي أفضل ما فيه لينطلقوا بشعوبهم كما فعلتم.

وشكراً على تضحياتكم وإخلاصكم وصبركم من أجل بناء وطن كبير متنوع، وقيادة أمة متميزة، لها من الإرث الحضاري الضارب في القدم ما يؤهلها إلى إعادة إحيائه وتطويره.

وتقديراً لانفتاحكم الاقتصادي، وتطوركم السياسي التدريجي، وحضوركم الدولي المتناغم مع الآخرين، أقول :

سيد الصين العظيم:

إني أقف ـ بشدة ـ أمام كل دعاوى الانفصال عن الأمة والوطن، والموقف نفسه أقفه ضد قسوة أي حكومة أمام شعبها، ووصايا أجدادنا وأجدادكم تؤكد على أهمية أن لا يجوع الذئب ولا تفنى الغنم، و يكون الصلح في رأس التجاذبات، وأن يهيمن التوازن بين أمن الوطن وحرية

المواطن، وفي نهاية الأمر يجب أن يكون للحكومة شعب وللشعب حكومة، ودعواتكم الدائمة، والرائعة للتناغم الاجتماعي الداخلي، والتناغم مع الدول والشعوب الأخرى سيكون بلسماً للكثير من الجروح الداخلية والخارجية.

زعيم الصين:

أتطلع إلى ظهور قوة جديدة في العالم تقلل من عنجهية الغرب وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية، وتطرح حوار الحضارات عملياً بدل صدامها الذي أراه في فلسطين والعراق وأفغانستان والسودان والصومال، وأخرى خفية أكثر من المعلنة، وآمل أن يتشكل من الدول الإسلامية كتلة اقتصادية تكون مقدمة لقطب يقابل القطب الواحد (أمريكا) فهي دول تملك مقومات الدولة العظمى لو تجاوزت أنانيتها وخوفها، وتنازل الحكام فيها عن نظرتهم القاصرة وفسادهم، واتجهوا إلى هدف طويل الأجل يخدم الأمة والأوطان ويتجاوز الأفراد والمصالح الخاصة ويدخلهم التاريخ المشرق.

زعيم الصين العظيم:

ثم التفت أبحث عن بديل آخر فلم أجد إلا (دولة الصين الكبرى) ففيها القوة والاقتصاد والسياسة والوعي بأحداث العالم المعاصرة، وألمس أنها تسير نحو هدفها وتتجه إلى مكان يناسب إمكانياتها ومكانتها التاريخية والمعاصرة، وازداد أملي فيها بعد زيارتي لها لمدة أسبوع في عام (٢٠٠٨م).

زعيم الصين العظيم:

إن منعطفات التاريخ اليوم، ومفاصله تضع الفرصة أمام الصين لتكون قوة جديدة فاعلة بالتعاون مع العالم الإسلامي وروسيا ودول العالم الثالث، وسوف تؤثر الصين - إن استثمرت هذه الإشراقة - في مسيرة البشرية لمائة سنة قادمة، وما عليها إلا أن يوازي لنهضتها الاقتصادية تفاعل فكري ثقافي، فليس بالاقتصاد وحده - رغم أهميته - يعيش الإنسان، والصين تملك ثروة ثقافية متميزة قابلة للتمدد، والحوار مع الآخر، والتعايش مع الثقافات الآسيوية المتعددة، وما عليها إلا أن تقدم النموذج الحي القوي - أولا - من الداخل حيث بإمكانها إعطاء صورة واضحة كبيرة إنسانية للعالم تفتت بها الصورة السيئة القديمة، والدموية الأمريكية التي يراها أبناء الكرة الأرضية في كل لحظة وشبر، وإني أرى في السنوات الثلاث الأخيرة خطوات صينية

تبشر بالخير يمثلها انفتاح على العالم الإسلامي وتسامح أخلاقي في الأفكار والمعتقدات، وحرية دينية داخلية يعبر عنها القانون الصادر عام ٢٠٠٥م بعنوان (لوائح الشؤون الدينية).

والمسلمون، وأمم وشعوب كثيرة خلفهم، تنتظر التطبيق العملي القوي والملموس وتجاوز مرحلة التمهيد والتدرج، فعجلة الزمن - في هذا العصر - أسرع من غيرها في أزمان ماضية، ثم إن التأجيل والبطء بالحركة قد يغير الكفة لصالح دول أخرى، والناس - كل الناس - ينتظرون العمل وإن استبشروا بالتنظير.

زعيم الصين العظيم:

اليابان بقيت في عزلة رغم تقدمها الاقتصادي، ورهينة أمريكية بقيود من حرير، وما ذلك إلا لأنها لم تقدم للبشرية رؤية ثقافية وفكرية، وليس بإمكانها ذلك، لأن قدراتها الإيديولوجية لا تتجاوز حدودها، وما حدث منها فترة يسيرة لا يعبر عنها.

والصين لا يعيقها عن إسهامها الفكري والثقافي في العالم إلا قرار سياسي داخلي يطلق الطاقات الصينية الرائعة في ميدان الأدب والدين والاجتماع والفلسفة والفنون فتضيف أبعاد مهمة لانفتاح الصين الاقتصادي، وتوجهها نحو العالمية، والسماح لتلك الطاقات بالتعرض المؤدب لجميع القضايا المهمة في الحياة دون خوف أو قلق، وعند إذ يوازي العطاء الفكري والثقافي الانفتاح السياسي والاقتصادي، فتتكون ملامح قوة عظمى جديدة، أن أهل الفكر والثقافة والدين والفلسفة هم روح التعليم والتفكير السديد والتربية الفذة، وهم - أيضا - نوافذ الصين على زوايا الأمم والشعوب الأخرى، - وهم - ثالثا - الداعم المؤثر في نجاح التمدد الاقتصادي واستمراره، وهم - أخيراً - جهاز المراقبة الحي والاستشعار الدقيق للمسيرة، ومعرفة حسناتها وسيئاتها على المستوى الإنساني الداخلي والخارجي، وبيدها الكثير من الأدوية.

وأملي من الانفتاح الفكري والثقافي أن يُترك شباب الصين ينال ما يريد من جرعات قوية في الجوانب الروحية، تنقذهم من تقليد الغرب، وتفريغ طاقاتهم باللهو الساذج، وتغرس فيهم روح العمل وروعة الهدف، ليأخذوا دورهم في بناء الصين، وحصر طموحهم من أجل وطنهم وحضوره العالمي، وتجاوز الكراهية القومية والدينية، ونبذ العنف، والتوجه نحو إشراقة جديدة، ومختلفة، ومتميزة، ومستقلة للصين.

إن المسلمين في العالم، ودولهم، يعانون من الضغط الغربي، والتهم الكاذبة المتواصلة

بوسائلهم الإعلامية الرهيبة من أجل مصالحهم ومصالح حلفائهم، وحقيقة الأمر أن الغرب يعرف تسامح الإسلام، وعالميته، ودعوته إلى التعايش والسلام، ومعالم الجهاد الإنساني فيه، وبعده عن الإرهاب، ولكنه قرر منذ سقوط الاتحاد السوفيتي أن يجعله العدو البديل، وجعل من ١١ سبتمبر مبرراً وحجة، والحديث عن السلام في الإسلام طويل، ولكن في مجلة (الصين اليوم) العدد الرابع في إبريل عام ٢٠٠٣م مقال يتحدث بوضوح عن هذا الموضوع، ولذا فالإسلام أفضل حليف لكم.

سيد الصين العظيم:

إن تقارب الدول والمدن والقرى جعل الأحداث قريبة، والقضايا مشاهدة، والشفافية ظاهرة، ومن أجل ذلك أرى أن العالم الإسلامي ينتظر (تناغمكم) الداخلي، وحسن تعاملكم مع شعبكم ليقوم بدعمكم لما له من أثر وما فيه من صدق، وأرجو أن نلمس - جميعا - الحرية الممنوحة منكم للإيغور، وقدرتهم على ممارسة عباداتهم، واحتفاظهم بلغتهم وملابسهم ومدارسهم مع احترامهم الكبير لوطنهم القوي المتميز،بل آمل أن لا يشعروا من قريب أو بعيد بأي سياسة تسعى إلى قمعهم أو التنكيل بهم، أو تخصيصهم بمعاملة، أو محاولة تذويب إسلامهم، وأن يكون لهم من ثمار الانفتاح والتناغم والإصلاح الشيء الكثير، ويكونوا جميعا حماة للوطن وتنميته، والخطوة الأولى- في نظري- حوار صادق بناء تبادرون إليه، وسوف تجدون أثره كلما ابتعدتوا عن المبالغات الأمنية، والضغوط السياسية، وأقتربتم إلى الوطن والوطنية، والعدل والتنمية، فمنذ عشرات السنين أرجو -ولا زلت- أن لا تكون قضية الويغور لوحة سيئة تعتم العلاقات الداخلية، والصينية الإسلامية عن طريق الإعلام الغربي، وسياسته الفجة، والذي لا يريد لكم ولا للمسلمين الانسجام واتواصل.

شكراً لكم فقد بنيتم دولة مسؤولة، تقوم بواجباتها، وتسعى إلى الأمن والرخاء والتناغم والإصلاح والانفتاح على الجميع وللجميع.

الرسالة الثانية:

إلى إخواني أبناء إقليم شينجيانغ وفقهم الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

فإن الدين الإسلامي يعطي الوطن مساحات من المحبة والإخلاص والعمل، ويجعل التفاعل فيه ومن أجله خطوة من خطوات العبادة والتنمية والإستقرار، فالرسول صلى الله عليه وسلم أحب مكة، ولم يتركها إلا مضطراً، ودعا للمدينة المنورة، والقرآن الكريم جعل للديار مكانة، والخروج منها نوع من أنواع الابتلاء، والعذاب قال الله تعالى (ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليلا منهم) النساء آية ٦٦، فساوى بين قتل النفس وهجر الديار، (وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون) البقرة آية ٨٤، وفي مضامين (وثيقة المدينة)حقوق واضحة للوطن، وهو مشترك للجميع مسلم وغير مسلم، وهي فتح جديد في السياسة الدينية، أقرت حرية العقيدة والرأي، وحرمة الوطن والنفس والمال، فلا يجوز للمسلم أن يخرج على دولته بالإفساد وإثارة الفتن، والعبث بالممتلكات العامة، ولا يجوز للدولة أن تتسلط على المواطن، وتجرده من كرامته وحقوقه، وتحاصره بالظلم، وتصادر آرائه، وتحول بينه وبين دينه وتقاليده ولغته وثقافته، وتحوله إلى حيوان يأكل ويشرب، ومن الثابت أن ليس للمواطن حرية مطلقة، وليس للوطن أمن مطلق، والإسلام وازن بين أمن الوطن وحرية المواطن، وحارب الظلم بالعدل من أجل الأمن، والمواطَنة في الإسلام تستلزم:

أ- المساواة بين الناس في الحقوق والقضاء دون النظر إلى اللون أو العرق أو اللغة أو الدين.

ب- الحرية لجميع المواطنين، حرية تتقدم على الإيمان نفسه، ويجعلها الإسلام مدخلا إليه.

ج- أمن واستقرار المسلم لازمة من لوازم أمن واستقرار الوطن.

د- المواطن المسلم يكون عينا ساهرة تحفظ أمن الوطن، وتحول دون فساده وإفساده وتأخره، وتفتيت خيراته وأجزائه.

إن عملية استقلال المسلمين في (سينكيانغ) مستحيلة، وغير قابلة للتطبيق، ولا تخدمكم، وإيجاد مساحات بين (المسلمين الصينيين)، و(المسلمين في الصين) نوع من أنواع

حروب المصطلحات، ومن العبث قبولها، والتاريخ والصين والواقع لا يلتقون حتى حول هوامشها وأطرافها، لذا آمل أن تجدوا في وطنكم الكبير- الصين - حريتكم وأمنكم، وأن تدافعوا عنه، وتسعوا إلى دعم مسيرته وتطوره، وتسهموا في إصلاحه وانفتاحه وتناغمه، وإن أي محاولة تخرج عن هذا المنهج إنما هي ضرر على الجميع، وخدمة لأعداء الصين والأمة الإسلامية، ومشاكل تمتد إلى الإسلام

كونوا - وفقكم الله - دعاة سلام ونوافذ صينية على العالم العربي والإسلامي، وقدموا دينكم من خلال أخلاقكم وإخلاصكم وإتقانكم، وحافظوا عليه وعلى وطنكم ولا تعارض بينهما.

مصادر البحث ومراجعه

- الاتصالات الودية بين الصين وعُمان عبر التاريخ .... تشانغ زون يان
ط الثالثة ٢٠٠٢م - الناشر / وزارة الثقافة والإعلام العمانية
- الإسلام في الصين ... فهمي هويدي
ط الأولى ١٩٨١م - الناشر / المجلس الوطني للثقافة - الكويت
- أساليب الغزو الفكري.. جريشة، الزيبق الناشر/ دار الاعتصام، القاهرة، ط٢/ ١٣٩٨هـ
- الأطعمة الإسلامية الصينية .... تشو تشي دنغ
ط الأولى ١٩٩٠م - الناشر / دار النشر باللغات الأجنبية - بكين
- الأقليات المسلمة في العالم ... هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية، ط الأولى ١٤١٢هـ
- تاريخ المسلمين في الصين - بدر الدين حي
- تجارب الصين .. من التطرف إلى الاعتدال ... محمد خير الوادي
ط الأولى ٢٠٠٨م - الناشر / دار الفرابي
- تركستان .. بين الدب الروسي والتنين الصيني قسم الدراسات والبحوث
ط الأولى ١٤١٤هـ - الناشر / دار الدعوة للطبع - الإسكندرية
- تركستان الصينية - محمد شاكر، ط الثالثة ١٣٩٦هـ، الناشر / مؤسسة الرسالة - بيروت
- تركستان المسلمة وأهليها المنسيون د / عبد القادر طاش
ط الأولى ١٤١٩هـ - الناشر / دار الفتح للإعلام - القاهرة
- تطور المجتمع الصيني ليو، زاي ترجمة / ميشال دانو
ط الأولى ١٤٢٩هـ - الناشر / الدار العربية للعلوم - بيروت
- تعرف إلى عادات الشعب الصيني ... بي أليس
ط الأولى ١٤٢٩هـ - الناشر / رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة
- تناكا إيبيه رائد الدراسات الإسلامية في اليابان ... جامعة تاكشوك ترجمة / سمير عبد الحميد، سارة تاكاهاشي
ط الأولى ١٤٢٧هـ - الناشر / مركز الملك فيصل للبحوث - الرياض
- التهجير الصيني في تركستان الشرقية ... رحمة الله أحمد رحمتي
سلسلة دعوة الحق عدد ٩٣، ١٤١٠هـ الناشر / رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة
- الثقافة العربية والإسلامية في الصين د / حلمي فرحات

ط الأولى ١٤٢٥هـ - الناشر / الدار الثقافية للنشر - القاهرة
- داخل أسوار الصين ... محمد بن ناصر العبودي
ط الأولى ١٤١٣هـ - الناشر / دار الثلوثية للنشر - الرياض
- دليل الجيب إلى الصين - الدار العربية للعلوم .. بيروت، ط الأولى ١٤٢٢هـ
- رحلات الصينيين الكبرى إلى البحر العربي ... عبد الله أحمد محيرز
ط الأولى ٢٠٠٠م - الناشر / جامعة عدن - اليمن
- رحلة ابن بطوطة) تحفة النظار ...(تحقيق ومراجعة د / درويش الجويدي
ط ٢٠٠٧م - الناشر / المكتبة العصرية - بيروت
- رحلة هونغ كونغ وماكاو - محمد بن ناصر العبودي
ط الأولى ١٤٢٣هـ - الناشر / مطبعة النرجس - الرياض
- الشخصيات الإسلامية في الصين ... محمود يوسف لي وآخرون
ط الأولى ١٩٩٣م - الناشر / دار النشر باللغات الأجنبية - بكين
- الصين في عين زائر - أ. د / سيد محمد الشنقيطي
ط الأولى ١٤٢٨هـ - الناشر / دار الحضارة للنشر - الرياض
- الصين يا جوج ومأجوج .. عالم مجهول - عبد العزيز المسند
ط الأولى ١٤١٠هـ - الناشر / نادي القصيم الأدبي
- العالم الإسلامي في أوائل القرن العشرين - عبد الرشيد إبراهيم
ترجمة أحمد متولي، هويدا فهمي - الناشر / المجلس الأعلى للثقافة ١٩٩٨م - القاهرة
- عجائب الدنيا وقياس البلدان ... سليمان التاجر دراسة وتحقيق د / سيف المريخي ط الأولى
١٤٢٦هـ - الناشر / مركز زايد والتاريخ - العين
- العرب والصين - منتدى الفكر العربي
ط الأولى ١٩٨٧م - الناشر / منتدى الفكر العربي - عمان
- العودة إلى الصين - محمد بن ناصر العبودي
ط الأولى ١٤٢٠هـ - الناشر / مطبعة النرجس - الرياض
- فوق سقف الصين - محمد بن ناصر العبودي
ط الأولى ١٤٢٤هـ - الناشر / مطبعة العلا - الرياض
- الفيل والتنين - روبين ميريد يت ترجمة / شوقي جلال
سلسلة عالم المعرفة - يناير ٢٠٠٩م - الكويت
- قالوا عن الإسلام - د / عماد الدين خليل

ط الأولى ١٤١٢هـ - الناشر / الندوة العالمية للشباب الإسلامي - الرياض
- القوميات المسلمة في الصين - تشو لينغ
ط الأولى ١٩٨٨م - الناشر / دار النشر باللغات الأجنبية - بكين
- المساجد في الصين - محمد يوسف لي
ط الأولى ١٩٨٩م - الناشر / دار النشر باللغات الأجنبية - بكين
- المسلمون في الصين - د / عبد العزيز حمدي
ط الأولى ٢٠٠٥م - الناشر / دار أخبار اليوم - القاهرة
- المسلمون في الصين - مجلة بناء الصين
ط الأولى ١٩٨٢م - الناشر / دار المنشورات في الصين - بكين
- المسلمون الصينيون .. من هم وأين هم ؟ مجلة بناء الصين
ط الأولى ١٩٨٣م - الناشر / الشركة الصينية لتجارة الكتب - بكين
- المسلمون الصينيون - أسئلة وأجوبة شيو يوان
ط الأولى ١٩٩١م - الناشر / دار النشر باللغات الأجنبية - بكين
- الموسوعة الميسرة - الندوة العالمية للشباب الإسلامي
ط الثانية ١٤٠٩هـ - الناشر / الندوة العالمية - الرياض
- نبذة عن ثقافة الصين ... مكتب فريق القيادة الوطني
ط الأولى ٢٠٠٦م - بكين الصين
- نبذة عن جغرافية الصين ... مكتب فريق القيادة الوطني
ط الأولى ٢٠٠٦ م - بكين الصين

البحوث والمقالات:

- الله في الصين مجلة العربي عدد نوفمبر ١٩٨٠م
- الإسلامية والتعليم الإسلامي في الصين - مجلة البعث الإسلامي شوال ١٤٠٩هـ
- بعثة منار الإسلام إلى هونغ كونغ - مجلة منار الإسلام محرم ١٤٠٤هـ
- تركستان الشرقية القضية المنسية .. مجلة المنار الجديد عدد ٢١
- حالة الإسلام في الصين - مجلة الهداية الإسلامية محرم ١٣٥٢هـ
- الصين في مرآت الثقافة العربية - مجلة التسامح عدد ١٩ عام ٢٠٠٧م
- المسلمون في الصين صفحات مشرقة - مجلة الفيصل عدد ٢١٣
- المسلمون في الصين - مجلة آفاق الثقافة والتراث عدد ربيع الثاني ١٤١٨هـ

سيرة ذاتية عن المؤلف

أولاً - البيانات الشخصية:

الاسم: عبد الله بن عبد العزيز بن محمد اليحى.
تاريخ الميلاد ١٣٧١/٧/٢٥, بريدة
العنوان: المملكة العربية السعودية - القصيم - بريدة.
الجوال: ٠٠٩٦٦٥٠٣٢٢٤٨٠٠
تويتر: @Dr_AbuMusa
البريد الإلكتروني: y1371@hotmail.com

ثانياً - السيرة العلمية:

- عام ١٣٩٩هـ حصل على الشهادة الجامعية من كلية العلوم الاجتماعية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية, الرياض.
- عام ١٤٠٢هـ حصل على شهادة الماجستير في الدراسات الإسلامية من جامعة البنجاب - لاهور-باكستان.
- عام ١٤٠٤هـ حصل على شهادة الماجستير في الدراسات العربية من جامعة البنجاب -لاهور- باكستان.
- عام ١٤٠٨هـ حصل على شهادة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية من خلال بحثه (الاتجاهات الإسلامية المعاصرة في دول مجلس التعاون الخليجي) من كلية الدراسات الشرقية قسم (الدراسات الإسلامية) جامعة البنجاب - لاهور- باكستان.

ثالثاً- السيرة العملية:

- عام ١٤٠٠هـ عمل في (الملحقية الدينية السعودية) في باكستان التابع لرئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في ذلك الوقت، وبقي حتى نهاية عام ١٤٠٩هـ مشرف على الدعاة. ومتابعاً للاتجاهات الإسلامية في شبه القارة الهندية والمناوئة لها، وأخيراً مديراً للمكتب.
- عام ١٤٠٩هـ عمل على وظيفة داعية في مكتب الدعوة والإرشاد في الدمام.
- عام ١٤١١هـ انتقل إلى الهيئة العليا للدعوة الإسلامية، وتدرج في وظائفها حتى عام ١٤٢١ ليصبح مساعد الأمين العام للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
- عام ١٤٣١هـ تقاعد وظيفياً.

رابعاً - الأعمال المرادفة:

- عام ١٤٠٤هـ قام بالتدريس في الدراسات العليا (قسم الدراسات العربية) في جامعة البنجاب - لاهور - باكستان إلى عام ١٤٠٦هـ.
- ما بعد عام ١٤١٨هـ عمل بإعداد الدراسات والبحوث وتلخيص التقارير والكتب في أمانة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وتولى سكرتارية لجنة الوكلاء ، ولجان فرعية أخرى.
- شارك في تحكيم عدد من رسائل الدكتوراه.
- رئيس تحرير (موسوعة العلماء والمتخصصين في الشريعة الإسلامية في المملكة العربية السعودية)، صدرت في ثلاثة أجزاء.
- لديه مركز معلومات عن المسلمين وقضاياهم المعاصرة.

خامساً - المؤتمرات والندوات :

- عام ١٤١٣هـ شارك مع وفد المملكة العربية السعودية في مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية في كراتشي.
- عام ١٤١٨هـ شارك في دورة بعنوان :(دور الدين في الولايات المتحدة الأمريكية) في أمريكا.
- عام ١٤٢٠هـ شارك في مخيم الندوة الشرعية في اليابان ، والذي أقامه المركز الإسلامي في طوكيو.
- عام ١٤٢٠هـ شارك في الدورة الشرعية التي أقامتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في (جزر القمر).
- عام ١٤٢٠هـ شارك ببحث في ندوة (مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي).
- عام ١٤٢٠هـ شارك في ندوة (حقوق الإنسان في الإسلام) والتي أقامتها رابطة العالم الإسلامي في إيطاليا.
- عام ١٤٢٤هـ شارك ببحث في ندوة (بناء المناهج .. الأسس والمنطلقات) والتي أقامتها جامعة الملك سعود - كلية التربية - الرياض.
- عام ١٤٢٤هـ شارك ببحث في ندوة (العلاقات السعودية اليابانية) والتي أقامتها مؤسسة الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية - الرياض.
- عام ١٤٢٧هـ شارك ببحث في منتدى الوسطية للفكر والثقافة في الأردن - عمان.
- عام ١٤٢٧هـ شارك ببحث في المؤتمر العالمي عن (العالم الإسلامي والغرب .. الحواجز والجسور) في ماليزيا.
- نشر عدد من المقالات في بعض الصحف, وطرح بعض المواضيع في المنتديات السعودية.

سادساً - البحوث المطبوعة عن طريق المؤتمرات والندوات :

- مصادر المعلومات العربية عن المسلمين في اليابان. (مكتبة الملك عبد العزيز)
- التعليم في إسرائيل وتربية العنف. (جامعة الملك سعود)
- خطوات اليابان نحو العالم الإسلامي. (مركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية)
- الوسطية آلية إصلاح الأمة. (الأردن)
- الإسلام والنصارى في العصر النبوي ..جسور التعايش الأولى. (الجامعة الإسلامية العالمية - ماليزيا).
- من قضايا المسلمين في اليابان. (معهد اللغة العربية - اليابان)

سابعاً- المؤلفات :

- المسلمون في اليابان.
- قانون الاضطهاد الديني الأمريكي .. قضايا وملاحظات.
- المتدينون اليهود في فلسطين .. مواقف وفرق.
- القتل والتحريض عليه في المناهج الإسرائيلية.
- الوسطية .. الطريق إلى الغد.
- شارون مرآة المجتمع الصهيوني.
- الخومينيون والأماكن المقدسة.
- نهاية الكيان الصهيوني ... رؤية من الداخل.
- ترويض العرب بالمصطلحات... الإعلام الأمريكي والصهيوني نموذجا.
- المسلمون في الصين .
- العدل في الإسلام .
- السير الأزكى إلى جزيرة إلى سريلانكا

الفهرس

المقدمة ٤
الباب الأول: إطلالة عامة ٧
الصين .. نبذة جغرافية ٨
الصين .. نبذة تاريخية ١١
الصين .. نبذة ثقافية ١٥
الصين .. نبذة سياسية ٢٠
الصين .. نبذة عن الأديان ٣١
الباب الثاني: الصين والعالم الإسلامي ٣٢
العلاقات العربية الصينية ٣٧
الرحلات المتبادلة ٥١
المسلمون في الصين .. تفاعل وعطاء ٥٥
التيارات الإسلامية في الصين ٦١
الباب الثالث: المسلمون في الصين تجذر وتمدد القرآن الكريم في الصين ٦٢
المساجد الإسلامية في الصين ٦٧
المؤسسات الإسلامية في الصين ٧٤
التعليم الإسلامي في الصين ٧٩
القوميات المسلمة في الصين ٨٥
من الشخصيات المسلمة البارزة في الصين ٩٠
الكتاب الإسلامي في الصين ٩٥
الصحافة الإسلامية في الصين ١٠٠
من قصص المسلمين في الصين ١٠٤
من مظاهر الإسلام في الصين ١١١
الباب الرابع: مفاصل ووقفات ١٢٣
المسلمون في شينغيانغ (تركستان الشرقية) ١٢٤
المسلمون في هونغ كونغ ١٢٩
عدد المسلمين في الصين ١٣٣
ما بين الصين والمسلمين ١٣٧
رسالتان من أجل السلام ١٤٣
مصادر البحث ومراجعه ١٤٩
سيرة ذاتية عن المؤلف ١٥٢

من التجذر إلى التهدد

إعداد
د.عبدالله بن عبدالعزيز البحيص

المسلمون في الصين: وصولهم إليه، ودخولهم في الإسلام، واندماجهم في المدن والقرى، ومساهماتهم في البناء والعطاء، والسياسة والحروب، والأنشطة الاجتماعية، ومعاناتهم، والمعاناة منهم، وتنوّعهم، وحضور قرآنهم ومساجدهم، وملابسهم وتراثهم، ولغتهم، وفنونهم.

معلومات مكثّفة احتضنها هذا الكتاب، وإن لم يُحِط بها فقد أشار إليها، وذكّر بها، وقدّم أمثلة عنها.

فالكتاب:

مقدّمة دينيّة،

لدولة كبيرة،

وشعب عظيم.

رقم الإيداع: ١٤٣٩/٤٧٣٦
ردمك: ٤-٦٤٩٦-٠٢-٦٠٣-٩٧٨